

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشـــك

أسبابه وآثاره وعلاج الإسلام له

دراسة مقدمة لقسم العقيدة لنيل درجة
الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب / أحمد بن إبراهيم محمد سامه عسيري

إشراف الاستاذ الدكتور/ يحي ربيع

الفصل الدراسي الثاني
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فهذا ملخص للرسالة المقدمة لقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى للحصول على درجة الماجستير بعنوان :-

الشك أسبابه وآثاره وعلاج الإسلام له .

مقدمه الطالب : أحمد إبراهيم محمد عسيري .

هدف الدراسة

معرفة أسباب الشك وآثاره وعلاج الإسلام له .

الباب الأول :- بيان الشك وما يضاده .

الفصل الأول تعريف الشك وما يتعلق به

وفي مبحثان :-

المبحث الأول : تعريف الشك .

المبحث الثاني : تعريف اليقين .

الفصل الثاني : أنواع الشك .

وفيه ثلاثه مباحث :-

المبحث الأول / الشك المنهجي .

المبحث الثاني / الشك الهادم .

المبحث الثالث / الشك الاعتقادي .

الفصل الثالث – الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول / الشك عند اليونان.

المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .

المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث .

الباب الثاني الشك عند الفرق الكلامية والطوائف المنتسبة للإسلام

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول / الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية .

الفصل الثاني / الشك عند الفرق الباطنية والصوفية .

الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين .

الباب الثالث : أسباب الشك وآثاره

الفصل الأول : أسباب الشك .

وفيه مبحثان :–

المبحث الأول / أسباب الشك المنهجي .

المبحث الثاني / أسباب الشك الاعتقادي .

الفصل الثاني :– آثار الشك في أصول الدين والشريعة وفيه مبحثان.

المبحث الأول / آثار الشك في أصول الدين .

المبحث الثاني / آثار الشك في الشريعة .

الباب الرابع : علاج الإسلام للشك:–

وفيه ثلاثة فصول :-

الفصل الأول / تأسيس اليقين .

الفصل الثاني / دحض حجج الشكاك.

الفصل الثالث / حكم الإسلام في الشك في المسائل الاعتقادية.

وأخيرا الخاتمة والنتائج وأبرز النتائج التي توصلت اليها .

١- فضل منهج السلف على غيرهم من المذاهب الأخرى وموافقته للفطرة وللعقل وآثاره على الفرد والمجتمع .

٢- التأثير الكبير للفلسفة اليونانية على الكثير من الفرق الكلامية الإسلامية فقد جاءت مناهجها وتقريراتها مستمدة من الفلاسفة اليونان وخاصة أرسطو .

٣- التكامل والشمول الذي جاء به هذا الدين في مجال اليقين وهداية الناس وعدم تركهم عرضة للأهواء والحيرة التي تصرفهم عن وظيفتهم العظمى وهي عبادة الله سبحانه وتعالى .

٤- الجناية العظمى التي اقترفها أهل الكلام ومن سلك مسلكهم حين أقحموا العقل في المسائل الغيبية المحضة التي يكون فيها العقل تابعاً ومؤيداً للنقل وليس حاكماً عليه .

٥- البرهان الساطع والحجة الداحضة التي قررها الإسلام وأهل السنة والجماعة على وجه الخصوص في ردودهم ومناقشتهم للمخالفين .

التوصيات :-

أوصي بمزيد من الاهتمام بدارسة الظواهر الفكرية المنحرفـــة وتبيـــين خطرها وتناقضها وتبيين منهج الإسلام الذي أتى متكاملاً ومنهجياً فـــي تعاطيه مع هذه الظواهر المنحرفة .

Abstract

Praise be to Allah Lord of the Universe. Prayers ad peace be among the Most honored prophet Muhammad, his family and companions.

This is an abstract for M.A. thesis presented to the Faculty of Islamic Creed, College of Da'wa and Fundamentals of Islam. Om al-Qura University.

Title: The Doubt, it Reasons, Influence, and the Islamic Cure.

Presented By: Ahmad Ibrahim Mohammad Aseeri

Objective: Stating the Concept of Doubt, its Impact and the Islamic Cure.

Part One: Doubt and its Contrast

First Chapter : Definition of the Doubt and what is relevant to it. It covers two points:

١- Definition of the Doubt.

٢- Defection of Conviction.

Second Chapter: Historical roots of the Doubt and its development in the modern age. It includes three points.

١- Doubt as known in the Greek Age.

٢- Doubt as known in the Middle Ages.

٣- Doubt as known in Modern Ages.

Third Chapter: Types of Doubts. It includes three points:

١- The Formal Doubt.

٢- Destructive Doubt.

٣- Conviction Doubt.

Part Two: Doubt according to Al-Kalamiyeen and The groups relating themselves to Islam. It includes three chapters:

First Chapter: Doubt as known by *Al-Kalamiyah* group and the Philosophers.

Second Chapter: Doubt as known by *Batinyah* and Sophism.

Third Chapter: Doubt as known by the Muslim Scholars and *Al-Muhadethien.*

Part Three: Causes of Doubt and its Impact.

First Chapter: Cause of the Doubt. It includes two points:

١- Causes of the Formal Doubt.

٢- Causes of the Conviction Doubt.

Second Chapter: Impact of Doubt according to the Fundamental of Islam and the Islamic Legislation. It includes two points:

١- Impact of Doubt according to the Fundamental of Islam.

٢- Impact of Doubt according to the Islamic Legislation.

Part Four: Islamic Cure against Doubt and how to avoid it. It include three chapters.

First Chapter: Establishing the Belief.

Second Chapter: Refutation of doubters evidences.

Third Chapter: Islamic Rules with regard to the issues of Belief.

Conclusion and Results:

١- Superiority of Al-Salaf Approach over the other sects. It is agreeable with the human nature and the mind and its impact on the individual and the society at large.

٢- The great affection of the Greek Philosophy over Al-Kalamiyeen Islamic sect. Their beliefs and reports are driven from the Greece Philosophers especially Aristotle.

٣- Inclusiveness of this religion with regard to belief and guiding people and preventing them from following their own desires which drive them away from the main task which is worshipping Allah the Al-Mighty.

٤- The greatest betrayal of Al-Kalamiyeen and those who followed their way when they started using their minds to explain issues related to the unseen. The mind is follower for what is in the Qur'an and Sunah not a justifier.

٥- The complete and clean evidence approved by Islam and Ahal Al-sunnah wal Jamaa (the follower of the Sunnah of Prophet Muhammad p.b.u.h) in replying to these false approaches.

Recommendations:

The researcher recommends for carrying out more studies in the false rational concepts to explain their dangers and conflict. On the other hand, he asks scholars to explain the clear Islamic approach that come as complete source dealing with theses aspects.

الباب الأول

الباب الأول

الشك مفهومه وجذوره وأنواعه

الفصل الأول : مفهوم الشك وما يتعلق به وفيه مبحثان :

- **المبحث الأول / تعريف الشك .**
- **المبحث الثاني / تعريف اليقين .**

الفصل الثاني : أنواع الشك وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول / الشك المنهجي.**
- **المبحث الثاني / الشك الهادم.**
- **المبحث الثالث / الشك الاعتقادي.**

الفصل الثالث : الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول / الشك في العصر اليوناني .**
- **المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .**
- **المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث .**

الفصل الأول : مفهوم الشك وما يتعلق به

المبحث الأول : تعريف الشك لغة واصطلاحاً :

أولا : الشك في اللغة :

لفظ " الشك " مأخوذ من شك يشك شكاً ويجمع على شكوك وفي معاجم اللغة توجد معانٍ كثيرة لمادة (الشين والكاف) منها :-

١ ــ **الشك بمعنى التداخل** : قال ابن فارس[1] : (الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض وهو يدل على التداخل ، مــن ذلــك قولهم شككته بالرمح وذلك إذا طعنته فدخل السنان جسمه)[2] .

ومنه قول **عنترة** :ــ

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

٢ ــ **الشك بمعنى نقيض اليقين** : فالشك يستخدم كمقابل لليقين فتقول شككت في الأمر وتشككت فيه : أي ذهب يقيني) وإنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شُك له الأمران في مشك واحد وهو لا يتيقن واحداً منهما ، فمن ذلك اشتقاق الشك تقول : شككت بين ورقتين ، إذا أنت غــرزت العود فيهما فجمعتهما)[3] .

---

(١) هو ابو الحسين أحمد ابن زكريا القزويني الرازي ، كان إماماً في علم اللغة ومشاركاً في علوم شــتى ، مــن أبرز مؤلفاته : معجم مقاييس اللغة ، الفصيح وتمام الفصيح ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (١/١٠٠) تحقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
– الاعلام: خير الدين الزركلي (١/١٩٣) دار العلم للملايين بيروت ، ط السادسة ١٩٨٤م.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (٣ / ١٧٣) تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية.

(٣) المرجع السابق : (٣ / ١٧٣)

٣ ــ **الشك بمعنى التردد** : ويأتي الشك بمعنى " التردد " كـــأن يتردد الإنسان بين شيئين دون أن يتيقن بأحدهما ، وفي المصباح : (هو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاهما أو رجح أحدهما على الآخر ، قـــــــال تعـــــــالى : ❴ ▫⧫☐ ♌⧮⧠ ☐☜☞⬈☪✌❁ ❀⬥☝ ⧮❼ ⅄⊠⌨♏⌨ ♋♓⧫☺◍⬧◆◻☐☼❽⧫☜◆☞⬧☐⬃☝ ◆❶☐⬧☒⧮☐⬧❶☐⬃ ❵ [1]

قال المفسرون : أي غير مستيقن) [2] .

كما أكد هذا المعنى مجمع اللغة العربية في القاهرة فعــرَّف الشك بـــ : حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم [3] .

٤ ــ **الشك بمعنى الريب** : يقال : شك في الأمر وغيـــره ، أي ارتاب ومنه قوله تعالى : ❴ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ❵[4] .أي لا شك ، وهو يأتي بمعنى الشك مع التهمة [5] يقول الجرجاني : (وقـــد تكـــرر ذكر الريب وهو بمعنى الشك مع التهمة تقول: رابني الشـــئ وأَرابنِـــي بمعنى شككني وأَوهمني الريبة بِه)[6]

---

(١) يونس آية (٩٤) .

(٢) المصباح المنير (١٦٧) لأحمد المغربي ط : دار الكتب العلمية : بدون تاريخ انظر أيضا :تفسـير القـرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير(٢٣٤/١) .دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط : (١ / ٤٩٠) اخراج ابراهيم مصطفى وزملائة ، ط: مجمع اللغة العربية بدون تاريخ

(٤) البقرة آية (٢).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (١٥٧) تحقيق : محمود الطناحي وطاهر الزواري : دار إحياء الكتب العربية ، مصر ط : الأولى ١٩٩٣– ١٩٦٣م

(٦) التعريفات : الجرجاني (١٢٣).

٥ ــ **الشك بمعنى الالتباس** : فيقال (شك في الأمر ، يشك شكاً إذا التبس لعدم وضوح الأمر)[١].

٦ ــ **الشك بمعنى الاضطراب في القلب والنفس** وذلك باعتبـــار مايعتري القلب من التردد المصاحب لمن يشك [٢]

٧- **الشك بمعنى الحرج** كما في قوله تعالى (☝♋✌♦🕛🖬⬉
🕮⬆☼❽⌘✌♦ ☽♐♍⬧⓿⬂⌨⍓ ▫⬧☒⬧ ③♦▤⬈♊ ✖♐❼
🕒❁⑨⇳❻⍻✂⍓☒ ❍⍓❷♦●⍻✋♓♋☪⬃❍⬅ ♍♋☞⬅☪⓿⇐❻◆
☐♐❍♋🕗 ❐♦❶♋☝⬂❷♦❽▤ ♍♋🖬▫☺⬅⬧⬃✌♋✡♋✓▫⍨)[٣]

قال ابن عباس أي لا تكن في شك منه وروي عن مجاهد وقتاده مثله[٤]

٨- ويأتي الشك أيضا بمعنى **الحسبان** كما في قوله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) [٥].

فهؤلاء الفقراء يظن البعض أنهم أغنياء لما يبدو على ظاهرهم من التعفف ، والحال أنهم فقراء في الحقيقة.

وجاء في قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام انها لمّا دخلت قصره ظنّت أنها تقف على بركة ماء عندما شاهدت تموّجات صورتها على أرضية القصر المكسوّة بالزجاج، قال تعالى (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ) [٦]

---

(١) المصباح المنير (١٦٧) و المعجم الوسيط : (١ / ٤٩٠)

(٢) المصباح المنير (١٦٧) .

(٣) الأعراف (٧) .

(٤) تفسير الطبري (١٥٣/٤) .

(٥) البقرة (٢٧٣) .

(٦) (النمل: ٤٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (١١٤/١).

٩- ويأتي الشك بمعنى **التخمين** يقال خمن الشئ اذا قال فيه بالحدس أو الوهم والعامة تستعمل (خمن) بمعنى ظن تقول خمنته صادقا أي ظننته[١]

١٠- وأخيرا يرد الشك بمعنى **الخرص** فيقال خرص فيه أي حدس وقال بالظن ومنه قوله سبحانه وتعالى (قتل الخراصون) [٢] قال ابن عباس رضي الله عنه (أي لعن المرتابون) [٣] وقال مجاهد : (الذين يقولون لانبعث ولا يوقنون) [٤]

ويلاحظ على هذه التعريفات اتفاقها جميعا على أن موضوع المعرفة أو الحقيقة مبهم أو غائب أو متردد فيه ولم يصل فيه الباحث إلى اليقين أو العلم بل لم يتجاوز حتى إلى الظن الراجح .

وهذا ما ينصب على الموضوع المشكوك فيه أو الذي نقصت المعرفة عن الوصول إلى اليقين فيه وهو ما تعرضت له التعريفات التي تصف جهل أو انعدام المعرفة في الموضوع نفسه دون صاحبه (كتعريفه بنقيض اليقين والوهم والحسبان والتخمين والخرص) وفي هذه الحالة تكون الحقيقة ذاتها غائبة عند الشاك أو تكون المعرفة معدومة أو ناقصة نقصا جليا لا يصل الباحث فيه إلى هدى ونور وهذا القدر من السلبية يكون في مرتبة قريبة من الجهل وعدم العلم وهو ما سيعود بحالة نفسية على الباحث وهو ما تعرضت له بقية التعريفات مثل (التردد والريب والالتباس والاضطراب والحرج) التي تجعل الشاك مترددا مرتابا

---

(١) انظر : القاموس المحيط : الفيروزابادي (٢٣٦) .

(٢) سورة الذاريات آية (١٠)

(٣) تفسير القران العظيم : ابن كثير (٤/١٦٤)

(٤) المرجع السابق (٤/١٦٤)

مضطربا في نفسه وفي قلبه وهذا النوع من التعريفات فيه وصف دقيق لحال الشاك حيث أنه أثر عكسي لما وصل إليه من مستوى معرفي ومن قناعة قلبية فبقدر قوة القناعة وتوفر المعرفة تكون الحالة النفسية للباحث قوية متيقنة ومضطربة مترددة إن ضعفت القناعة وقلت المعرفة ولعل في ذكرنا للمعنى الاصطلاحي ما يزيد هذا المعنى ايضاحا وبيانا

وبعد ذكر معاني الشك في اللغة بقي أن نشير الى أن **الظن** زائد في معناه عن الشك حيث أن الشاك يستوي عنده الطرفان بلا مرجح أما الظن فإن فيه ترجيحاً لأحد الطرفين ، مع إمكان الطرف الآخر[1] وقد استعمله القــرآن بمعنــى اليقــين كمــا فــي قــول الله ســبحانه وتعــالى {
☠⬋&☐✠❒📖 ♦♌❑❻☪⓿→♦③ ♦×⇦☌🔔⅄✐✍✁
⬀☠←♑❋☼❒📖◆❒ ⬀☠✗&✗♒▯◆❻ ☎✁❑→☽ⓘ■◘❿✌
☽☌♏⬩⓿⬂❍☌ ❻◆ⓘ♉⬁➔⬉❑♌♦}[2] .يقول الراغب الاصــبهاني (الظن: اسم لما يحصل عن أمارة، متى قويت أدَّت الى العلــم، ومتــى ضعُفت جداً لم يتجاوز حدّ الوهم) [3] .

أما **الجهل** فهو في مرتبة أقل من الشك والشك أخص منه ؛لأن "الجهــل قد يكون عدم العلم بالنقيض رأساً ، أو بالعلم بهما مع عدم إدراك الراجح ، فكل شك جهل ولا عكس" [4].

---

(١) التعريفات للجرجاني (١١٣)

(٢) البقرة آية (٤٦)

(٣) المفردات في غريب القران : الراغب الاصفهاني (٣١٧)

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهانوي(٢/ ٥٣) ،

وبعد هذه التعريفات يمكننا أن نرتب المستوى المعرفي علـــى النحـــو التالي :-

جهل: وهو عدم الادراك للمعلوم اصلا

شك :وهو التردد بين النقيضين بلا مرجح

ظن وهو التردد بين النقيضين مع وجود مرجح لا يصل لحد اليقين

يقين: وهو الاعتقاد الجازم في الحقيقة وسيأتي له مزيد بيان في المبحث القادم

وبهذا نختم الكلام على التعريف اللغوي لمصطلح الشك والذي تبين لنـــا أنه يحتمل معن كثيرة ومتنوعة ولكنها جميعا تدور حول معنى الغموض والالتباس وعدم وضوح المعرفة بالاضافة للأوصاف والأعراض التـــي تعتري من يشك في أمر ما .

ثانياً : الشك في الاصطلاح :

توجد تعريفات عديدة لمصطلح الشك ولكنها في مجموعها تدور حول المعنى اللغوي للمصطلح ، وإن كان المفهوم يختلف من ناحية المجال العلمي والمعرفي الذي يستخدم فيه .

والذي يعنينا هنا هو تعريفه من الناحية المعرفية والفلسفية لكون الشك له تعلق كبير بهما من ناحية مناقضته لها .

فقد عرفه الجرجاني[١] بأنه : التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك [٢] .

وذكر أيضاً في تعريفه أنه ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما [٣] .

أما الجويني [٤] : فذكر في تعريف الشك فحوى التعريفين السابقين وزاد عليها بقوله: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبنى عليه العاقل الأمور المعتبرة [١] .

---

(١) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني ويعرف بالسيد الشريف اهتم بكثير من العلوم وخاصة اللغوية والعقلية ومن أبرز مؤلفاته : "التعريفات" ، "شرح المواقف" للإيجي ، متكلم ، ماتريدي ، جمع بين فلسفة وعلم الكلام، – توفي سنة ٨١٦هـ .

انظر: الاعلام : خير الدين الزركلي (٧/٥) وانظر أيضا : معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (٢١٠/١) : مطبعة الترقي دمشق ١٣٨٠هـ– ١٩٦٠م

(٢) التعريفات : تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي (١٤١)

(٣) المرجع السابق : (١٤١)

(٤) أبو المعالي : عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني الملقب بـ " إمام الحرمين " ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩هـ وهو من أئمة الاشاعرة الكبار ، تتلمذ عليه الغزالي ، ودرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي من أبرز مؤلفاته " الإرشاد الى قواطع الأدلة " و " الشامل في أصول الدين " .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥) تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٣٨هـ – ١٩٦٤م .

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن البعض منها يتجه إلى وصف حال الإنسان الشاك والبعض الآخر يصف حال الأمر المشكوك فيه وجميعها تصفهما بالتردد والإبهام وغموض الجانب المعرفي بالنسبة للشاك أو للموضوع المشكوك فيه .

وقد اتخذ مفهوم الشك بعداً كبيراً ومؤثراً في المجال المعرفي عموماً فتنوعت مجالاته ومفاهيمه وصارت له مدارس تتخذه منهجاً وطريقاً لأفكارها واعتقاداتها فصار مصطلح الشك أو الشكاك في المجال المعرفي والفلسفي له مدلوله الخاص الذي يميزه عن بقية المذاهب والاتجاهات الأخرى .

فبداية كان مصطلح (الشك) " **Sceptien** " في اليونانية يعني في المقام الأول تساؤلات ، كما يعنى من ينظر بإمعان أو من يتفحص باهتمام قبل أن يصدر حكماً أو يتخذ قراراً [٢] .

ولكن هذا المفهوم للشك ــ الذي هو مطلب مهم لكل صاحب عقل ووعي ــ قد تغير ، ولم يعد مفهوم " الشاك " يعني أنه أحد الباحثين الذين يتخذون اتجاهاً نقدياً غير مثقل بأحكام سابقة وإنما أصبح يعني أن الشاك هو : أحد المفكرين الذين ينكرون امكان المعرفة سواء كان هذا الإنكار جزئياً أو كلياً شاملاً لكل معرفة [٣].

انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي (٣٥٨/٣) المكتب التجاري ، بيروت.

(١) المرجع السابق : (٢/ ٥٣٠)

(٢) انظر الموسوعة الفلسفية : عبد الرحمن بدوي : (١٦/٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط : الأولى ١٩٨٤م .

(٣) انظر الفلسفة ومشكلة الشك : حمدي زقزوق (١١٧) دار المعارف ط : الخامسة ١٩٩٤م

وهكذا انحدر معنى الشك من معناه الأصلي إلى هذا التصـــور السلبي الذي يهدم المعرفة هدماً ويشكك في الحقائق من ناحية وجودهـــا ومن ناحية يقينيتها إن وجدت عندهم .

وارتبط الشك الفلسفي أساساً بنظرية المعرفة حيث يستخدم هذا الشك للتعبيرعن الشك في قدرة العقل البشري على الوصول إلى معرفة يقينية وحقيقة موضوعية ، كما يتصل بمبحث الوجـــود كوجـــود العـــالم وطبيعته[1] .

والشاك يتوقف عن إصدار حكم ما استناداً إلى أن كل قضـــية تقبل السلب والإيجاب بقوة متعادلة [2] .

ويبدل الشك في العلوم المختلفة ففي **العلوم الطبيعية** بمعنـــى أن كل معرفة تعتبر موضع اختبار وفحص وتحليل من أجل توافر الأســـس والأسباب لقبولها دون أدنى شك [3] .

وفي **علم النفس** يكون الشك صحياً وهاماً لحياة الإنسان إذا كان لتمحيص وعدم قبول كل ما يصادفه من أفكار وآراء دون أن يمعن النظر فيها [4] ، بينما ينقلب شكاً مرضياً عندما ينتقل إلى المبالغة فـــي القلـــق والتوهم والظن [5] .

---

(١) انظر ديكارت :عثمان أمين : (١٠٢) دار المعرفة الجامعية – القاهرة – ١٩٩٤م

(٢) الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف (١١١) دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) الموسوعة الفلسفية : د / معن زيادة (١/٥٢٤) دار الطليعة – بيروت – بدون تاريخ .

(٤) سيكولوجية الشك: يوسف ميخائيل (ص٢٢ / ص٢٤) دار غريب للطباعة والنشر، القـــاهرة ،بـــدون تاريخ.

(٥) المعجم الفلسفي : جميل صليبا (١ / ٧٠٦) .

وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن هناك نوعين من الشك ، أحدهما إيجابي يتوصل به إلى اليقين ويكون مؤقتاً ينتهجه العالم الباحث للشك في الأفكار والافتراضات حتى يتضح صحتها .

وشك آخر سلبي يهدم المعرفة ويجعل من الإنسان عاجزاً عن إدراك الحقيقة وغير متيقن منها ، وهذا ما سيتضح بيانه في المباحث القادمة .

المبحث الثاني : تعريف اليقين

أولاً : تعريفه في اللغة :

هو مأخوذ من يَقِنِ الأمر يَيْقَن إذا ثبت ووضح [١].

يقال : يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه ويستعمل متعدياً بنفسه ، وبالباء ، يقال : يقنته ، ويقنت به ، والذي يظهر من تتبع استعمال هذه المادة أنها تفيد الاستقرار والثبات وإزاحة الشك وتحقيق الأمر [٢] وسكون النفس وثلج الصدر به [٣] كما أنه يطلق على طمأنينة القلب على حقيقة الشيء [٤] .

ثانياً : تعريفه في الاصطلاح

وهو يختلف بحسب العلوم المختلفة وسنشير إلى تعريفه عند المناطقة والفلاسفة لتعلق ذلك بموضوعنا .

فقد عرف الرازي [٥] اليقين بأنه : اعتقاد الشيء بأنه كذا ، مع اعتقاده بأنه لا يمكن أن يكون إلا كذا ، اعتقاداً مطابقاً لنفس الأمر ، غير ممكن الزوال [١] .

---

(١) المصباح المنير (٩٨٠) .

(٢) لسان العرب : لابن منظور (٤/ ٩٨) دار صادر ، بيروت .

(٣) الفروق اللغوية : ابن العربي (٦٣) ضبط وتحقيق:حسام الدين القدسي ،دار الكتب العلمية:بيروت١٤٠٩.

(٤) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر : احمد بن محمد الحنفي (١/ ١٩٣) . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥

(٥) هومحمود بن محمد الرازي الشافعي الملقب بقطب الدين توسع في علوم الكلام والفلسفة من مؤلفاته : تحرير القواعد المنطقية ، لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار توفي عام ٧٦٦هـ راجع في ترجمته شذرات الذهب (٢٠٧/٦) ، الأعلام (٣٨/٧).

وقد اشتهر هذا التعريف عند الرازي ولذا سنعتمد عليه هنا ونذكر أهـــم المحترزات التي ذكرها من شرح هذا التعريف :

فقولهم (**اعتقاد الشيء**) خرج به الشك لخلوه من الاعتقاد بسبب اســـتواء طرفيه.

وقولهم (**مع اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا**) خرج به الظن فـــإن فيه تجويز الطرف المقابل المرجوح .

وقولهم (**اعتقاداً مطابقاً**) خرج به الجهل المركب الذي هو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع .

وقولهم (**غير ممكن الزوال**) خرج به اعتقاد المقلد ، وأرادوا بذلك المقلد المصيب ، أما المقلد المخطئ فقد خرج بقيد المطابقة .

وبإيرادنا هذا التعريف المشهور وذكر محترزاته يكون قد اتضح الفـــرق بين اليقين والشك والظن والجهل .

واليقـــين أقوى من العلم لأنه يأتي بعد نظر واستدلال وقد يأتي بعـــد حيرة وشك فيقال : شك ويقين وقلّما يقال شك وعلم . [٢]

أما درجات اليقين فقد ذُكرت في القرآن :

ـ **علم اليقين** : كما فـــي قولـــه ســـبحانه وتعـــالى{ 📬☒☒· 🖲♦❑⬀
✍♦➔⬃🖫■☺←❑♌♦⬂♎🖫▫☠⌘✂👓🖲⬂⓿◆✆⬄✓✗⇯ } [٣]

---

(١) تحرير القواعد المنطقية :قطب الدين الرازي (١٦٦) دار احياء الكتب العربية طباعة عيسى البابي الحلبي ، مصر وقد تابعه على هذا التعريف الجرجاني في التعريفات (٢٣١) والتهانويّ في كشـــاف اصـــطلاحات الفنون (١٥٤٧) تصحيح :محمد وجيه وزملائه ، ط ١٩٧٢ الهيئة المصرية للكتاب وغيرهم .

(٢) الفروق اللغوية لابن العربي (٦٣)

(٣) التكاثر آية (٥)

ـــــ عـــين اليقـــين : كمـــا فـــي قولـــه ســـبحانه { [illegible] }[1]

.

وكثير من المفسرين يجعل هذه المرتبة هي التي طلبها إبـــراهيم عليـــه الصلاة والسلام حين سأل الله سبحانه وتعالى رؤية كيفية إحياء المـــوتى وذلـــــك فـــــي قولـــــه ســـــبحانه: ([illegible])[2]

وذلك ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين ويحصل له الاطمئنان القلبي وعلى ضوء هذه الآية نفى النبي صلى الله عليه وسلم الشك عن ابـــراهيم حيث قال نبينا صلى الله عليه وسلم :(نحن أحق بالشك من إبـــراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن قـــال: بلـــى ولكـــن ليطمئن قلبي) والحديث متفق عليه[3] وقد اختلف العلماء فـــي تفســـيره وفهمه والمراد منه.

وقد رأيت ومن خلال التأمل في هذا الحديث أنـــه ينـــاقش قضـــيتين مهمتين سأحاول التفصيل فيهما وتبيين المراد منهما حتى تتضح الجوانب الغامضة في هذا الحديث التي استغلها بعض أعداء الإسلام ومن يحـــاول

---

(١) التكاثر آية (٧)

(٢) البقرة آية (٢٦٠)

(٣) البخاري (٣٣٧٢) وقد وردت هذه اللفظة في هذا الموضع من الصحيح وان كان لم يذكرها عند إيـــراده لهذا الحديث في مواطن أخرى كما هو في (٤٥٣٧،٤٦٩٤) وقد علق شيخ الإسلام بقولـــه (وقـــد تـــرك البخاري ذكر قوله : "بالشك " لما خاف فيها من توهم بعض الناس) الفتاوى (١٥/١٧٨) ولعل شـــيخ الإسلام لم يقف على هذه الرواية كما أورد الحديث بنصه مسلم في كتاب الإيمان (١٥١).

أن يثير اللغط والشبه في قلوب المؤمنين واتهموا سيدنا إبـــراهيم عليـــه الصلاة والسلام بالشك في قدرة الله على إحياء الموتى .

القضية الأولى : قوله صلى الله عليه وسلم " نحن أحق بالشك من إبراهيم " وقد اختلف العلماء في تفسير وتوضيح هذه العبارة على عدة تفسيرات منها:-

١/ أن يكون المعنى : نحن أشد اشتياقا ورغبة من إبراهيم فـــي رؤيـــة احياء الموتى (١)

٢/ أن يكون المعنى : اذا لم نشك نحن فابراهيم أولى ألا يشك ولو كـــان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أحق به منهم (٢)

وفي هذا يقول الإمام السيوطي " فان الشك في إحياء المـــوتى لـــو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أني لـــم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك " (٣)

٣/ أن تكون هذه العبارة تواضعا منه صلى الله عليه وسلم أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم وهو كقوله في حديث أنس في صـــحيح مسلم " أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا خير البرية قـــال : ذاك ابراهيم "

٤/ أن يكون المقصود ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئا قال : مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي ، ومقصـــوده لا تقل ذلك.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٢٦)

(٢) انظر: المرجع السابق (١٠/٢٦)

(٣) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي (٤٧/٢)

٥/ وقيل : أراد بقوله "نحن" أمته الذين يجوز عليهم الشك وأخرجه هـو منه بدلالة العصمة .

٦/ وقيل : معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان .[1]

وبعد استعراض هذه الأقوال يتبين لنا أن مخرج هذه العبارة ليس فيه ما يدل على وقوع الشك من سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم أو مـن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وليس فيها أي دعوة للشك ومسوغ له بـل هي عبارة مما تحتملها لغة العرب وقد رأينا تأويلات أهل العلم لها والتي تدور جميعا على معنى واحد ألا وهو نفي أن تكون هذه العبارة داعية أو محرضة للشك في الله أو في قدرته سبحانه وتعالى ، إضافة إلى إجمـاع الأمة على عصمة الأنبياء والرسل من الكفر والشك ومن تسلط الشيطان عليهم وهذا أصل لا يخالف فيه إلا جاهـل لا يعلـم أصـول الشـريعة ودلالات النصوص .

القضية الثانية : هل شك إبراهيم عليه الصلاة والسـلام فـي قـدرة الله سبحانه وتعالى حين سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى ؟

والذي نؤكده بداية عطفا على ما سبق تقريره في القضية الأولـى أن هذا الاستفهام من ابراهيم لم يكن شكا بل هو خارج مخرج السؤال عمـا جهله العبد وعن كيفية الإحياء والاماته بحثا عن الاطمئنان القلبي الذي لا يحصل إلا حين الرؤية والمشاهدة وهذا ما بحث عنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام واتاحه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين عرج به إلـى السماء ورأى ملكوت الله سبحانه وتعالى والجنة والنار حتى تتحقق لـه هذه الطمأنينة القلبية ويبلغ هذا الدين عن يقين جازم بوعد الله ونصره .

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٢٦)

وقد أورد الامام مسلم بعض التوجيهات والتفسيرات لهذا الاستفهام من إبراهيم فقال : (وأما سؤال إبراهيم صلى الله عليه وسلم فذكر العلماء في سببه أوجها **أظهرها** أنه أراد الطمأنينة بعلم كيفية الإحياء مشاهدة بعد العلم بها استدلالا فان علم الاستدلال قد تتطرق اليه الشكوك في الجملة بخلاف علم المعاينة فانه ضروري وهذا مذهب الامام أبي منصور الأزهري وغيره **والثاني** أنه أراد اختبار منزلته عند ربه في إجابة دعائه وعلى هذا قالوا: معنى قوله تعالى (أولم تؤمن) أي تصدق بعظم منزلتك عندي واصطفائك وخلتك **والثالث** سأل زيادة يقين فسأل الترقي من علم اليقين الى عين اليقين فان بين العلمين تفاوتا قال سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا **والرابع** أنه لما احتج على المشركين بأنه ربه سبحانه وتعالى يحي ويميت طلب ذلك منه سبحانه وتعالى ليظهر دليله عيانا) [1] .

والذي أختاره وتميل إليه النفس في توجيه استفهام إبراهيم عليه الصلاة والسلام –وذلك من خلال الدراسة اللغوية والاصطلاحية لمعنى الشك– هو أن الشك في لغة العرب أوسع معنى منه في الاصطلاح ، فهو في الاصطلاح ما تساوى فيه كلا الاحتمالين ، ولم يترجح فيه أحد الطرفين أما لغة العرب واستخدامات القرآن فهي أوسع استعمالا ، كما اشرنا لذلك إذ الشك خلاف اليقين ، وقد يطلق على الجهل وعدم العلم بالشيء أيضا ، كما قال تعالى (❒◆◑☎♌□ ✂ 🙥✎⅄🔔♎⇦×◆
🖮♏🖮☒⅄ ❼⮴✂⬩♒🕿♎❍⓿♎▫ ☎✂❑→⊞■🖫◆☝⬃⌘🙥✂
⇳♊♎👌 🕗♎❍☎📪 💣←●❍🖭 🙥◆👌 🗐 ←❍⬃☪♎♓👌

(١ شرح صحيح مسلم (١١٣/٣)

[illegible])[1]

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية (الشك كما يطلق على مـا لا يـرجح أحد طرفيه ، يطلق على مطلق التردد، وعلى ما يقابل العلم ، ولذلك أكده بقوله ما لهم بذلك من علم ، ويجوز أن يفسر الشك بالجهـل)[2]. وقـال تعـالى أيضـا عـن الكـافرين ([illegible])[3] قال ابن جريـر الطبري في تفسيره (أي لم يتتابع علمهم ، بل غاب علمهم وضل ، فلم يبلغوه ولم يدركوه ، بل هم في شك مـن قيامهـا لا يوقنـون بهـا ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت)[4]. وكذا قوله تعالى على لسان رسـوله مخاطبـا المشـركين([illegible])[5] فليس الشـك هنا بمعنى التردد فإنهم كانوا جاحدين كافرين به وبدينـه ، وكـذا قولـه تعالى مخاطبا رسوله صـلى الله عليـه وسـلم ([illegible])[6] أي إن كنت يا محمد لا علم عندك بمـا جـاء فـي التوراة والإنجيل من صفاتك وشأنك ، فأسال أهل الكتاب عن ذلك ، فإنهم

---

(١) النساء (١٥٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٢/٢٩) مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٧.

(٣) النمل (٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٤/١١٥)

(٥) يونس (١٠٤).

(٦) يونس (٩٤).

على علم بك لما ورد في كتبهم من خبرك وصفاتك ، فإنهم يعرفونك كما يعرفون أبنـــاءهم ، وهـــذا كقولـــه تعـــالى (☐•○⇔★♦🖬➔❑☑✂☎
📖❑♎⬀✍•✂🙰🙰✎🔔♏🙵🖎⬂❷▩ ◗ᘓ♌ 🖎⬈✡☝🡐🏳⇔ ••
✍•➔⬃☸•🖗🡐❑♌♦ ⇗▩⌀⬳
🖃ᘓ🙰🙰◉ᘐ⬂🖮♦❹♓🖙☪♦◷☀💣ᘓ ❑♦✂🙰◉ᘐ❽🙤🖃🡐❷▩
☰) [1] فإذا ثبت كل ذلك وأن الشك يطلق على ما سوى اليقين ، فيصدق على ما تردد في شيء وحار فيه ، وكذا يصدق على من لا علم عنده فيه ،ولمن تردد فلم يترجح عنده فيه شيء ولذلك فإبراهيم حين سأل الله عن كيفية إحياء الموتى ، لا لأنه لا يؤمن بقدرة الله – بل لأنه لا علم عنـــده أصلا عن كيفية إحياء الله للموتى ، فسأل الله عـــن ذلـــك طلبـــا للعلـــم والمعرفة ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بالشك مـــن إبراهيم إذ قال ربي أرني كيف تحيى الموتى) إذ السؤال في الأصل إنما يكون لطلب العلم بالشيء ، ولم يكن عند إبراهيم علم في كيفية حصـــول ذلك ، ويؤكده قوله تعالى (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فقـــد ثبت أن إبراهيم مؤمن لا يشك في قدرة الله على إحياء الموتى وإنما سأل عن كيفية ذلك طلبا للعلم الذي تطمئن به النفس ، إذ انه جاهـــل لا علـــم عنده عن كيفية تحقق ذلك . وبهذا أرى أن المعنى قد اتضح والمقصود قد تم ولم يبق شبه أو منطلق لمن يدع أن الشك قد حصل من سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وقبل أن نختم الكلام في هذا الحديث ننبه إلـــى مـــا قـــد ورد مـــن نصوص عن ابن عباس من أن هذه أرجى آية في كتاب الله على اعتبار أن إبراهيم شك ولم يعاقبه الله والى ما ورد أيضا عن عطاء قوله " دخل

---

(١) النحل (٤٤–٤٥).

قلب إبراهيم بعض ما يدخل في قلوب الناس "[1] وقد تولى ابن عطيـــة الرد على هذه الأقوال وتوجيهها بقوله (ومحمل قول ابن عباس عندي " أنها أرجى آية " لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الأحياء في الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفي فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث . ومحمـــل قول عطاء " دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب النـــاس " أي مـــن طلب المعاينة . وأما الحديث فمبني على نفي الشك ، والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت ، وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعا لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة)[2]

ـ **حـــق اليقـــين** : كمـــا فـــي قولـــه ســـبحانه { ❒◆➀☸☼✲❍➔① ⁂◆⌂☐▭❻ ✂✍✉❹⓿◆➀✌✓×✍ }[3] .

وهذه الدرجات هي بحسب اعتقاد وقوة إيمان الشخص والعارف بالله سبحانه وتعالى فكلما كان الدليل والاعتقاد أقوى ترقـــى فـــي هـــذه المراتب وكل ما وجد من تصنيف لمراتب اليقين وجعلها فـــي مراتـــب متسلسلة وبيان لوصف كل حالة وتعلقاتها وأحوالها فهو من كتـــب أهـــل التصوف الذين يعتمدون في بيان ذلك على الكشف والذوق وغيرها مـــن المصادر التي يعتمدون عليها وهي غير معتبرة عند السلف فعلـــى هـــذا نكتفي بكلام الله سبحانه وتفسير سلف الأمة له من دون الدخول في هـــذه المراتب والأحوال الصوفية.

---

(١) انظر : فتح الباري (٢٧/١٠).

(٢) تفسير ابن عطية (٥٤/٢)

(٣) الحاقة آية (٥٠)

وقد ورد اليقين على معانٍ :

١- وردت كلمة اليقين في آيات قرآنية بمعنى المــوت ، مثــل قولـــه تعـــالى :([illegible]) [١] وقد فُسر اليقين فـــي هذه الاية بالموت ومقدماته ، وأيضا في قوله تعالى : ([illegible]) [٢].

٢- وجاءت كلمة اليقين بمعنى التوحيد ، وذلك في قوله تعالى : ([illegible]) [٣] أي الموحدين الذي سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة ، فهم نظارون بعين باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانـــا إلى إيقانهم [٤].

٣- وجاء كلمة اليقين بمعنى العلم والمعرفة على أنـــه نقـــيض الشـــك مثـــل قولـــه تعـــالى : ([illegible]

---

(١) الحجر ، الآية : (٩٩) .

(٢) التكاثر ، الآية : (٥) .

(٣) الذاريات ، الأية ٢٠ .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويـــل:لأبي القاســـم الزمخشـــري :(٤ /١٦) تصحيح:مصطفى حسين أحمد ، دار الريان، القاهرة ، ط : الثالثة١٤٠٧

(❒◆✌♦⬧☞⬧♦⬛→❑■← ③♦☽✍⑩☪☹✍)[1]،وقوله تعـــالى :

(✍⌧⌧· ⬧♦❑◁ ✍⬧➔⬧⬛☺←❑♌♦ ⬊♓⬧⬛☠⌘
✄✍⬧⬊⓿◆☽✍✓×✍ ✍♌⬰ ⬧♦✋♦❸◆❒⬉♍·
✄✍⬧⬊♑❑♦⬰⑩⬷⌘)[2].

٤– وكذلك وردت كلمة اليقين بمعنى الثابت والثبات مثل قولـــه تعـــــــــــــالى : (☽♌♌❑⬓⬓⌧⓿✍⊛⬓⬓⬓⬓✄ ○●←❑◆ ❍⬓⬓❻
✄✍⬧⬊⓿◆☽✍✓×✍)[3] والمعنى : إن هذا الذي أنزل فـــي هــذه السورة لهو حق اليقين ، أي الحق الثابت من اليقين ، وقولـــه تعـــالى :
(❒◆☽♌☼✵❍←⓵ ⬧♦⬓⬓❻ ✄✍⬧⬊⓿◆☽✍✓×✍)[4].

الفصل الثاني : أنواع الشك

وفيه تمهيد و ثلاثة مباحث :

- **تمهيد**
- **المبحث الأول / الشك المنـهجي.**
- **المبحث الثاني / الشك الـهادم .**

---

(١) النساء ، الآية : ١٥٧ .

(٢) التكاثر ، الآية : ٥ .

(٣)   الواقعة ، الآية ٩٥ .

(٤)   الحاقة ، الآية : ٥١ .

- **المبحث الثالث / الشك الاعتقادي .**

الفصل الثالث أنواع الشك

تمهيد :

من خلال تعريفنا الشك عبر العصور المختلفة وما تعرضنا له من خلال السرد التاريخي لهذه الظاهرة ، قد اتضح لنا أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه ومنهجيته والنتائج التي يوصل إليها وفي هذا المبحث سنتناول أنواع الشك الرئيسية وما يتفرع عن هذه الأنواع من الصور والتقسيمات وسيكون ذلك في ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : الشك المنهجي :

وهو منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولاً بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب ومغالطات ، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية[١] .

والإنسان بطبيعته له بعض الأحكام والتصورات الخاطئة يقول الدكتور/ توفيق الطويل" وهذا الشك المنهجي خير طريقة لاتقاء هذه الأخطاء ، إنه خطوة تسلم إلى اليقين أو تؤدي إلى المعرفة الصادقة ، فهو وسيلة وليس غاية في ذاته ، يزاوله الباحث بإرادته ومحض رغبته ومن ثم يستطيع التحرر منه ، إنه نتيجة عزم من الباحث على أن يشك بنظام وبمقتضى مبدأ في أي فكرة يمكن أن تكون مثاراً للشك " [٢].

ويؤكد هذا المعنى **هملتون** (١٧٨٨-١٨٥٦م) [٣] بقوله : " إننا نزاول الشك مؤملين أن ينتهي بنا الشك إلى الاعتقاد "[٤] .

ويرى أصحاب هذا المنهج أن المعرفة الموضوعية ممكنة وأن في استطاعة العقل الوصول إلى اليقين والحقيقة ، وذلك عن

---

(١) الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة (١ / ٥٢٤) .

(٢) أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣١٤).

(٣) فيلسوف أسكتلندي اهتم بالمنطق من رواد المثالية ومن أهم مؤلفاته : "الميتافيزيقيا والمنطق"
انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديميين الروسيين (٥٥٦)

(٤) المرجع السابق : (٣١٦).

طريق الشك في كل ما اكتسبناه من أفكار وعادات في الماضـــي ، فالشك في نظرهم هو الوسيلة الناجحة للوصول إلى اليقين[1] .

وكانت بدايات هذا النوع من الشك عند اليونان وبـــالأخص عند **سقراط** وذلك عن طريق المنهج الذي نهجه في مناقشة محدثيه وهو **التهكم** : الذي يؤدي إلى تخليص العقل من الأخطاء **والتوليـــد** الذي يرشد إلى الحقيقة ، ففي مرحلة التهكم يبدو مع محدثيه وكأنـــه يتعلم منهم فيسلم بأقوالهم مصطنعاً الجهل ثم يأخـــذ فـــي التســـاؤل والاستفسار وإثارة الشكوك في صحة ما يقولون حتى يـــتم تحريـــر عقولهم من الأخطاء والاهتداء للحق[2] .

وقد تنبه **أرسطو** إلى هذا النوع من الشك وفرق بينه وبين الشك الحقيقي الهادم ، وأوصى بمزاولته عند البدء بدراسة أي بحث علمي ، حيث إنه وجد علاقة ضرورية تقوم بين الشـــك والمعرفـــة الصحيحة ، وكشف عن عنصر الإيمان الذي يقوم مطموراً في ثنايا الشك النزيه ، ورأى أن من يريد أن يكسب ملكة تحصيل المعرفـــة يجد في الشك الذي يقوم على التروي والتبصر تحقيقاً لغايتـــه ، لأن المعرفة التي تعقب الشك تكون أقرب إلى الصواب يقول الـــدكتور/ مصطفى النشار" إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين يسيرون على غير هدى فلا يعرفـــون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه " فيما يقول هو نفسه " إن كل حكـــم يصدره باحث ينبغي أن يسبقه نظر فـــي الأســـباب التـــي تؤيـــده

---

(١) انظر المرجع السابق : (٣١٩).

(٢) انظر : قصة الفلسفة : ول ديورانت (١١٥) مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥.

والمبررات التي تعارضه "[١] .

وفي القرون الوسطى استخدم القديس " **أوغسطين** " الشك كمنهج للوصول الى الحقيقة وذلك عن طريق استبعاده الحواس كمصدر للمعرفة حيث أنه وجد أنها كثيراً ما تخدعنا ثم وجه النظر إلى العقل فوجد أنه يستطيع إصدار أحكام صادقة علاوة على وجود بعض الحقائق التي لا سبيل للشك فيها كالقوانين المنطقية وحقيقة وجودنا وفكرنا[٢] وهنا نجد ان أوغسطين قد نبه الى وجود حقائق وقوانين ليست موضعاً للشك بكل صوره وأشكاله.

وفي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في نشر وتأصيل هذا النوع من الشك فقد قال الجاحظ في ذلك :" اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك تعلماً "[٣] .

ويمكن اعتبار الغزالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر الإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله حيث رأى أن الشك هو الذي يجعل الوصول إلى الحقيقة ممكناً ، ويقول في ذلك : " الشكوك هي الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمىٰ والضلال"[٤] .

وقد مر الغزالي في أثناء شكه بخطوات يمكن ترتيبها على النحو التالي :

---

(١) انظر : نظرية العلم الأرسطية : مصطفى النشار (٩٢) دار المعارف ط: الثانية١٩٩٥.

(٢) انظر : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم (٢٨) دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م.

(٣) الحيوان للجاحظ : (٦ /٣٥)

(٤) ميزان العمل: للغزالي (٤٠٩) .

أولاً : الشك في التقليد

وقد أراد بهذه الخطوة التشكيك في المعارف التي تأتي عن طريق التقليد، وأول ما أثار انتباهه هو التقليد في العقيدة وفي ذلك يقول: " انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا ، إذ رأيت : صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصير ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود : وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه "[١] فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين التقليدات ، وأوائلها تلقينات، وفي تميز الحق منها عن الباطل اختلافات "[٢] .

فالغزالي ينفي صدق والتلقينات لأنها قائمة على تقليد الأشخاص، وقد دله الحس على أن الأشخاص يختلفون فيما يقولون إنه الحق ، وإلا كيف نعلل وجود أشخاص على أديان مختلفة يعارض بعضها البعض الآخر ، ولو أن جميع الأشخاص وصلوا إلى الحق لما اختلفوا في الأديان [٣] .

ولذلك : " فإن التقليد كان عند الغزالي مقياساً لقبول الحق

(١) سيأتي تخريج الحديث هذا في الفصل الأول من الباب الرابع .

(٢) المنقذ من الضلال : للغزالي مع أبحاث في التصوف ، ودراسات عن الإمام الغزالي بقلم عبد الحليم محمود ، (٨٧) . دار الكتب الحديثة ، ط الثامنة ، ١٣٩٤ – ١٩٧٤م .

(٣) انظر المرجع السابق: (٨٧).

... فأصبح التقليد الآن قضية، وأصبح الحس مقياساً للتقليد "[1] .

ثانياً : الشك في الحسيات

وبعد أن هدم التقليد بالحس اتجه إلى الحس فيقول " فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكن أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع الشك فيها "[2] .

ويقول أيضاً مبرراً الشك في الحس " من أين الثقة بالحواس وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل ، فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة – تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغته ، بل على التدريج ذرة ، ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف ... "[3] .

وانتهى به الأمر إلى أن بطلت ثقته بالمحسوسات .

ثالثاً : الشك في العقليات

وبعد أن فقد الغزالي منهجين كانا محل ثقته واطمئنانه لم تتوقف شكوكه عند هذا الحد بل بادره الشك من جديد في العقليات وذلك عن طريق الحس ويصور ذلك بقوله " فقالت الحواس : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات : كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي : فجاء حاكم العقل فكذبني ؟ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على

---

(١) أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده – مهرجان الغزالي في دمشق (٢٧–٣١) مارس ١٩٦١ – بحث بعنوان رجوع الغزالي إلى اليقين .

(٢) المنقذ من الضلال : للغزالي (٨٩).

(٣) المرجع السابق : (٨٩) .

تصديقي ، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلى كذّب العقلَ في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته "[1] .

وتعزز هذا الشك عنده بقضية النوم والرؤيا ويقول في ذلك: " أما تراك تعتقد في النوم أموراً وتتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فيم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك ، بحس أو عقل ، هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك : كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة ، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها "[2] .

وفي الفلسفة الحديثة نجد أن الفيلسوف الانجليزي **فرانسيس بيكون**[3] (١٥٦١-١٦٢٦م) ممن استخدموا الشك المنهجي للوصول إلى الحقيقة ، والذي دعا بيكون لذلك هو وجود ذلك العدد الكبير من الأوهام التي تلقيناها من المجتمع واستقرت في عقولنا دون انتباه منا ، ولكي يتم لنا الوصول إلى الحقيقة – من وجهة نظره – يجب التخلص من هذه الأوهام والأفكار قبل القيام بأي عملية فكرية وقد لخصها بيكون في هذه الأوهام :

---

(١) المرجع السابق : (٩٠) .

(٢) المرجع السابق : (٩٠) .

(٣) فيلسوف ومحامي انجليزي اهتم بالفلسفة العملية والتجريبية من أبرز مؤلفاته " الأورغانون الجديد " انظر : اعلام الفلسفة : روني الفا (٣٥٥/١).

١- أوهام القبيلة

ويقصد بها الأوهام التي رسخت في الذهن البشري ولا يوجـــد لهـــا أساس لمجرد أنها صادفت هوى أو رغبة خاصة .

٢- أوهام الكهف

وهي عبارة عن الأوهام التي تنشأ عن الظروف المحيطة بـــالفرد ، فتحصر عقليته في إطار معين من التفكير وتفرض عليه نوعاً مـــن العزلة.

٣- أوهام السوق

وهي الأوهام التي تنشأ من ميل الـــذهن إلـــى الانبهـــار بالألفـــاظ المستعملة في التجارة واجتماع الناس بعضهم ببعض .

٤- أوهام المسرح

وهي الأوهام التي انحدرت إلينا من مذاهب الأقدمين وعقائدهم ويتم تقديسها لمجرد أنها قديمة دون العناية باختبار مدى صحتها[١] .

وهكذا يرى بيكون أن الشك المنهجي يقتضينا أن نتوقـــف وقفة محدودة نتأمل فيها الأوهام الشائعة التي نشأنا على احترامهـــا وتصديقها لمجرد أننا وجدنا من سبقونا قد اعتقدوا صحتها ، وبذلك نخلص العقل من القيود التي تكبله ونجعله صـــفحة بيضـــاء قابلـــة لاستقبال المعرفة الجديدة[٢] .

أما الفيلسوف **ديكارت** فهو أول من تناول الشك المنهجـــي

---

(١) انظر : الفلسفة الحديثة عرض ونقد أحمد السيد رمضان (٨٨) . مكتبة الإيمان المنصورة.

(٢) انظر : مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٩٦) .

صراحة في العصر الحديث ورأى ضرورته في حياتنا عموماً لأجل الوصول إلى الحقيقة واليقين .

وقد اتخذ ديكارت خطوات في الشك تكاد تتطابق في أجزاء كثيرة منها مع الخطوات التي استخدمها الغزالي [١] وهي كالتالي :

أولاً الشك في التقليد :

وهو بهذه الخطوة يهدف للشك فيما تلقاه في صباه وطفولته مما كان يظنه من المسلمات والبديهيات ويقول في ذلك " ليس بالأمر الجديد ما تبينت من أنني منذ حداثة سني قد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة وكنت أحسبها صحيحة ؛ وأن ما بنيته منذ ذلك الحين على مبادئ هذا حالها من الزعزعة والاضطراب ، لا يمكن أن يكون إلا شيئاً مشكوكاً فيه جداً .. فحكمت حينئذ بأنه لابد لي مرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل ، ولابد لي من بناء جديد من الأسس إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم شيئاً وطيداً مستقراً "[٢] .

ثانياً : الشك في الحواس

وقد كانت المعرفة الحسية موضع ثقة وتصديق عنده ثم لم يلبث بعد المعاينة والتجريب انعدمت ثقته بها وفي ذلك يقول : " كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه من أصدق الأشياء وأوثقها ، قد

---

(١) انظر : المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت محمود زقزوق (١٥) ،
وانظر أيضاً : المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري : زكي نجيب محمود (٣٢٠)، دار الشروق .

(٢) التأملات في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت (٥٣) ترجمة عثمان ، أمين مكتبة القاهرة الحديثة ، ط :الثانية ، ١٩٥٦م .

اكتسبته من الحواس أو بواسطة الحواس غير أنـــي جربــت هــذه الحواس في بعض الأحيان فوجدتها خداعة ومن الحكمة ألا نطمــئن يحل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة "[١] .

ثالثاً : الشك في العقليات

ولم ينته به الشك عند الحواس بل تجاوز به إلى التشــكيك في الأمور العقلية ويصور ذلك بقوله لما كنت أرى أحياناً أن أناساً يغلطون في الأمور التي يحسبون أنهم أعلم الناس بها فما يـــدريني لعله قد أراد أن أغلط أنا أيضاً كلما جمعت اثنـــين إلـــى ثلاثـــة أو أحصيت أضلاع مربع ما"[٢].

وعزز هذا الشك كما فعل الغزالي بجانب الرؤى والمنامات فيقول : " ولكن عندما أطيل التفكير في الأمر ، أتذكر أني كثيراً ما انخدعت في النوم بأشباه هذه الرؤى، وعندما أقف عند هذا الخاطر أرى بغاية الجلاء أنه ليس هناك إمارات يقينية نستطيع بها أن نميز بين اليقظة والنوم تمييزاً دقيقاً، فيساورني الذهول وأن ذهولي لعظيم ، حتى يكاد يصل إلى إقناعي بأني نائم "[٣] .

وكان خروج ديكارت من شكه الافتراضي مختلفـــاً عـــن الغزالي فقد كان عن طريق إثبات الذات المفكرة وهو أنه كلما أمعن في الشك ازداد يقيناً بأنه موجود ويشك أو بالأحرى موجود ويعرف أنه يفكر ويشك ، ومن هنا وصل ديكارت إلى حقيقة أولية مفادها أنه

---

(١) المرجع السابق :(٥٤).

(٢) المرجع السابق : (٥٥) .

(٣) نقد العقل بين الغزالي وكانت : عبدالله الفلاحي (٨٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط: الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٣ .

لا مجال للشك على الإطلاق في حقيقة وجوده كإنسان يشك ويفكر "[1].

ويعتبر منهج " **هوسرل** "[2] (١٨٥٩ - ١٩٣٨م) شبيهاً بمنهج ديكارت حيث يدعو إلى التخلص من التقليد والآراء السابقة لأجل الوصول إلى اليقين والحقيقة بعيداً عن تأثيرها ويقول في ذلك : (يجب التحرر من كل رأي سابق ، باعتبار أن ما ليس متبرهناً ببرهان ضروري فلا قيمة له "[3].

وهو يمتنع عن إطلاق أي حكم على الموجودات التي تتناول وجود العالم، بل ووجود الله أيضاً ، إلا أن التوقف يكون مؤقتاً بحيث يتيح للعقل الإنساني النظر في القضية أو الموضوع المراد بحثه نظراً خالياً من أي تأثير[4] .

ومن خلال هذا العرض التاريخي لبعض نماذج الشك المنهجي يتضح الفرق الكبير بينه وبين الشك المذهبي (الهادم) وكيف أن أصحاب الشك المنهجي في غاية الحرص للوصول إلى الحقيقة واليقين وأنهم قصدوا به أن يكون وسيلة صحيحة وسليمة للوصول إلى المعرفة الحقيقية الصحيحة .

والشك المنهجي عند أصحابه وسيلة كبيرة لتخليص العقل

---

(١) فلسفة ديكارت ومنهجه : مهدي فضل الله (٩٢)، دار الطليعة ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٩٩٦م.

(٢) فيلسوف الماني مؤسس المدرسة الظواهرية اهتم بالمنطق والرياضيات ومن مؤلفاته "الفلسفة الأولى " انظر : الموسوعة الفلسفية : عبدالرحمن بدوي (٢/٤٦٠).

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم (٤٦٠).

(٤) انظر : فلسفة الشك ، أطروحات العقل الفينومينولوجي وشواهدها في الفكر العربي المعاصر : محمد بن سعود البشر (٢٥) ، دار عالم الكتب ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

من الأوهام والأفكار الناقصة أو المستعجلة التي اكتسبها الإنسان من المجتمع دون أن تتاح له فرصة لتمحيصها وعرضها على الأسس الدينية والعقلية المسلم بها سلفاً .

وهذا ما يجعلنا نشير إلى أن أصحاب الشك المنهجي ينطلقون دائماً – أو – من أفكار وأسس دينية وعقلية لا يمكن التشكيك فيها وجعلها تحت مظلة الشك وإلا لأدى بهم الأمر إلى الخروج بهذا الشك إلى الجانب الهادم أو الإلحادي . وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء الإسلام عندما تكلم عن المبادئ الأولية فقال "لأن غاية البرهان أن ينتهي إليها ، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث "[(١)] .

وإذا طبق الشك المنهجي على الأسس العلمية المعتبرة فهو مرحلة عقلية مهمة للتفكير الصحيح فهو يجعلنا نبدأ بحثنا حذرين من أن تكون أفكارنا الأولى خاطئة أو منحازة أو شخصية . وهذا هو الذي يساعد التفكير الصحيح والنهضات الفكرية والبحث عن احتمالات وفروض جديدة مستندة للأفكار الأصيلة .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/٣١٠). تحقيق محمد رشاد سالم ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ

المبحث الثاني : الشك المطلق

وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة ، وانعدام الثقة في أدواتها ، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة فيبدأ صاحبه شاكاً وينتهي شاكاً ، وهو يتفادى الخلافات التي تثور بين العلماء والفلاسفة فيلجأ للأمان ويؤثر الترجيح أو الاحتمال أو التوقف عن إصدار الحكم وذلك حسب التوجه الفلسفي المنبثق منه هذا الشك [١] .

وقد تعرضنا فيما سبق لنشأته التاريخية وذلك من خلال استعراضنا للعصر اليوناني والعصر الوسيط والعصر الحديث وسيأتي بيان لتأثيراته في الفلسفة الحديثة في المباحث القادمة . وهذا

---

(١) انظر : أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣٠٧) .

النوع من الشك يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين يندرج تحت كل قسم بعض الصور المتعددة المتفرعة منه وأبرز أقسامه ما يلي :-

القسم الأول : الشك الكلي :

وهو الشك الهادم المتطرف الذي يكون الشك فيه عاماً شاملاً وهو على صورتين :

الصورة الأولى : الشك الكلي في المعرفة :

وهو الشك الذي ينكر كل صورة من صور المعرفة أو وسائلها ، والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة على أوسع معانيها دون مراعاة لنوعية العلم أو المعرفة التي يسعى المرء للحصول عليها، أي بدون مراعاة لما إذا كان هذا العلم المطلوب علماً مطلقاً قاطعاً بصورة واضحة أو علماً قابلاً للتصحيح يمكن تعويضه بعلم آخر إذا اقتضى الأمر[1].

وتتمثل هذه الصورة من الشك في الشك البيروني الذي سبقت الإشارة إليه. وهو الشك الذي يتوقف عن الإيجاب والسلب، وينكر إمكان المعرفة باطلاق.

وهذه الصورة من صور الشك هي الذي يطلق عليها العرب مصطلح (**اللاأدرية**) ووصفوهم بأنهم من يقدحون في كل من الحس والعقل ويتوقفون عن الحكم ، لأنه ليس بعد الحس والعقل من حاكم إلا النظر، والنظر فرع الحس والعقل فباطل ببطلانهما، وأنه لا

---

(١) انظر : مجلة الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، شوال ١٣٩٦هـ ، اكتوبر ، ١٩٧٦م ، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة الشك : محمود زقزوق (١٣٤) .

ضرورة، فيجب التوقف في الحكم بوجود كل شيء وفي علمنا به[1].

وهذا التوقف عن الحكم من شأنه أن يورث حالاً من عدم القابلية للتأثر والسكينة الكاملة في النفس والتحرر من العاطفة وضرباً من اللامبالاة بالأشياء الخارجية[2]. وهذا ما سيكون له مزيد إيضاح في الحديث عن آثار الشك على الفرد والمجتمع في الباب الثالث .

الصورة الثانية : الشك الكلي في الحقيقة :

وهو الشك الذي لا ينكر إمكان معرفة الحقيقة وحسب بل ينكر الحقيقة ذاتها.

ويمكن جعل " الشك في الحقيقة " على وجهين:

١- إنكار وجود حقيقة موضوعية مستقلة عن اعترافنا الشخصي وكل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتوضيح مفهوم الحقيقة كانت محاولات قاصرة[3] .

وهو ما عبر عنه السوفسطائي جورجياس بقوله " إنه لا يوجد

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل : علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري : (١ /١٨) ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٢) انظر: تاريخ العلم : جورج سارتون ترجمة توفيق الطويل وآخرين : (٣ /٣٦٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م.

(٣) مجلة الحكمة : (١٣٥) .

شيء... "[1] .

وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب (**العنادية**) وهم الذين يذهبون إلى أن إدراك حقيقة أي شيء – على فـرض وجودها – فوق مقدور البشر، وأن كل ما ندركه من الأشياء إنما هو ظواهرها المتغيرة في كل آن "[2] .

وهم يعاندون في المعرفة ويدعون أنهم جازمون بـأن لا موجـود أصلاً وإنما نشأ مذهبهم من الإشكالات المتعارضة عندهم ؛ إذ مـا من قضايا بديهية أو نظرية إلا ولها معارضـة مثلهـا فـي القـوة تضادهما [3] .

٢– استبقاء مفهوم الحقيقة ، ولكن ليس باعتباره مفهومـاً موضوعياً ، وإنما يؤخذ على أنه مفهوم نسبي لـه اعتبـاره للفـرد المفكر[4] .

وهو ما عبر عنه بروتاجوراس السوفسطائي في عبارتـه المشهورة " الإنسان مقياس كل شيء "[5] .

وهذا النوع من الشك هو ما يطلـق عليـه العـرب اسـم (**العنديّة**) " وهم الذين يذهبون إلى القول بأن كل شيء إنما هـو

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية .

(٢) تمهيد للفلسفة : محمود زقزوق (١٢٦) ، دار المعارف ، ط الخامسة ، ١٩٩٤م .

(٣) نظرية المعرفة : بين القران والفلسفة : راجع الكردي (٨٥) مكتبة المؤيد ط: الأولى ١٤١٢–١٩٩٢م .

(٤) مجلة الحكمة : (١٣٥) .

(٥) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد عبد الرحمن مرحبا (١٧٠) .

بالنسبة إلى من عنده علم بذلك الشيء ، أي بحسب نظره فيه : إن حقاً فحق وإن باطلاً فباطل"[1] .

وهناك نوع من أنواع الشك يقترب من مذهب الشك الكلي ألا وهو الشك المنطقي الكلي " وهو الذي ينكر صحة أي نوع من أنواع قواعد الاستنباط التي بواسطتها يمكن أن يحصل المرء على أحكام جديدة من أحكام معينة ، وهو اتجاه خال من التناقض من حيث المبدأ طالما أنه لم يعط تعليلاً أو تأسيساً لوجهة نظره ، وذلك لأنه إذا أعطى مثل التعليل فسيكون ذلك بالنسبة له بمثابة تناقض ذاتي "[2] .

القسم الثاني : الشك الجزئي :

وهو لا يتضمن إنكار المعرفة أو الحقيقة بإطلاقها أو بمعناها الكلي ، بل هو يختص ببعض الصور والاتجاهات دون البعض الآخر .

وهذا النوع من الشك يتطرق إلى إثبات جزء من الحقيقة ويكون من خلال إثباته وتعصبه لهذا الجزء رافضاً ومشككاً في الجزء المقابل والمضاد لما أثبته .

---

(١) تمهيد للفلسفة : محمود زقزوق (١٢٥).

(٢) مجلة الحكمة : (١٣٦) .

ويندرج تحت هذا العنوان صور من الشكوك يمكن الإشـــارة إلـــى أهمها وهي كالتالي :

الصورة الأولى : الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس :

وهذه الصورة من الشك تنفي وبكل بساطة كل شيء خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد وتعتبر الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وكل معرفة جاءت من غيرها فهـــي مرفوضـــة وغيـــر صحيحة، ويسمون كل شيء خارج عن نطاق الحس " ميتافيزيقـــا"، وحتى نفهم هذه الصورة من صور الشك يجـــدر بنـــا أن نعـــرف الميتافيزيقيا

فعند العودة إلى المصادر اللغوية نجد أنها مكونة من كلمتين هما :

ميتا = **Meta** تعني ما بعد .

فيزيقيا = **Physice** وتعني الطبيعية .

وقد بدأ استخدام هذا المصطلح في القرن الأول قبل الميلاد وبالتحديد عند أرسطو طاليس الذي كان يعني به الإلهيات أو الفلسفة الأولى ومنه انتقل هذا التعريف إلى تلاميذه وشـــراحه ســـواء فـــي اليونان أو من العرب، فنجد أن الكندي يسميها الفلســـفة الأولـــى ، **والرازي** يطلق عليها العلم الإلهي ، أما **ابـــن ســـينا**[1] فيســـميها الفلسفة الإلهية .

---

(١) أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا من "بلخ"احدى قرى بخارى ولـــد عـــام ٣٧٥هـــــطبيب وفيلسوف من القرامطة الباطنيين من أبرز مؤلفاته (الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتنبيهات) . انظر الأعـــلام للزركلي (٢٤١/٢)

وظلت الميتافيزيقيا تنمو في هذا النطاق الذي حدده أرسطو طوال العصور الوسطى وفي أوائل العصر الحديث كما هو الحال عند " **ديكارت** " و" **سيبنوزا**" وغيرهم إلى أن جاء " **كانت** " فأشار إلى مشكلة الميتافيزيقيا وإمكانية قيامها من عدمه، وهذا ما سنعرض له في هذا المبحث [1] .

والشك الميتافيزيقي يتجه إلى الإنكار والتشكيك في كل معرفة خارجة عن نطاق المحسوس ، وعلى هذا فهم يجعلون الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وأن ما لا يدرك بالحواس فليس بموجود و لا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به، ويجعلون كل معارفنا مكتسبة من الحس وحده .

أما ما سوى الحس فهو عندهم وهم وخيال ولا يمت للحقيقة واليقين بأي صلة .

ومن هنا كان الهجوم الكاسح الذي شنه أتباع المذهب الحسي على الأفكار الميتافيزيقية أو ما وراء المحسوس .

ففي **العصور القديمة** تعرضت الميتافيزيقيا في كثير من مباحثها إلى الهجوم خاصة من أصحاب الشك المطلق كما هو عند الشكاك البيرونيين ومن سبقهم من السوفسطائيين وذلك من حيث رفضهم للوجود بإطلاق أو في جعل الوجود قائماً على وجود

---

(١) للمزيد من تعريف الميتافيزيقيا انظر :

ـــ موسوعة لالاند الفلسفية : (٢ / ٧٩٠) ، منشورات عويدات ، بيروت ـــ باريس ، ط الأولى ١٩٩٦م .

ـــ الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء الروس (٥١٤) .

ـــ موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي : (٢ /٤٣٩). ـــ الموسوعة الفلسفية العربية: معن زياد: (١ / ٧١٣).

الإنسان نفسه وجعله هو المحور الحقيقي للحقيقــة ، وكــذلك فــي رفضهم للعقل واعتبار الحس هو المقياس الوحيد الذي تقــوم عليــه المعرفة وكذلك رفضهم للذات الإلهية وما يتعلــق بعــالم الغيــب والتشكيك فيما هو خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد ، والأصل في الشك أنه تعليق للحكم أو توقف عن إصداره ويكفي هــذا لهــدم المعرفة بكليتها [١] .

ونحن عندما نعتبر السوفســطائية هــم أول مــن تصــدى للميتافيزيقيا فإنما نعني اتجاههم إلى إنكار مواضيعها وبعض أجزائها وإلا ففي عهدهم لم يكن لهذا المصطلح وجود كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وفي **العصور الوســطى** كان توجيه النقد العلنــي للتفكيــر الميتافيزيقي الذي ارتضته الكنيسة تأييداً للعقيدة المســيحية أمــراً محرماً ومع هذا لا يشك المؤرخون في وجود حركات قوية خفيــة معادية للتفكير الميتافيزيقي في هذه العصور[٢].

أما في **العصر الحديث** فقد اشتد الهجوم على الميتافيزيقيا أو ما وراء الطبيعة وذلك من خلال العديد من المدارس الفلسفية التي تختلف من حيث الدعوى والمنطلق وتتحد جميعاً في نفي عالم مــا بعد المحسوس [٣] .

---

(١) انظر : أسس الفلسفة: توفيق الطويل (٢٥٦).

(٢) المرجع السابق (٢٥٧).

(٣) انظر : المعرفة في الإسلام: د . عبدالله القرني (٤٩١) دار عالم الفوائد ط : الأولى ١٤١٩هـ .

ويأتي في المقدمة **المدرسة التجريبية الحسية** التي تعتبر الحواس المصدر الوحيد للمعرفة وأنه لا يمكن تصور شيء خارج نطاق المادة المحسوسة وعلى هذا فهم يجمعون على أن الإنسان إذا فقد إحدى حواسه فإنه بالتالي يفقد المعرفة المتعلقة بتلك الحاسة التي فقدها ، فكأن الحواس بمثابة النوافذ للإنسان للوصول إلى المعرفة الخارجية ولعل في عبارة جون لوك زعيم الحسيين التي يقول فيها : " إذا سألك سائل : متى بدأت تفكر ؟ فيجب أن تكون الإجابة : حينما بدأت أحس " [١] أصدق مثال على توضيح مذهب الحسيين وهو يقول في موطن آخر يعظم فيه من أهمية التجربة وكونها مصدراً أساسياً للأفكار ويقدم فيه صياغة كاملة للمذهب الحسي : " لنفترض أن العقل صفحة بيضاء خالية من كل صورة أو فكرة فكيف له أن يمتلئ إذن ؟ من أين له كل مواد الفهم والمعرفة التي نجدها فيه؟ على هذا أجيب بكلمة واحدة : التجربة . ففيها تقوم كل معرفتنا ومنها تشتق كلياً "[٢] .

وإذا عرفنا مذهبهم القائم على الحس وحده نفهم هجومهم الشديد على ما وراء الطبيعة حيث يقول **فولتير**[٣] (١٩٩٤-١٧٧٨)م: " إذا رأيت اثنين يتناقشان في موضوع ولا يفهم أحدهما الآخر فاعلم أنهما يتناقشان في الميتافيزيقيا[٤]"ويشبه **وليم جيمس**[١]

---

(١) ما هي الفلسفة للدكتور : حسين علي ، (٢٣) دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م القاهرة .

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة (٥١١/٢) .

(٣) فيلسوف فرنسي من أبرز الفلاسفة التجريين ومن مؤلفاته " مقالات حول الإنسان " .

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (١٧٠/٢) .

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢٠١/٢) .

(٤) أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٢٥٦).

(١٨٤٢-١٩١٠م) الفيلسوف الميتافيزيقي بالأعمى الذي يبحث في حجرة مظلمة عن قطة أو قبعة سوداء لا وجود لها[٢] .

ولم يختلف كثيراً موقف **الوضعية المنطقية الحديثة** [٣] عن الوصفية التجريبية السابقة فقد اتخذت موقفاً معادياً لما بعد الطبيعة وذلك بناء على منهجهم الذي كما يقول الدكتور/ عبدالله القرني(يعتمد على تحليل اللغة على أساس أن كل عبارة لا بد أن يقابلها حقيقة محسوسة ليكون لها معنى ، وأن كل كلمة لا يتحقق فيها هذا الشرط فليس لها معنى ، فضلاً عن أن تكون كاذبة) [٤] .

وقد جعلت المدرسة الوضعية المنطقية من أهم أسسها استبعاد الأحكام الميتافيزيقية من كافة العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية أن لم نقل من المعرفة البشرية بصفة عامة[٥] .

ويعبر عن ذلك **كارنب** [٦] (١٩٨١-١٩٧٠م) بقوله :(ان قضايا العلوم الرياضية والعلوم التجريبية هي وحدها التي تحمل

---

(١) فيلسوف امريكي برجماتي نفعي من أبرز مؤلفاته " الذرائعية " .

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديمين (١٧٣) .

(٢) انظر : أسس الفلسفة (٢٥٦).

(٣) ضرب من الوضعية الجديدة نشأت من خلال جماعة فينا ومن أبرز علمائها كارنب وتحاول الربط بين التجريبية والتحليل .

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديمين السوفياتيين (٥٨٤) .

(٤) المعرفة في الإسلام للدكتور : عبدالله القرني (٤٩٨).

(٥) انظر : دراسات في الفلسفة المعاصرة : د . زكريا إبراهيم (٢٨٥) ، مكتبة مصر بدون تاريخ .

(٦) فيلسوف عاش في الولايات المتحدة وهو من أبرز زعماء الوضعية المنطقية الحديثة من أبرز كتبه " المعنى والضرورة " و " مقدمة إلى نظرية المدلولات اللفظية " .

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٢٣).

معنى أما غيرها من قضايا العلوم المزعومة الأخرى فإنها عديمة المعنى)[1].

وهم يركزون ويبنون منهجهم المعرفي على المحسوس والمجرب وما وراء ذلك فهو وهم وخيال كما يؤكد ذلك كارنب نفسه بقوله :(سأخلع صفة ميتافيزيقي على كل تلك القضايا التي تدعي تمثيل المعرفة بشأن شيء يفوق أو يتجاوز أي خبرة) [2] .

وبما أن الماورائيات أو الغيب أو الميتافيزيقا تقوم أصلاً على مبادئ تفوق مجال الخبرة الحسية ، كان من المستحيل–عندهم– التحقق من صحتها وعلى هذا فهي مرفوضة لا لشيء إلا لكونها فارغة من المعنى .

بل إنهم يعتبرون كل ما هو خارج عن نطاق المحسوس من باب العبث والعواطف الانفعالية التي لا تستند على العلم والمعرفة فيقول الفيلسوف **آير** (١٩١٠–)[3] " وإنما تنشأ الميتافيزيقيا عن رغبة الناس في الامتداد بعواطفهم وانفعالاتهم إلى ما وراء حدودها المشروعة فنراهم يعبرون عنها على صورة نظريات ويقدمونها على شكل وقائع موضوعية ... ولكنهم عندئذ لا يقررون في الواقع أي شيء " [4] .

---

(١) أسس الفلسفة: توفيق الطويل (٢٧٦).

(٢) المادية في الفكر الفلسفي: د . أحمد السيد رمضان (١٥٣) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

(٣) فيلسوف إنجليزي لم أقف على تاريخ وفاته وهو ممن ينتسب للوضعية المنطقية الحديثة ومن أبرز مؤلفاته : أسس المعرفة التجريبية " .
انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/١٦٥).

(٤) أسس الفلسفة: السيد عبد الرحمن (١٤٦) دار الحكمة ط : الأولى ١٤١٣–١٩٩٢م.

وهذا ما يؤكده زكي نجيب محمود بقوله " يزعم لنا الميتافيزنفي أنه قد جاءنا بعلم عن الحقيقة التي لا تدخل في نطاق الطبيعة المحسوسة المشهودة ، إذ هو يحدثنا عن أشياء تجاوز عالم الشهادة والحس ، فنسأله من أي المقدمات استخلصت نتائجك التي انتهت إليها ؟ أليس يتحتم عليك أن تبدأ بشهادة الحواس ؟ وإن كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن تستنبط من مقدمات حسية نتائج عن حقيقة أخرى خارجة عن نطاق الحواس ؟ إنك إذا بدأت بمقدمات تجريبية وحصرت نفسك فيما تتبئك به فيستحيل أن تستدل على وجود شيء أو صفة مما يخرج عن نطاق التجربة " [1] .

وعلى ما سبق فقد اتضح لنا موقف الوضعية المنطقية الرافض والمشكك في عالم الغيب أو ما وراء الطبيعة على أنهم في واقعهم العلمي التجريبي لم يصلوا إلى مرحلة اليقين بصحة النتائج التي يتوصلون إليها، فها هو كارنب والذي يعتبر من أهم دعاة الوضعية المنطقية يعلق على تجربة القضيب المغناطيسي حول كونه جاذباً للحديد أم لا فيقول : " وكلما كانت نتائج هذه الطرق إيجابية في صالح إثبات صحة القضية تأكدنا من صحتها أكثر وزاد يقينها إلى درجة كافية لجميع الأغراض العلمية أما اليقين المطلق فلا يمكن أن نبلغه أبداً " [2] .

الصورة الثانية : الشك في الواقع الخارجي للأشياء :

---

(١) موقف من الميتافيزيقيا للدكتور: زكي نجيب محمود (٧٨).دار الشروق ١٩٨٠ .

(٢) المادية في الفكر الفلسفي: د . أحمد السيد رمضان (١٥١).

وهذا النوع من الشك يستند إلى نظرية أن الحواس تخطئ باستمرار أو تكون غير سليمة في كثير من أحوالها وعلى هذا فلا يمكن الوثوق بها أو تأسيس معرفة يقينية مبنية على الحواس .

ورتبوا على هذه المقدمة أمراً آخر ألا وهو أن المعطيات التي نأخذها من الحواس كاللون والحرارة والبرودة وغيرها هي مجرد إدراكات فقط ولا يستلزم من هذه الإدراكات وجود واقع خارجي مستقل لهذه الأشياء .

فعندما يحس الإنسان ببرودة شيء أو بحرارته فإنه لا يمكنه التيقن إلا بهذه البرودة أو هذه الحراره وفي هذا يقول باركلي : " الإحساس هو المعطى الوحيد الذي يمكنكم الوصول إليه ، فبأي حق إذن تبحثون خلف هذه الإحساسات عن ضمانة مادية ، الوجود هو الإدراك، وليس العالم شيئاً آخر سوى الإحساسات التي تتكون لديه عنه"[1].

ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله " كل ما يتردد عن وجود مطلق للأشياء لا صلة بينه وبين وجودها المدرك يبدو مجرداً تماماً من المعقولية ، فوجود الأشياء قائم في إدراكها، ومن المستحيل أن يكون لها وجود مستقل عن العقول أو الطبائع المدركة التي تقوم بإدراكها"[2].

---

(١) النظرية المادية في المعرفة روجية جاروي (٧)، ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

(٢) باركلي : يحيى هويدي (١٤٢)، دار المعارف ،مصر .

ويأتي ديفيد هيوم فيتابع القول على هذا الإنكـــار ويقــول " بأي حجة تدلل على أن إدراكات الذهن يجب أن تكون حادثة عــن أشياء خارجة ، وأنه لا يمن أن تحدث عن قوة الذهن نفسه ؟... إن الذهن لا يجد في نفسه سوى إدراكات كافلاً يستطيع أن يتحقق مــن ارتباط هذه الإدراكات بأشياء لا يبلغ إليها "[1].

وهم لا يقضون في استدلالهم على نفي الوجود الخـــارجي للأشياء على عدم سلامة الحواس فقط بل هم يكابرون ويقولون إنـــه لا يمكن الاستدلال على وجودها، وفي النص السابق الذي ذكرنـــاه عن هيوم ما يؤكد ذلك، وقد تابعه على ذلك الكثير من التجريبيين[2] وسيأتي مناقشة لهذا النوع من الشك في الردود على الشكاك ونقض حججهم في الفصل الثاني من الباب الأخير.

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة :يوسف كرم (١٧٧- ١٨٧).

(٢) انظر : المسائل الرئيسية في الفلسفة أير (٨٣- ٨٤) ، ترجمة : محمود زيدان ، الهيئة العامة لشئون المطـــابع الأميرية مصر (١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م).

الصورة الثالثة : الشك التجريبي

وهذا النوع من الشك ينحصر ويتركز في العلوم التجريبية العلمية المعتمدة على الحس والتجربة والمشاهدة .

فكما هو معلوم أننا نستقي المعرفة من الحس كما هو العقل وهذه المحسوسات يطبق عليها نظام التجربة والمشاهدة وعلى ضوء ملاحظتنا وإدراكاتنا نستنبط منها المعرفة والقوانين الطبيعية ولا شك أن هناك أسساً وقواعد عقلية يقينية النتائج هيأها الله سبحانه وتعالى للإنسان بها يستنبط ويقايس حتى يصل إلى معرفة ونتيجة مطمئنة.

وهذه الأسس والقواعد موثوقة وأثبتت التجارب والمشاهدات صدقها وصحة نتائجها.

والصورة الشكية التي نعرض لها الآن تنصب على هــذه الأسس والقواعد فتشكك فيها وفي صحة نتائجها أو ترفضها جملــة وتنفي كونها قانوناً ومنهجاً يتوصل به إلى إثبات أي شيء .

ومن أهم القوانين التي تعرض لها بالنفي والشك ما يلي :

١- إنكار السببية أو العلية :

وقبل أن نشرح في بيان هذه الصورة الشكية أو الإنكاريــة يجب أن نعرف ما هي السببية ؟

فنجد أنها مأخوذة من السبب وهو في اللغة الحبل ثم استعير لمعنى الحادثة، التي يتولد عنها حادثة أخرى، فكأنما هــي حبــل موصول إليها، والمقصود بالسببية في الاصطلاح : هي ضرورة أن

يكون لكل حادثة سبب أو هي الصلة والعلاقة بين الحادثتين المطردتين بانتظام [1].

وهذه الصورة الشكية ترفض هذه العلاقة بين السبب والمسبب أو بين العلة والمعلول وتجعل الأمر وكأنه اقتران وتجاور لحادثتين جعلنا طول تكرارها واقترانها سوياً أن نفهم أن بينها علاقة سببية وإلا فعندهم أنه ليس بينهما أي علاقة ولا سبب أبداً.

وهذا الإنكار لمبدأ السببية بدأ عند الأشاعرة من أمثال الباقلاني والجويني وأبي حامد الغزالي [2].

وفي هذا يقول الغزالي : " إن جميع أحداث الكون أفعال مباشرة لله سبحانه بدون تلك الأسباب ، فاحتراق الخشب الذي جمعه قوم إبراهيم لإحراقه بالنار وكونها برداً وسلاماً عليه لا فرق بينهما فيما عدا التداعي الذهني- ومن هنا : فلا تحتوي السببية على أي تأثير متبادل بين السبب والمسبب، وليست بالتالي مبدأ فطرياً"[3].

والأشاعرة ينفون السببية ويجعلون إثباتها قدحاً في توحيد ربوبية الله سبحانه وتعالى باعتبار أنها تجرد الله من الفعل وتنسبه للسبب بل إن دحلان[4] قد جعل إثباتها شركاً أو ابتداعاً حين يقول : "ومن أصناف الشرك : إضافة الفعل لغير الله سبحانه وتعالى ، ومنه ما أضيف من أفعال البعض من أن النار تحرق ، والطعام يشبع

---

(١) انظر : التعريفات للجرجاني (٨١) انظر ايضا : المعجم الفلسفي جميل صلبيا (١/ ٤٣٣) وما بعدها .

(٢) انظر : لن تلحد : أبوعبد الرحمن الظاهري (٣٩)، الكتاب العربي السعودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣م .

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي (١٨٧) ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، المكتبة الحديثة.

(٤) أحمد بن زيني ، فقيه شافعي ،ومتكلم أشعري توفي عام١٣٠٤ انظر : الأعلام : للزركلي (٨٢/١) .

والثوب يستر ... فمن قال بطبعها تفعل فلا خلاف في كفره ، ومن قال بقوة جعلها الله فيها كان مبتدعاً وقد اختلف في كفره" [١].

وقد تابع التجريبيون الأشاعرة في نقدهم وإنكـــارهم لمبـــدأ السببية وكان من أوائل من أنكر العلية من الفلاسفة التجريبيين فـــي العصر الحديث الفيلسوف الفرنسي **مـــالبرانش**[٢] (١٦٣٨-١٧١٥) الذي قدّم بحوثاً كثيرة في نفي العلية وإرجاع كل الحوادث إلـــى الله مباشرة دون ترتيب أسباب للحوادث وفي هذا يقول " لا علّة إلا مـــا أدرك العقل بينها وبين معلولها علاقة ضرورية والله جل جلاله هو العلة الحقيقية للأشياء"[٣].

وتابعه **هيوم** على ذلك فيقول: " كل ما هنالـــك أن العلـــة شيء كثر بعده تكرار شيء آخر حتى إن حضور الأول يجعلنا دائماً نفكر في الثاني "[٤].

وهؤلاء المنكرون متذبذبون فنجد البعض منهم لا يســـتطيع طرد الضرورة الحتمية للسببية فيحاول إثباتها ولكن ينســـبها إلـــى التجربة والاستقراء وعلى هذا فهي عنده لا تدل علـــى الضـــرورة وإنما تدل على الاحتمال والإمكان فقط ومنهم الفيلسوف **ســـتوارت مل** الذي يقول في ذلك " إن قانون السببية نفسه الذي تكون معرفتنا به هي العمود الرئيسي ، ليس إلا الصدق المـــألوف المعتـــاد عـــن

---

(١) نقلا من كتاب مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزنيدي (٥٥٢) .

(٢) فيلسوف فرنسي ، تخرج من جامعة السربون ثم صار كاهناً من أبرز مؤلفاته " بحـــث عـــن الحقيقـــة " " تأملات مسيحية وميتافيزيقية " انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني الفا (٤٤٢/٢).

(٣) لن تلحد :أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، (٣٩).

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم (١٧٥).

التتابع أو التوالي الثابت الذي لا يتغير والذي نجده عن طريق الملاحظة بين كل واقعة في الطبيعة وواقعة أخرى غيرها تكون أسبق منها"[1].

٢- إنكار الاستقراء والتشكيك فيه وفي نتائجه:

والاستقراء الذي ينكره الشكاك هو : استنتاج قضية كلية من مقدمات جزئية والاستقراء من خلال الدراسة للجزئيات يصل إلى فرض القوانين الكلية وإصدار التعميمات فإذا رأينا مثلاً هذه القطعة من الخشب تحترق إذا عرضت للنار والقطعة الثانية والثالثة... الخ فإننا سنجزم بالاستقراء أن الخشب يحترق كلما وضع على النار.

وهؤلاء الشكاك يرفضون هذا الاستقراء واطراد الحكم فيه وذلك أنهم يقولون إننا وضعنا حكماً كلياً عاماً على جزئيات وعندهم لايمكن الانتقال من حكم جزئي إلى حكم كلي ففي المثال الذي ذكرناه سابقاً فإنهم يقولون ما أدراكم أن يأتي يوم لا تكون النار محرقة فيه للخشب حتى وإن كانت خبرتنا الحاضرة تؤكد إحراق النار للخشب[2].

ويعتبر **هيوم** من أكثر المنظرين لهذا لنوع من الشك وهو مبني عنده على رفض السببية في الأصل فهو يرى أن الأحكام التجريبية لا يمكن أن تكون ضرورية ولا يمكن اعتبار الاطراد في

---

(١) مدخل إلى الميتافيزيقيا : عزمي إسلام (١٩١) مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ط: الأولى ، ١٩٧٧م .

(٢) انظر: الاستقراء والمنهج العلمي : محمود فهمي زيدان (٥٨) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط : الأولى ، ٢٠٠٢م.

التجربة والاستقراء ، لأن الاستقراء لابد له من أساس حتى نحكم بضرورة الاطراد فيه ، ومجرد التتابع بين الأسباب والمسببات لا يدل على ضرورة الاطراد بينها ، وعلى هذا لا يكون للاستقراء أساس[(١)].

ويتابعه **برتراندرسل** فيقول " مبدأ الاستقراء ليس فقط مشكوكاً فيه بل وأيضا باطل " [(٢)].

ويقتفي **زكي نجيب محمود** رأي من سبقه من الشكاك فيقول " لا استحالة أن يكون الحكم نقيض ماهو الآن ، لأنه لا استحالة في أن يتصور العقل أن تكون خصائص الأشياء على غير ما هي عليه .... هل هناك استحالة عقلية في أن أتصور الشجر وقد أورق في الشتاء وذوت أوراقه في الصيف ؟ وما دام الأمر في حدود التصور الواضح إذن فهو عند العقل ممكن الوقوع ، وإذن فلا استحالة فيه ولا تناقض، ولا يمكن البرهنة على بطلانه برهاناً يقوم على العقل المجرد ..... إن تكرارك للخبرة المعينة آلاف المرات ، ووصولك في كل هذه المرات إلى النتيجة عينها لا يجعل استدلالك للخبرة الجديدة التي من نفس النوع استدلالاً تعينياً ، لأن هنالك دائماً الإمكان العقلي بأن تغير الطبيعة مجراها فلا تأتي الأشياء على غرار ما أتت .... وما دام هذا الانحراف ممكناً أحياناً فلماذا لا يمكن دائماً "[(٣)].

---

(١) انظر : الأسس المنطقية للاستقراء :محمد باقر الصدر (١٠٠)، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة.

(٢) موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي (١ / ٥٢٣).

(٣) ديفيد هيوم :زكي نجيب محمود (٧٥– ٧٧).

وكما صنع **ستوارت مل** في السببية عندما أثبتها وأرجعها للحس والتجربة وهذا من تذبذبه واضطرابه فإنه هنا أيضا يثبت نتائج الاستقراء ويجعلها مطردة ولكنه يرجع ذلك إلى الاستقراء نفسه وليس لأنه مبدأ عقلي ضروريً فيقول عن الاطراد: " هذه الروابط دائمة ، أي تكون دائماً هي هي إذا توافرت نفس الظروف ، والمشابهة التي تربط بين الظواهر والمتواليات الدائمة التي على أساسها تتوالى المقدمات والتوالي هي ما نسميه قوانين"(١).

(١) مدخل جديد إلى الفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، (١٦٧).

المبحث الثالث : الشك الاعتقادي :

وهذا النوع من الشك هو الذي يستهدف العقائد الدينية التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى وجاء بها الوحي المنزّل على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم .

والشاك في هذا النوع إما أن يتجه إلى إنكار الدين بذاته فيرفض الوحي جملة وينكر بعث الأنبياء والكتب المنزلة عليهم من السماء أو يكون شكه جزئياً في بعض الأحكام والاعتقادات التي تضمنتها الشرائع والديانات ، فنجده ينكر الملائكة أو عذاب القبر أو يرد بعض النصوص النبوية الصحيحة ويجعل له حججاً وبراهين إما عقلية أو حسية ترد كل هذه الاعتقادات الصحيحة .

وهذا النوع من الشك يتخذ عدة صور يمكن الإشارة إليها هنا باختصار ومن ثم نورد الأمثلة عليها عند حديثنا عن وجود هذا الشك عند الفرق الكلامية والصوفية والباطنية وغيرها وذلك في الباب الثاني من هذا البحث الذي أفردناه لهذه الفرق ومن أهم الصور ما يلي :

الصورة الأولى : الشك الذاتي في المعتقد:

وفي هذا الصورة يكون الشاك متشككاً في ذاته وفي اعتقاده الفردي حول هذه العقيدة فهو لم يصل إلى مرحلة الإنكار الكلي لها ولم يصل أيضا إلى مرحلة التسليم واليقين التام بهذه العقيدة فيبقى فيها حائراً متذبذباً لم يصل إلى نتيجة نهائية فيما يتعلق بالقبول أو الرفض لها فيؤثر الصمت حولها أو إيراد الحجج المتقابلة دون

ترجيح أو إعلان الشك التام الصريح في هذه المسألة، وتتكافأ الأدلة لديه ولا يصل إلى معتقد واضح فيها .

الصورة الثانية : تشكيك الناس في العقائد :

وهذه الصورة ينهجها أعداء الدين؛ وذلك أنهم في سعيهم للقضاء على الدين ومحاربتهم لأهله ورغبتهم الشديدة في زعزعة اليقين لدى أصحابه يلجأون للتشكيك في الدين ذاته وفي كل مصادره بداية من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالتشكيك في النبوة والكتاب ونهاية ببعض العقائد الدينية الشرعية التي جاء بها الدين.

وهذه الصورة هي التي ينهجها الكفار والمشركون وأعداء الدين منذ عهد النبوة إلى عهدنا الحاضر كما قال الله سبحانه وتعالى عنهم : {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى* وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[1].

فهم في الأصل منكرون للدين أو لبعض العقائد التي جاء بها، ولكنهم يشككون الناس ويحققون بهذه الوسيلة التشكيكية صرف الناس عن دينهم واعتقادهم وزعزعة مصادرهم الدينية الربانية .

---

(١) النجم (٢٧- ٢٩) .

الصورة الثالثة : الإنكار للدين أو بعض العقائد:

وهذه الصورة هي الظاهرة فأصــحابها لا يتشــككون بــل ينكرون ولا يتوقفون بل يجزمون بالإنكار ويجاهرون بــه ونحــن نضعهم في مصاف الشكاك لعدة اعتبارات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١- أن الملحد أو المنكر للاعتقادات الدينية يعارض أمراً صحيحاً فطرياً يجعلنا نجزم يقيناً بخطأه ، وهو عندما ينكر كل هذه الأمور الفطرية الضرورية والتي هي في الواقع مملوكة لديه ونعني بها فطرية الإيمان بالله والمحسوسات والمعقولات وكل ما يتعلق بها من اعتقادات، فهو على هذا متذبذب بين ما وهب له من ضروريات وفطرة وبين إنكاره الصريح لها فيكون شاكاً بهذا الاعتبار [١].

٢- أن المتتبع لأحوال هؤلاء المنكرين وخاصة لــبعض العقائد الدينية يجدهم ينكرون أمراً معيناً ومن ثم يتناقضون فيثبتــون نقيضاً لها مما يتساوى معه في مبرراته ، ولأنهم لم يقيمــوا أسســاً منهجية واضحة فكل هذا جعلهم يضطربون ويتحيرون، فلأجل ذلك فهم في الأصل متشككين، وليس لديهم قناعة واضحة بما ينكرون .

٣- أن كثيراً من هذه الإنكارات جاءت عند فلاسفة مذهبهم العام هو الشك، ولكنهم في بعض الاعتقادات يجتهدون في نفيها نفياً مباشراً صريحاً لكي تخدم مذهبهم الشكي العام، سواء كان شاكاً كلياً أو جزئياً معيناً في نوع معين من المعرفة الإنسانية .

---

(١) انظر : لن تلحد : أبوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري (٩٩) .

الفصل الثالث :الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

- تمهيد .
- المبحث الأول/ الشك في العصر اليوناني .
- المبحث الثاني / الشك في العصر الوسيط .
- المبحث الثالث / الشك في العصر الحديث.

تمهيد :

لم يحفظ لنا التاريخ الإنساني وجوداً لمشكلة الشك وما يتعلق به من مشاكل المعرفة والوجود قبل الحضارة اليونانية حيث كـــان اهتمـــام الحضارات الأخرى منصباً على البحث في ماهية الكون وما يتعلق بـــه كالموت والحياة الأخرى، ولم تولِ الجانب المعرفـــي الاهتمـــام الكـــافي والعناية الكبيرة [١].

إضافة إلى أنه لم يكن هناك اهتمام بجوانب التـــدوين والتـــأريخ ، بعكس حضارة اليونان التي نقل إلينا الكثير من مدوناتهم ومؤلفاتهم مع ما حصل في عهدهم من اهتمام بقضايا المعرفة ومشكلاتها والتي لها تعلـــق كبير بالشك الذي هو محور حديثنا وفي هذا يقول الدكتور فيصل بـــدير عون (فكما هو معروف أن أول من تفلسف هم اليونان ، صـــحيح أنـــه كانت آراء متناثرة وحكم شعبية وأســـاطير وغيرهـــا لـــدى الصـــينين والأشوريين والبابليين والهنود ، لكن كل ذلك لم يضم في نسيج واحد) [٢] . ولذا فإننا في تناولنا للجذور التاريخية للشك سنبدأ بالعصـــر اليونـــاني للأهمية التي أشرنا اليها ولما ناله هذا العصر من اهتمام وتأثير في تاريخ الفلسفة قديماً وحديثاً .

---

(١) انظر: الدين عند الإغريق والرومان والمسيحين : أبكار السقاف (١٦-٢٠) دار الإنتشار العربي لبنان ، ط : الأولى ٢٠٠٤م

(٢) محاضرات في الفلسفة القديمة : فيصل بدير عون (٢٥٨) ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣م .

-انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي : مصطفى النشار (١ /٦٧)، دار قباء ، ١٩٩٨م .

- انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها : أميرة حلمي (٢١)، دار قباء ، ١٩٩٨م.

المبحث الأول : الشك في العصر اليوناني:

وسنتناول في هذا المبحث خمس مراحل مر بها الشك اليوناني نوردها مرتبةً كالتالي :-

أولاً : الشك قبل السوفسطائية :

كان أول ظهور للشك في الحضارة اليونانية عبارة عن مقولات حفظت عند بعض الفلاسفة المتقدمين ولكنهم في الجملة لم ينادوا بالشك المطلق أو لم يكن لهم تراث فلسفي يعتمد على الشك بشكل واضح .

ويأتي " **أكسينوفان** [(١)]" (٥٧١-٤٧٥ق.م) على قائمة هؤلاء الفلاسفة فقد أثر عنه قوله : " اليقين الكامل فوق إدراك الإنسان لأن فوق الأشياء ظاهراً يخفي حقائقها[(٢)] " .

ومثله ما وجد عند " **هيراقليطس**[(٣)]" (٥٣٥-٤٧٥ق.م) من آراء تدل على أن المعلومات التي تأتي عن طريق الحواس لا تكفي للوصول إلى الحقيقة ، وأنه لابد من ضرورة التعمق فيما وراء الظواهر المحسوسة من علاقات ومعان ، وأن حقيقة الأشياء تخفى علينا ، لأن

---

(١) ورد في بعض المصادر " كزينوفانس" وقد أثبتنا الذي عليه الأعم الأغلب من المصادر التي أرخت لهذه الفترة وهو فيلسوف يوناني ولد في آسيا الصغرى واستقر في مدينة " إيليا " جنوب إيطاليا وينسب اليه البعض تأسيس الفلسفة الإيليائية انظر :" تاريخ الفلسفة اليونانية " : ماجد فخري (٣١) دار العلم للملاين ط : الأولى ١٩٩١م .

(٢) ديكارت والفلسفة العقلية: راوية عبد المنعم (١٠٧) . دار المعرفة الجامعية بدون تاريخ.

(٣) فيلسوف يوناني ومن أبرز شعرائها ولد في أفسوس في آسيا الصغرى وهو من أسرة أرستقراطية ينسب إلى الفلاسفة الطبيعين ومما ورد من مؤلفاته " في الطبيعة " و " في الكل " .

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية د / محمد مرحبا (١٠١-١٠٢) مؤسسة عز الدين للطباعة ، ط : الأولى ١٤١٤-١١٩٣م .

ظاهرها غير باطنها [1] .

وكان يقول " إن كل الأشياء في تغير مستمر ، فأنت لا تنزل في النهر الواحد مرتين لأن مياهاً متجددة تجري من حولك باســتمرار "[2] . وعلى هذا فهو ينفي معرفتنا بالأشياء على وجه اليقين والدقة لأنها فــي تغير واستمرار كما أنه في الوقت الذي تتيقن فيه أنك نزلت النهر مرتين ينهار هذا اليقين عندما تعلم أنك نزلت نهرين في المرتين أو نزلت فــي كل مرة نهراً جديداً.

يقول الدكتور/ أحمد السيد رمضان " وإذا كانت الأشياء عنده في تغيــر متصل فلا يوجد شيء واحد في ذاته، ولا يوجد شيء يمكن أن يسمى أو أن يوصف بالضبط ، فما نحسه فهو موجود على النحو الذي نحسه ومــا ليس في حسنا فهو غير موجود . وعلى ذلك لا يوجد عنــده مطلــق أو ثبات بل كل ما هو موجود يعتبر نسبياً ، إذا فمعارفنا نسبية "[3].

أما " **بارمينيدس**[4] " (٥٣٠-٤٤٠ق.م) فقد أتت شكوكه منصبة على المعرفة الحسية حيث يرى أن طريق الحق واليقين هو النظر العقلي

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٣٧) .

- انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية أميرة حلمي : (٦٢) .

(٢) مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية : عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٥) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى ، ١٩٧٦م.

(٣) الفلسفة اليونانية عرض ونقد : أحمد السيد رمضان (٤٥) ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م

(٤) فيلسوف يوناني ولد في إيليا جنوب ايطاليا وفد على أثينا وهو في سن الخامسة والستين ومن أبرز مؤلفاتــه كتاب " في طبيعة الأشياء "

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة إعداد روني ألفا (١٨٢/١) مراجعة جورج نحل دار الكتب العلمية لبنان ، ط : الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م

انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٣٨).

أما الحسي فهو طريق اللايقين واللاحقيقة [١] .

" وهوكما يقول فلان يرى أن الحس يـدل علـى الظـاهرات المتغيرة التي لا تفيد غير الظن ولا تغني من الحق شيئاً " [٢] .

وجاء " **ميلسيوس** "[٣] ولم يزد آراء تذكر على آراء اسـتاذه " بارميندس" بل استمر في " نقد مذاهب الطبيعيـين الأوائـل باعتبـار أن سبيلهم في الحكم على الأشياء هو الحس ، والحس خادع "[٤] .

وهكذا وجدت هذه الآراء المبثوثة في أفكـار فلاسـفة اليونـان الأوائل ولكنها لم تكن تشكل مذهباً شكياً قائماً على أسـس الشـك التـي سيأتي الكلام عنها لاحقاً ، ولكن هذه الأقوال شكلت أساساً ومستنداً قويـاً هيأ لظهور حركة شكية قوية أثرت تأثيراً كبيراً في الحياة اليونانية ومـا بعدها ألا وهي حركة السوفسطائية وهو ما سنتعرض له فـي الأسـطر القادمة .

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (١ /١٩٠) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية : محمد عبد الرحمن مرحبا (٩٢) . مؤسسـة عـز الدين ، ط الأولى ، ١٩٩٣م .

(٣) لم تعرف سنة ولادته و وفاته على التحديد ولكنه كان مشهوراً في عام (٤٤١-٤٤٢ ق.م) انظـر تـاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (١ /٢٠٧) .

(٤) الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية : حربي عباس عطيتو (١٧١) ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م .

ثانياً : الشك عند السوفسطائية :

أصل هذا لفظ السفسطة في اليونان (سوفيسطا) وهو مشتق من لفظ " سوفوس " بمعنى حكيم حاذق ، والسفسطة هي الحكمة المموهة حيث أن " سوفا " يعني : العلم و " أسطا " يعني الغلط ، فسوفسطا يعني : علم الغلط[1].

وقد ظهرت في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد على يدي مجموعة من المعلمين الذين استغلوا الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من الحضارة اليونانية حيث يقول نديم الجسر " كانت تطغى فيها على البلاد موجة من الشك والكفر بآلهة الأساطير ، وموجة فتحت للناس أبواب المناصب ، من طريق التلاعب بالجماهير ، فمهروا في تعليم الناس فنون البيان ، والخطابة ، والجدل ، وتزويق الكلام. وكانوا يفخرون بأنهم يستطيعون أن يؤيدوا الرأي ونقيضه ... "[2] وكان ذلك نظير أجر مالي يأخذونه من المتعلمين .

والذي يؤكده أكثر المؤرخين أنهم لم يكونوا أصحاب مذهب فلسفي مشترك ، ولم يكونوا فيما بينهم مدرسة فلسفية ، كما لم يشيد أي منهم مذهباً للفكر ، فلا يوجد بينهم سوى بعض الأفكار المفككة ، ولم تجمع بينهم أية رابطة شخصية ، وإنما كانوا فئة محترفة متناثرة في أنحاء

---

(١) انظر : المعجم الفلسفي : جميل صليبا (١ /٦٥٨) ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢م .

وانظر أيضاً : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٥٧) ، طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م .

(٢) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن : نديم الجسر (٣٦) ، دار الأمد البحيري إخوان طرابلس ١٩٦١م.

اليونان ينشرون تعاليمهم بين الشباب [1].

وتبرز أهميتهم في الحضارة اليونانية أنهم انتقلوا بالفلسفة من البحث في قضايا عامة كالوجود والطبيعة ، وأنزلوا الفلسفة للجانب الإنساني على مستواه الفردي فقد جاءت فلسفة السوفسطائيين تعبر تعبيراً قوياً عن النزعة الفردية يتجلى هذا بخاصة في نظرياتهم السياسية والأخلاقية والتربوية [2] .

وقد استغل السوفسطائية الآراء المتناثرة عند الفلاسفة الذين سبقوهم وبخاصة الآراء التي تقدح في الحس أو العقل أو فيهما معاً إضافة إلى آرائهم في التغير والتحول[3] ومنها خرجوا بمذهبهم في المعرفة الذي سنعرض له من خلال تتبع أبرز زعمائهم .

ومن أبرز من يمثل هذه النزعة :

١- **بروتاجوراس:** (٤٨٠ - ٤١٠ ق .م) وهو يعتبر أقدم السوفسطائيين ، وتتركز آراؤه في الآلهة[4] ، والمعرفة ، والأخلاق والفضيلة . ويمكن إجمالها على النحو التالي:

---

(١) انظر :" أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوروبا في العصر الحديث " (٣٥). رسالة مقدمة من دعاء وجدي محمد فهيم للحصول على درجة الماجستير في الآداب عين شمس (مصر) تخصص فلسفة إشراف : سعد عبد العزيز حباتر ، ١٩٩٥م .

وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية: مصطفى النشار : (٢ /٤١) .

(٢) انظر الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (١١٨) .

(٣) انظر مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٦) .

(٤) والمقصود هنا موقفة من آلهة اليونان ولا يقصد به قضية الألوهية الشرعية فاليونانيين كانوا وثنيين يعبدون الكواكب وغيرها .

❖ موقفه من الآلهة :-

كان يرى تعليق الحكم على وجودها فهو يقول في كتاب له أسماه (الحقيقة)[1] : " لا أستطيع أن أعلم إن كان الألهة موجودين أم غير موجودين ، فإن أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة "[2] .

يقول الدكتور/ مصطفى النشار" وهذا يأتي متسقاً مع نظريته في المعرفة فما دام الإنسان الفرد بحواسه هو معيار وجود الأشياء جميعاً ، فمسألة وجود الآلهة إذن ينبغي أن تخضع لهذه النسبية ولنفس المعيار ، وما دامت الحواس غير قادرة على إدراك هذا النوع من الوجود وجود الآلهة فالموضوع إذن غامض كما أن حياة الإنسان قصيرة لدرجة أنه لا يمكنه أن يأمل في أن تقع الآلهة في نطاق خبراته الحسية ذات يوم "[3] .

وقد أدى به هذا القول في الآلهة إلى أن اتهم بالإلحاد وحكم عليه بالإعدام وأحرقت كتبه علنا ، ففر هارباً ومات غرقاً أثناء فراره[4].

❖ نظريته في المعرفة :-

وهي لا تختلف بالطبع عن النظرة السوفسطائية عموماً ، وقد عبر عنها بعبارته الشهيرة والتي أوردها في كتابه السابق " الحقيقة " وهي " أن الإنسان مقياس الأشياء جميعها ، فهو مقياس وجود ما يوجد

---

(١) انظر في تأكيد صحة نسبة هذا الكتاب له : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٤٦).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٥٩) .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٢ /٤٩) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٢/٥٠) .

منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها "[1].

وهو بهذه العبارات يوضح ويلخص مذهبه في المعرفة الإنسانية إذ يجعل الإنسان هو المعيار الوحيد للمعرفة ، فإن قال عن شيء إنه موجود فهو موجود ، وإن قال عن شيء إنه غير موجود فهو غير موجود.

وقد اختلف في تفسير عبارته السابقة ، هل يقصد بالإنسان أي الأفراد كمحمد وعلي ... ؟ أم يقصد الإنسان بمعناه الكلي ؟

فعلى **القول الأول** تصبح الحقيقة ذاتية نسبية متغيرة بتغير الأفراد حيث أن وجودها يكون من خلال الذات .

أما على **القول الثاني** فتكون الحقيقة كلية ، ليس لها وجود حقيقي في الخارج ، وإنما هي من وضع عقولنا فيما يبدو للبشر موجوداً فهو موجود ، وما يبدو غير موجود فهو غير موجود[2] .

والتفسير الأول هو الذي عليه أغلب الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وهو ما رجحه أكثر المؤرخين للفلسفة ، وهو ما يتوافق مع مذهب السوفسطائية بشكل عام في قولهم بنسبية المعرفة [3] .

وتبعاً لهذا القول عند بروتاجوراس فإن المعرفة (قائمة على أساس الخبرة ، فالحلو والمر والبارد والحار وغير ذلك من الإحساسات

---

(١) المرجع السابق : (٢ /٤٦) .

(٢) انظر : موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي : (١ /٥٩١) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى ، ١٩٨٤م .

انظر أيضاً : الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (١٢١) .

(٣) انظر : أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا: دعاء وجدي (٤٢) .

– انظر أيضاً ، تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٢ / ٤٧) .

لا تتنوع فقط بين الشخص والآخر ، وإنما عند نفس الشخص من لحظة إلى أخرى ، وعلى ذلك فإنه من غير الممكن أن يكون إحساس أصــوب من إحساس ، فالإنسان هو الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدرك[١] .

يقول الدكتور/ مصطفى النشار" وهذا الإقرار المطلــق بنســبية الحقيقة ، واختلافها من شخص إلى آخر تبعاً لإدراكات كل منهما الحسية هو ما جعل بروتاجوراس يقول ببساطة وبدون أن يتنصل مــن نتيجــة فكرته الأساسية : إن القضيتين المتناقضتين يجــب أن تكــون كلتاهمــا صادقة[٢] ".

وعلى ما سبق فليس هناك خطأ أو صواب عنده وهو ما عبــر عنه صراحة بقوله " ليس هناك خطأ ، بل مستحيل وجود الخطأ ، فكل ما تراه صواب فهو صواب، بل لفظ الخطأ والصواب لا معنى لهما ، فليس هناك شيء يسمى حقاً في ذاته أو الواقع أو نحو ذلك"[٣]

وهكذا اتضحت لنا رؤيته للحقيقة والتي لا توجد لها عنــده أي معيار ثابت بل هي خاضعة للاحساسات الفردية المتغيرة مما يترتب عليه نسبيتها وعدم ثباتها .

❖ موقفه من الأخلاق :-

لقد تأثرت نظرته للأخلاق بموقفه المعرفي يقول توفيق الطويل

---

(١) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية : أولف جيحن (٣٧) ، ترجمة عزت قرني ، دار النهضة المصــرية ، ١٩٧٦م .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار (٢ /٤٨) .

(٣) قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين وزكي نجيب محمود (٧١) ، ط الثامنة، مكتبة النهضة المصرية

انظر:الحرية المسؤلة في الفكر الفلسفي : سامي نصر لطف(٢٠٩) مكتبة الحرية الحديثة بدون تاريخ

: " فالفرد مقياس الخير والشر كما كان عنده مقياس الصواب والخطأ ، وإذا كانت الحقائق في مجال المعرفة نسبية متغيرة ، وليست مطلقة ثابتة ، كانت القيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان ، وتختلف باختلاف الظروف والأحوال "[١].

بل إنه يرى أن القوانين والقيم الأخلاقية التي توضع لمجتمع معين لا تكون صالحة لغيره من المجتمعات ، فلا تكون مطلقة وعامة بل هي تعاقدية فكل مجتمع يسن له قوانينه الخاصة به ، دون مراعاة لقواعد ثابتة ومحددة [٢] .

والملاحظ أن نظرته للآلهة والمعرفة والأخلاق متأثرة بنظرته النسبية للحقيقة وهي إحدى صور الشك المهمة التي سيأتي الكلام عنها لاحقاً .

٢- جورجياس[٣] : (٤٨٣ - ٣٧٦ ق.م) ويعتبر من أشهر السوفسطائيين القدامى وأكثرهم جدلاً وشكاً ، وأكثر من نظر لرؤية السوفسطائية للوجود والمعرفة وما يتعلق بها.

وتتلخص فلسفته في قضاياه الثلاث حول نفي الوجود ، وفيها يبرز تطرفه وجدله ، وقد ضمنها كتابه " اللاوجود " وهي كالتالي :

- **القضية الأولى** : لا يوجد شيء ، فالموجود غير موجود واللاوجود كذلك .

---

(١) الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : توفيق الطويل (٣١) ، دار النهضة العربية ط الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

(٢) انظر الفلسفة القديمة : زين عباس عطيتو (٢٤٥) .

(٣) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : مصطفى النشار.

- **القضية الثانية** : إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته أو إدراكه.

- **القضية الثالثة** : إذا أمكن إدراكه أو معرفته ، فــلا يمكــن نقلــه للغير [١]

ويسوق جورجياس حججاً كثيرة في محاولته للبرهنة على هــذه القضايا يمكن إجمالها على النحو التالي :

الأولى : أن هذا الوجود إما أن يكون أزلياً أو محدثاً فإن كــان أزلياً فهذا يعني أن ليس له مبدأ ، وأنه لا متناه ، ولكنه محوي بالضرورة في مكان ، فيلزم أن مكانه مغاير لــه وأعظم منه ، وهذا يناقض كونه لا متناهياً ، وإذن فليس الوجود قديماً .

أما إن كان حادثاً ، فإما أن يكون حدث بفعل شيء غير موجود وهذا واضح الامتناع ، أو أن يكون حدث بفعل شيء موجود وعلى هــذا لا يصح أن يقال إنه حدث ؛ لأنه كان وجوداً في الشيء الذي أحدثه .

الثانيــة : يرجع السبب فيها إلى خداع الحواس وتركيبها صوراً متخيلة لا حقيقة لها في الواقع .

الثالثة : يرجع السبب فيها إلى أن وسيلة نقل المعرفة إلى الناس هي اللغة، واللغة إشارات وضعية ورمــوز ليســت مشــابهة للأشــياء المفروض علمها ، فالناقل ينقل الألفاظ ولا ينقل الأشياء ، فاللغة والوجود عنده دائرتان مختلفتان[٢] .

---

(١) انظر المرجع السابق (٢٥٠ وما بعدها) وانظر أيضا : المدخل الى الفلسفة : فــتح الله خليــف (٤١) دار الجامعات المصرية ١٩٨٢ .

(٢) انظر بتوسع : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٤٨) .

– انظر : موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي (١ /٥٩١) .

ومن خلال آرائه في الوجود يتضح موقفه من المعرفة الرافض لها جملةً ، المحسوس منها والمعقول ، حتى إنه ينكر الإدراكات الضرورية كالحلم والتخيل والتفكير [١] .

وبعد الحديث عن آراء بروتاجوراس وجورجياس وهما أبرز من يمثل السوفسطائية يمكننا تسمية آراء الأول بالعندية والثاني بالعنادية ، وهي التسمية التي يطلقها المسلمون على نفاة الحقائق أو المنادين بنسبيتها.

---

(١) انظر : أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا : دعاء وجدي (٥٣).

تعقيب :-

وبعد السوفسطائيين خف التيار الشكي عموماً ، وإن كانت بقيت لـــه بعض الأفكار المبثوثة عند بعض الفلاسفة ولكنها لا ترقى إلى إنكار الحقيقة أو المناداة بنسبيتها كما كان يقول السوفسطائية ، فمن ذلك العبارة المشهورة التي قالها **سقراط**(١) وفهم منها المؤرخون معنى شكياً وهـــي قوله : " أنا لا أعرف شيئاً ، بل لا أعرف أني لا أعرف "(٢) .

كما اعتبر البعض **أفلاطون**(٣) مبشراً بتعاليم الشك فقـــد اتخـــذ الشكاك من الجدل الأفلاطوني أداة من أهم الأدوات التـــي يســـتخدمونها حيث إن المحاورات الأفلاطونية لا تحسم القضايا بل تتركها عالقـــة دون أحكام وهذا ما أغرى البعض باتهامه بهذه التهمة(٤).

ولكن هذا لا يعمم في منهج سقراط وأفلاطـــون الـــذين أسســـا

---

(١) من أشهر فلاسفة اليونان ولد عام ٤٧٠ق.م في أثينا واشتهر عنه المحاورات الكثيرة مع السوفسطائين وعلى ضوئها وشي به واعدم عام ٣٩٩ق.م
انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد مرحبا (١٩٢) .
انظر : الفلسفة اليونانية : أميرة حلمي (٣٣).

(٢) الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف (١١٣) ، مطابع الخليج ، ١٩٧٤م .
انظر : مشكلة الفلسفة :زكريا ابراهيم (١٧٩-١٨٨) مكتبة مصر ، بدون تاريخ

(٣) من أشهر فلاسفة اليونان ولد بأثنيا عام (٤٢٧ق.م) ويعتبر من أهم طلاب " سقراط " اشتهر بمحاورتـــه الكثيرة مع مخالفية وبنظرية المثل والجمهورية الأفلاطونية وكانت وفاته عام (٣٤٧ق.م)
انظر :تاريخ الفلسفة اليونانية ماجد فخري (٨٧).
تاريخ الفلسفة اليونانية مصطفى النشار (١٥٢).

(٤) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية : لبرتراندرسل (٣٥٠) ، ترجمة : زكي نجيب محمود ومراجعة أحمد أمـــين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط الثالثة ، ١٩٧٨م .
وانظر أيضاً : الفلسفة ومباحثها: محمد علي أبو ريان (٢٠٩) .

مذهبهما على دحض حجج السوفسطائيين، وتبعهم **أرسطو**[1] في ذلك والذي يعتبر عصرهم من أكثر العصور ازدهاراً معرفياً في الحضارة اليونانية.

ثالثاً : مدرسة بَيْرُوْن (الشكاك) (٣٦٥-٢٧٥ق.م)

وفلسفته في الشك تقوم على : أن هدف الإنسان الأساسي من الحياة هو العيش في سعادة ، ولكي تتم له السعادة يجب أن يسأل نفسه ثلاثة أسئلة وهي :

١-ما حقيقة الموجودات وما طبيعة تكوينها ؟

٢-ما هو اتجاهنا الذي ينبغي أن نتخذه حيالها ؟

٣-ما النتيجة التي تنشأ عن هذا الاتجاه ؟

ويجيب نفسه بنفسه فيرى أولاً أنه لا يمكن أن نعلم حقيقة الموجودات لأن المعرفة العقلية مردها إلى الحس ، والحواس تبدي الأشياء كما تظهر لا كما هي في الحقيقة ولذلك لا يصح قولنا : بأن هذا هو كذا ، وإنما نقول : هذا ما يبدو لي كذا .

أما الاتجاه الذي يتخذ حيالها فهو : التوقف عن إصدار أي حكم بصدد حقيقتها بل يجب الوقوف عند ظواهرها وأن نعلق الحكم.

وذلك لأننا لا نطمئن لوجود مقياس دقيق نميز به بين حقيقة الصواب والخطأ ، وبين السلب والايجاب .

---

(١) من أشهر فلاسفة اليونان ولد في شمال اليونان عام (٣٨٤ق.م) ثم انتقل إلى أثينا وتتلمذ على يد أفلاطون اهتم بالخطابة والمنطق والإلهيات وأكثر من التأليف وكانت وفاته عام (٣٢٢ق.م)

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري (٩٨).

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد مرحبا (٢٢٣).

والنتيجة التي يصل لها الإنسان من هذا الاتجاه هو راحة العقل وطمأنينة النفس وعدم الاكتراث بهذا العالم الذي لا نعــرف إلا ظـــاهره دون حقيقته[1] .

وكان دائماً يقــول : " لا أدري ولا أدري أنـــي لا أدري "[2] . ويؤثر عنه أيضاً قوله :" يجب أن نعيش من غير رأي أو حكم ، فلا تثبت ولا تنفي ، أو تثبت وتنفي معاً "[3] .

" وقيل إن حياته كانت مطابقة لشكه المطلق ، فكان لا يحذر مهالـــك الطريق ، ولذلك كان يترك قياده لتلاميذه "[4] .

والذي تجدر الإشارة إليه أن بيرون لم يكتب شيئاً من فلسفته.

وهذا من بالغ خبثه فلو أنه دوّن شيئا منها لكان قد أدان نفسه باعتبار المؤلف يسطر ما توصل اليه من حقائق ومعارف من خلال بحثه ونقاشه للقضايا المختلفة.

وأغلب ما وصل منها كان مقولات متناثرة لمن أرخ للفلسفة بعده [5]

.

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٦١) .

موسوعة الفلسفة :عبد الرحمن بدوي (٢ / ١٧) .

(٢) الفلسفة الخلقية : توفيق الطويل (١١٩).

(٣) الفلسفة الإغريقية : محمد غلاب (٢ / ١٢٢) مطبعة البيت الأخضر ، ط١ ، سنة ١٩٣٨م.

(٤) مدخل إلى الفلسفة: أحمد السيد رمضان (٣٥) الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م

(٥)انظر الفلسفة اليونانية وبعض مشكلاتها: عزت قرني (٢٨) دار قباء للطباعة والنشر ١٩٨١م .

رابعاً : الأكاديمية الأفلاطونية :

وهي التي أنشأها أفلاطون عام ٣٨٧ ق.م في أثينا وكانت تعلم الرياضيات والمنطق والفلك والموسيقى وغيرها وتولى التدريس فيها أفلاطون أربعين سنة واستمرت الأكاديمية على فلسفة مؤسسها أفلاطون حتى تولى رئاستها (**أركسيلاس**)[١] (٣١٦ - ٢٤١ ق.م) عام ٢٦٨ ق.م فأحدث فيها تطوراً هائلاً وتاريخياً[٢] .

وكان " **أركسيلاس** " معاصراً لبعض من تلاميذ بيرون وهم الذين أثروا فيه وجعلوه ينحو بالأكاديمية إلى المنحى الشكي[٣] وذلك ما جعله هو ومن أتى بعده من أتباع الأكاديمية في طورها الثاني والثالث يرفضون ميتافيزيقيا أفلاطون وتصوفه ، ويتابعون قول سقراط: " إني أعرف شيئاً واحداً وهو أني لا أعرف شيئاً "[٤] . وأغفلوا كل معارفه الأخرى وردوده ومحاوراته مع السوفسطائية .

يقول الدكتور/ محمد علي ابو ريان " وهم يقولون بالأحكام الاجتماعية ، فكل حكم أو قضية – في نظرهم – من الممكن أن تكون أكثر احتمالاً من قضية أخرى ، أي أدنى إلى الصواب منها ، ولكنهم لا يفسرون معنى الصواب ومعياره ، فيصبح الاحتمال ضرباً من الظن الذي لا يثمر ولا يؤدي إلى أي قدر من المعرفة"[٥] .

---

(١) وقد ورد اسمه عند البعض باسم (ارسيلاس) وأحياناً (أرقيسلاوس) .

(٢) انظر : الخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون : محمد غلاب (٥٣) الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢م.

(٣) انظر : نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين : محمود زيدان (٣٣) دار النهضة العربية ، بيروت .

(٤) انظر : المرجع السابق (٣٣).

(٥) الفلسفة ومباحثها : محمد علي أبو ريان (٢١٠).

وقد انصب اهتمام " أركسيلاس " في بداية ترأسه للأكاديمية على نقد كل المذاهب والتوكيدية السابقة والمعاصرة . وقرر أن المعرفة اليقينية لا يمكن اكتسابها بأي صورة ، وعلى هذا رفض شهادة الحس والعقل ، وإن كان يميل في أحكامه إلى الترجيح والاحتمال ولكن ليس على سبيل اليقين [١] .

ويأتي " **كارينارس** " (٢١٤ - ١٢٨) ق.م زعيماً للأكاديمية في طورها الثالث واستمر حاملاً للآراء الشكية التي بدأت تنهجها الأكاديمية ومن أقواله :

١-لا يمكن البرهنة على شيء ؛لأن النتيجة يجب أن يبرهن عليها بالمقدمات، والمقدمات تحتاج إلى برهان وهكذا، وذلك يؤدي إلى التسلسل.

٢-لا يمكن أن نعرف إن كان رأينا في شيء حقاً أو لا ، لأننا لا نستطيع المقارنة بين الشيء ورأينا ، لأن ذلك يتطلب أن نخرج من عقلنا ، فنحن لا نعرف عن الشيء إلا رأينا فيه ، فكان من المستحيل المقارنة بين الشيء وصورته في ذهننا ، لأننا لا ندرك إلا الصورة [٢] .

وكان " كارينارس " يرفض القول بوجود معيار للحقيقة يمكن الرجوع إليه ، ويرى عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى أي شيء يؤكد الاتفاق أو الاختلاف بين التصورات والموضوعات الخارجية؛ وذلك لأن حقيقة الموضوع الخارجي في ذاته مجهولة بالنسبة لنا[٣].

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٣١٣).

(٢) انظر قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين – زكي نجيب محمود (٢٥٨).

(٣) انظر: خريف الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي (٦٥) مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م .

وفي آخر طور للأكاديمية ظهر (**أناسيداموس**) المتوفي (٤٣ ق.م) وتلميذه (أجريبا[١]) وفيها نحو بالشك منحاً جدلياً فميزوا بين الشكاك وبين الأكاديميين ، فالأكاديميون " يقولون أن لا شيء محقق ثم يفرقون بين المحتمل وغير المحتمل ، والخير والشر ، والحكمة والحماقة ... ، أما الشكاك فلا يوجبون ولا يسلبون أصلاً "[٢] .

وقد أتى (أناسيداموس) بعشر حجج تجمع حجج الشكاك ويمكن تلخيصها في الآتي :

أولاً : اختلاف الإحساس بين الحيوانات .

ثانياً : اختلاف الإحساسات باختلاف الأفراد .

ثالثاً : اختلاف الإحساسات باختلاف أعضاء الحس .

رابعاً : اختلاف إحساس الإنسان تبعاً لتنظيم الأشياء ومكانها .

خامساً : اختلاف إحساس الإنسان تبعاً لحالته .

سادساً : اختلاف المزاج الشخصي من شخص إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر.

سابعاً : اختلاف إحساسات الأفراد إزاء الأشياء .

ثامناً : الاحتمالية .

تاسعاً : اختلاف الأحكام تبعاً للمألوف والنادر .

عاشراً : اختلاف الأحكام باختلاف العادات والتقاليد والقوانين [٣].

---

(١) لم أقف على تحديد سنة وفاته أو ولادته .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٣١٥).

(٣) انظر أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا : دعاء وجدي (٦٦).

وهذه الحجج أنواع يمكن ردها إلى واحدة هي حجة النسبية التي تعتبر جنساً عالياً تحته أجناس ثلاثة : جنس خاص بالشخص المدرك يشمل الحجج الأربع الأولى ، وجنس خاص بالموضوع المدرك يشمل الحجتين السابعة والعاشرة ، وجنس خاص بالشخص والموضوع جميعاً يشمل الخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة [1] .

وعند بسط هذه الحجج تكون كالتالي :

١-يترتب على اختلاف الأعضاء الحاسة في الحيوان عنها في الإنسان انفراد كل نوع منها باحساسات خاصة به ، فحاسة السمع مثلاً تختلف باختلاف نوع الحيوان، كما تختلف عنها عند الإنسان ، فإحساس الإنسان بالأصوات غير إحساس كل نوع من أنواع الحيوانات بها ، وكذلك في سائر الحواس .

٢-يترتب على اختلاف الناس جسماً ونفساً أن تختلف إحساساتهم وأحكامهم، وعند الاختيار لا نستطيع أخذ رأي الأغلبية ؛ لأنه لا يمكن الاتصال بجميع الناس، ثم إن الأغلبية تختلف بين بلد وبلد وبين عصر وعصر، فيتعين العدول عن الاختيار والامتناع عن الحكم .

٣-تتعارض الحواس إزاء الشيء الواحد فالبصر يحس بالصورة بارزة واللمس يحس بها مستوية .

٤-تختلف إدراكات الحس الواحد باختلاف الظروف ، فلا يكون هو نفسه في حالات الجوع والشبع ، والرضا والغضب ، والصحة والمرض ، فالعسل في فم الصحيح غيره في فم المريض .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (٢١٧).

٥-تختلف الأشياء باختلاف المسافات والأماكن والأوضـــاع ، فالشيء البعيد المتحرك يبدو صغيراً ثابتاً .

٦-تبدو لنا الأشياء بحسب ما عليها من ضـــوء أو حـــرارة أو رطوبة أو هواء أو لون، فلون الشيء يختلف في ضوء المصباح عنه في ضوء الشمس .

٧-تبدو لنا الأشياء بحسب كميتها أو حجمها أو شكلها أو موقف الشخص منها ، فالشيء الواحد تختلف صورته إذا تغيرت كميته فحبـــة الرمل غير حفنة من الرمل .

٨-كل شيء يكون نسبياً بالإضافة إلى الأشياء المدركة وإلـــى الشخص المدرك ، فكل شيء يتحدد وضعه بالنسبة إلى شيء آخر ، إذ لا شيء يدرَك في ذاته ، وإنما هو قبل أو بعد أو أعلى أو أسفل شيء آخر ، والابن يكون ابناً بالنسبة إلى أب.

٩-تتوقف معرفتنا بالأشياء على درجة أَلفتنـــا لهـــا ، فالشـــيء الجديد لا يكون إدراكه مثل شيء مألوف .

١٠- تختلف الشعوب في عاداتها وأخلاقها وتقاليدها وأديانهـــا ، فالمصريون يحنطون الموتى والرومان يحرقونهم وبعض الشعوب تلقيهم في المستنقعات [١] .

وتكملة لمسيرة أستاذه جاء " **جريبا** " بخمس حجج تؤيد حجـــج أستاذه العشره يمكن تلخيصها كالآتي :

١-تناقض الفلاسفة فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين العامة .

---

(١) انظر : مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٧٨).

٢-أحكامنا نسبية بالإضافة إلينا ، وبالنسبة إلى بعضنا البعض .

٣-كل قضية تتطلب برهاناً، والبرهان يحتاج إلى برهان آخر للحكم عليه، وهكذا تتداعى البراهين إلى ما لا نهاية .

٤-المبادئ العقلية التي يستند إليها أصحاب النزعة اليقينية ليتفادوا تداعي البراهين مثل مبدأ الذاتية ، ومبدأ عدم التناقض وغيرهما إنما هي فروض غير مبرهنة ، وليست بينة بذاتها ، فلا يجوز التوقف عندها كبراهين يقينية .

٥-إذا أردنا تفادي التداعي ، فليس أمامنا سوى البرهان الدوري الذي يبرهن على صحة المقدمة بالنتيجة التي تتوقف صحتها على المقدمة[١].

" والحجتان الأولى والثانية خاصتان بمادة المعرفة أو بالمعرفة الحسية ، والحجج الثلاث الباقية خاصة بصورة المعرفة أو بأصول المعرفة العقلية "[٢] .

يقول عبدالرحمن بدوي " وقد ظلت هذه الحجج الخمس الصورة النهائية للشك في العصر القديم ، وأصبحت فيما بعد النموذج الأعلى لكل شك في نظريةالمعرفة "[٣].

خامساً : الشك التجريبي :

وقد قام على يد مجموعة من الأطباء اعتنقوا الشك وأخذوا بمذهبه الهادم السلبي ، يقول : يوسف كرم " زادوا عليه موقفاً إيجابياً

---

(١) مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٨٠).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩).

(٣) موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي : (٢ /٢٣).

أوحت به صناعتهم هو عبارة عن تنظيم التجربة بالتجربة نفسها دون التجاء إلى العقل أو حكم على حقائق الأشياء"[١] .

يقول دعاء وجدي" كما اتجهوا إلى مناقشة عدة مفاهيم مثل مفهوم المعيار والحقيقة والبرهان ، كما بحثوا في أسباب اختلاف القيم ومدى إمكانية الوصول إلى المعرفة "[٢] .

وأهم من يستحق الذكر منهم " **سكستوس أمبيرقوس** " الذي قيل إنه عاش في القرن الثاني أو الثالث الميلادي[٣] .

وقد أعاد تلخيص البناء الكامل لنزعة الشك في كتبه الثلاثة:

١- الحجج البيرونية .

٢- الرد على الفلاسفة .

٣- الرد على العلماء[٤] .

وكان يرى أن ما نكتسبه هو بالتجربة فنحن نلاحظ الظواهر وتتابعها فنربط بينها بروابط تجعلنا نتوقع النتيجة عندما السبب المصاحب لها، وكل ذلك يكتسبه الإنسان سواء كان فيلسوفاً أو شخصاً عادياً ، نتيجة للتجربة اليومية دون حاجة إلى معرفة الحقيقة أو إدراك المبادئ الضرورية العقلية ، فالحياة تضطر الإنسان إلى طاعتها ، كما هي في مظاهرها ، ومن هنا يستوي الشاك والفرد العادي في موقفهما من المعرفة التي لا يمكن الجزم بصحتها أو الوصول إلى الأشياء في ذاتها ،

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩).

(٢) أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوربا: دعاء وجدي (٦٨).

(٣) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم (٣١٩).

(٤) انظر : مدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم (١٨٠).

وهي أمور لا تدعوا إليها ممارسة الحياة [1] .

ومما سبق يتضح أنه لم يأت بشيء جديد وإنما اقتصر دوره على توثيق وعرض لمذاهب الشكاك القدماء .

وبعد الحديث عن الشك في العصر اليوناني عموماً وبالأخص عند السوفسطائية والبيرونية والأكاديمية باعتبار الشك عندهم أساسياً ومنهجياً يمكننا القول إن الشك السوفسطائي كان شك المتطرف في شكه الذي يضيق بالقيم المألوفة ، أو يجعلها نسبية ، أما الشك البيروني فكان متخاذلاً متردداً لا يقوى على إصدار أي حكم سواءً كان إيجابياً أو سلبياً ، أما الأكاديمية فقد توسطت بين الطرفين ، فهي لم تتردد وتخرج إلى تعليق الحكم ولم تجزم في أحكامها ولكنها تستعرض الأحكام ثم تؤثر الترجيح ولا تتجاوزه إلى اليقين[2] .

---

(١) المرجع السابق بتصرف (١٨١).

(٢) انظر : أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٣١٠) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الحادية عشرة ، ١٩٩٠م .

المبحث الثاني : الشك في العصر الوسيط :

في هذا المبحث سنشير الى الشك بعمومه عند المسلمين وعند المسيحيين وننظر الى تأثيرة ووجوده سواءً على المستوى العام أو عند الأفراد .

فأما **العصور الاسلامية** فلم يستطع التيار الشكي الهادم[١] بتنوع اتجاهاته في الحضارة اليونانية أن يؤثر في هذه الحقبة عند المسلمين بل على العكس من ذلك فقد قامت موجة من ردة الفعل الطبيعية ضد السوفسطائية والشكاك ونفاة الحقائق .

وكان الرد عليهم يتم عن طريق إثبات الحقائق وإمكانية الوصول للمعرفة واليقين وكان هذا هو الأسلوب الأعم والأشمل .

والبعض الآخر استغل مبدأ الشك نفسه للوصول إلى اليقين والحقيقة وهذا ما يطلق عليه الشك المنهجي والذي سيأتي الكلام عنه في الفصل الثالث.

ففي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في بعث هذا النوع من الشك وإظهاره فقد ميز النظام[٢] بين الشك المذهبي الذي يتجه للإنكار وبين الشك المنهجي الذي يستخدم للوصول إلى الحقيقة واليقين[٣] .

وكان يرى أن العلماء والباحثين لديهم القدرة على النظر

---

(١) وهذا هو النوع الاول من أنواع الشك وسيأتي الحديث عنه وعن بقية الانواع في الفصل القادم.

(٢) إبراهيم بن سيار بن هانئ ، من أبرز زعماء المعتزلة ورث الاعتزال عن خاله توفي عام (٢٣١)، انظر : أعلام الفلسفة :روني الفا (٢/٥٠٦).

(٣) انظر: الحيوان : للجاحظ (٦ /٣٥) ، تحقيق : أبو العلاء عفيفي ، بإشراف : طه حسين ومراجعة إبراهيم مدكور ، ط : دار الكتب ، ١٩٦٧م .

والتحقيق قبل إصدار الأحكام ، وهم في ذلك يختلفون عن العــوام مــن الناس الذين يتجهون إلى إصدار الأحكام دون نظر أو تحقق[1] .

ويبرز الشك المنهجي أكثر في فكر الإمام الغزالي[2]

حيث اتخذه طريقاً للوصول إلى اليقين والحقيقة فكان يقــول : " .... من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقـــي فـــي العمى والضلال "[3] .

وسيأتي بسط لجانب الشك في التفكير الإسلامي فـــي البـــاب الثالـــث إن شـــاء الله .

أما عند **المسيحيين** فقد استخدم القديس أوغســطين [4] الشـــك كمنهج للوصول إلى الحقيقة واليقين ، فنظراً أولاً للحواس ووجــد بعــد طول تفكير أنها تخدعنا ثم توجه للعقل فوجد فيه ملاذاً آمناً لليقين ، كمـــا وجد بعض الحقائق التي لا سبيل إلى الشك فيها[5] .

---

(١) المرجع السابق (٣٧/٦).

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الملقب بحجة الاسلام فيلسوف ومتصوف ، ولد في طوس بخرسان سنة ٤٥٠هـــ وكان أبوه غزالا للصوف ، ومن هنا جاءت التسمية بالغزالي رحل في طلب العلم ، هـــاجم الفلسفة والفلاسفة بعدما قضى عمراً فيها ثم التزم التصوف مات سنة ٥٠٥ وله مؤلفات عديدة ومشهورة منها " احياء علوم الدين " " المنقذ من الضلال " وغيرها انظر شذرات الـــذهب لأبي الفـــلاح عبـــدالحي الحنبلي (١٠/٤) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (٣٥٤/٣) تحيقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

(٣) ميزان العمل للغزالي (٤٠٩ تحقيق سليمان دنيا ط ١٩٦٤م .

(٤) هو أوريليوس أوغسطين من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ولد عام (٣٥٤) في ايطاليا ثم استقر في "هيبون " من أبرز مؤلفاته " الانحرافات " و " حرية الاختيار " انظر: أعلام الفلاسفة (١٥٦/١).

(٥) تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط (٢٨) ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .

وقد تابعه غيره من الفلاسفة الأوربيين في هذا الشك المنهجي وسنعرض لهم عند الحديث عن هذا النوع من الشك أما ما يتعلق **بالشك الهادم** فقد ظهرت بذور الشك السوفسطائي من جديد نتيجة لإحياء النصوص الشكية القديمة واكتشافها في عصر النهضة فرأى **مونتاني**[١] (١٥٣٣-١٥٩٢م) ضرورة الشك في المعلومات المكتسبة عن طريق الأحكام والحواس العقلية ونسج من تقلب التجارب المعتمدة على الحواس ومن الظروف المختلفة والعجز عن إيجاد معيار للحكم الصادق طريقاً للشك

كما رأى أن العقل بمفرده لا يكفي للوصول إلى أية نتائج خاصة بالإنسان والعالم ، وإنما يحتاج إلى الاعتماد على الإيمان أكثر من اعتماده على القدرات الإنسانية لتوجيه الفكر[٢] .

أما **شارون**[٣] (١٥٤١-١٦٠٣م) فقد كتب في مواجهة حركة الإصلاح الديني وهاجم الملحدين والديانات غير المسيحية على أسس شكية ورأى أن وظيفة الحكمة هي مساعدة الإيمان عن طريق الاعتراف بعجزها المطلق عن الوصول على أية حقيقة نظرية ، فالإنسان لا يستطيع الوصول إلى أية حقيقة يقينية ، ولكنه من الممكن الوصول إلى درجات مختلفة من الاحتمال العملي [٤].

---

(١) فيلسوف وعالم فرنسي درس الحقوق وترقى في المناصب السياسية من أبرز مؤلفاته " المحاولات " .
انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (٤٨٥/١).

(٢) انظر : الله في الفلسفة الحديثة (٦٥-٦٦) ترجمة فؤاد كامل ط الاولى بدون تاريخ.

(٣) فيلسوف فرنسي نشأ على المسيحية لكنه اتهم أخيراً بالزندقة والكفر من أبرز مؤلفاته " الحكمة " .
انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (٤/٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٧٠)

ويضيف شارون أن حواس الإنسان ذاتية مضللة إلى أبعد حد، علاوة على أن الأفكار المفطورة في العقل ، والتي يمتلكها الإنسان لا تتمتع بأية قدر من الصحة الموضوعية ، ولذلك فقد رأى شارون أن مذهب الشك هو الأفضل ، ذلك لأن أهميته تتمثل في القضاء على التصورات الزائفة عن الإله .

ويعد شارون نصير الدعوى القائلة : " إن الله قد خلق الإنسان لمعرفة الحقيقة ، غير أن الإنسان لا يستطيع أن يعرفها بنفسه أو بأية وسائل إنسانية ، لقد ولدنا للبحث عن الحقيقية أما امتلاكها فشيء تقدر عليه قوة أعلى وأعظم " [1].

ولذلك فقد رفض شارون كل الآراء والمعتقدات المشكوك فيها بحيث جعل العقل خاليا من أية شيء ومستعداً لتلقي ما يأذن الله في توصيله إليه ، كما رأى شارون أن الشك لا يمكن أن يكون آراء خاطئة ؛ ذلك لأنه لا يتجه الى تكوين أية آراء وإلى حين تلقي الوحي ، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعيش وفقاً للطبيعة ويظل شاكاً إلى أن يتلقى الوحي .

وبهذا يتبين لنا أن شك كل من مونتاني وشارون لم يكن بهدف التوقف عن إصدار الحكم ، وإنما بهدف التخلي عن البحث في المعرفة بالطرق العقلية والاكتفاء بقبول الحقيقة المبنية على الإيمان

---

(١) انظر : المرجع السابق(٧١).

والجدير بالذكر أنه على مشارف القرن السابع عشر أصبح الشك الديني مقبولا ومعترفا به من جانب علماء اللاهوت الكاثوليك في فرنسا[1].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد وجه **جاسندي**[2](١٥٩٢-١٦٥٥م) شكه للفلسفة الأرسطية والفلسفات العقائدية الأخرى ، وذلك حينما أنكر كل معرفة بالمعنى الأرسطى ، وذهب إلى أنه إذا استحال الوصول إلى العلم فبالأخص يستحيل الوصول إلى علم أرسطو ، وقد حاول جاسندي وضع حل للازمة الشكية . فرأى أنه إذا استحال التغلب على الشك بالنسبة للمستوى المعرفي فيمكن تجاهله على المستوى العلمي.

وقد أدت هذه الآراء الشكية الجديدة إلى إضعاف الثقة في كل النظريات السابقة وخلق أزمة شكية حقيقية في عقول كثير من المفكرين .

وبعد استعراض جذور الشك في العصر الوسيط والذي بدى منه أنه جاء في مقابلة الشك في العصر اليوناني حيث كان يتصف شك اليونان بالشك المطلق على الأغلب ، أما الشك في العصر الوسيط فهو في أغلبه شكا منهجيا يبغي الوصول إلى اليقين سواءً على أيدي المسلمين أو المسيحيين والذين انحاز أكثرهم إلى تثبيت حقائق الإيمان، وسننتقل بعد ذلك لنقف على تطور الفكر الشكي في العصر الحديث .

---

(١) المرجع السابق ص (٧٣).

(٢) لاهوتي هولندي وأسقف مدينة إيبر اتسمت حياته بالنضال من أبرز مؤلفاته " أوغسطينوس" : انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/٣٧٤).

المبحث الثالث: الشك في العصر الحديث

هنا سنحاول أن نسلط الضوء على امتداد الشك بأنواعه وأشكاله المختلفة في الفكر الأروبي الحديث وذلـــك باعتبـــاره زاخـــراً وحـــافلاً بالفلاسفة والآراء الفلسفية المتنوعة و يعتبر الفيلسوف ديكارت هو بدايته وانطلاقته فقد سعى للتغلب على إيجاد أساس للمعرفة وتـــأمين الفلســـفة والعلم عن طريق الاستفادة من المنهج الشكى الخـــاص "بمونتـــاني" و " شارون " ورفض كل المعتقدات التي يمكن أن تكون خاطئة أو مشـــكوكاً فيها فعّمق من مشكلة الشك ، وذلك حينما قال بإمكانية وجـــود شـــيطان ماكر يحرف الأحكام الإنسانية ، ولكن من خلال تفنيده للشـــكوك أثبـــت ديكارت أنه يمكن الشك في قضية " أنا أفكر " بصرف النظر عما ينـــوي أو يستطيع الشيطان أن يفعله ، وبصرف النظر عن أن حواسنا وأحكامنا لا يمكن الاعتماد عليها . فالشك الديكارتي حقيقي وصحيح وأي محاولـــة للشك فيه تكون دليلاً على صحته ، وبذلك يســـتطيع الإنســـان اكتشـــاف معيار المعرفة الحقيقية وأن كل ما يدرك بوضوح وتميز يكون صـــحيحاً وحقيقياً [١].

ويرى ديكارت أنه عن طريق استخدام هذا المعيـــار يســـتطيع الإنسان إثبات وجود الله ، وعن طريق إثبات وجود الله يضمن حقيقة هذا المعيار، وبهذا الانتصار على الشك من جانب ديكارت يســـتطيع إثبـــات العالم الخارجي .

ومنذ ذلك الحين أصبح أسلوب الأفكار الواضحة المتميزة هـــو الأسلوب الخاص بديكارت ، والذي يعتبر همزة الوصـــل بـــين الشـــك

---

(١) انظر : التأملات ديكارت ، ترجمة د/ عثمان أمين . (٧٤).

والمعرفة وبذلك يكون ديكارت قد حاول إقامة فلسفة جديدة على أنقــاض الشك الذي انتشر في الفكر الأوربي ، وسيأتي مزيد بيان لطريقة ديكارت وتطور هذا النوع من الشك عنده عند استعراضنا لأنوع الشك.

إلا أن موقف ديكارت من الشك لم يشجع فلاسفة تلك الفترة على استخدام أسلوب ، بل شرعوا في محاولة إثبات فشــل ديكــارت فــذهب معارضوا ديكارت من التوكيدين إلى أنه لا يزال أكثر الشكاك حضــوراً على الرغم من اعتراضه .

فأكد كل من **جاسندى وميرسين**[1] (١٨٥٩م-١٩٣٣م) على أن الحقائق التي ادعى ديكارت أنها مؤكدة ولا سبيل للشك فيها هي حقــائق قابلة للشك ،ويمكن وصفها بالزيف ، واتجه جاسندى إلى تحليــل أفكــار ديكارت محاولاً بذلك إثبات أن ديكارت لم يحقق شيئاً[2].

وقد شرع **جون لوك**[3] (١٦٣٢-١٧٠٤م) في اختبار قدرة العقل البشري على اكتساب المعرفة الصحيحة إلا أنه أقــر بعجــز العقل البشري عن البحث في هذا الموضوع فيقول في ذلك : " لقد أربكنا أنفسنا حينا من الدهر دون أن نخطو خطوة واحدة نحو حل ما صرنا فيه من شكوك ثم عنت لي بعد ذلك فكرة أننا نسير على غير

---

(١) فيلسوف فرنسي من أصل بولوني استقر في فرنسا اهتم بفلسفة العلوم من أبرز مؤلفاته " الهوية والواقع "

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٤٩٩).

(٢) انظر :الله في الفلسفة الحديثة جميس كولينز، (٦٩-٧٠).

(٣) فيلسوف وسياسي انجليزي انتسب لجامعة أوكسفورد وتوظف فيها من أهم الفلاسفة التجريبية ومن أبرز مؤلفاته " رسائل في التسامح " " ومقالة حول الإدارك الإنساني ".

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (٢/٣٧٩).

موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٢/٣٧٣).

هدى وأنه كان ينبغي قبل البدء في مثل هذه الأبحاث أن نختبر قوتنا لنرى أي الموضوعات تصلح عقولنا لمعالجتها ولأيها لا تصــلح" [١].

ومن خلال عبارة لوك يتبين لنا أن لوكــاً يــدعونا إلــى ضرورة اختبار ومعرفة قدراتنا العقلية قبل البدء في أية بحــث أو دراسة من أجل معرفة ما إذا كان هذا الموضوع يقع فــي حــدود قدراتنا العقلية أم لا .

وبذلك يكون لوك قد سلم بعجز العقل البشري وقصوره في معالجة الموضوعات التي تتجاوز حدوده ، كما أنكر معرفة وجــود أفكار فطرية في العقل الإنساني ، علاوة على أنــه رأى أن إدراك الإنسان للأشياء يكون مستمداً من التجربة التــي هــي الإحســاس والتفكير اللذان تنشأ منهما المعرفة .

إلا أن الحواس عند لوك تعمل أولاً فتقدم للعقل مجموعــة من الأحاسيس ثم يجيء بعد ذلك دور العقل فيقوم بالتأمل وما ينشــأ عنه من أفكار ، ويقول لوك : " هــذان وحــدهما همــا النافــذتان الوحيدتان اللتان ينفذ منهما الضوء إلى هذه الحجرة المظلمة ، وأقول المظلمة لأني أظن العقل شبيها بقاعة مغلقة لا ينفذ إليها الضــوء " [٢].

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين ، د/ زكي نجيب محمود (١ /٢٠١).

(٢) المرجع السابق (١ / ٢٠٨) .

وهذا القول من جانب لوك يجعل وظيفة العقل تنحصر في إدراك ما تقدمه إليه أعضاء الحس ، وبهذا يكون لوك قد انتهى إلى أن الإحساس هو مصدر معرفتنا الوحيد .

ويرى **توماس هوبز** [1](١٥٨٨-١٦٧٩م) أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة عند الإنسان ، وأن أي تصور في العقل الإنساني يكون عبارة عن ذرة حسية ذات طابع حسي مصدرها الإحساس ، ويأتي الإحساس نتيجة للضغط الذي يحدثه الشيء الخارجي على العضو الحاس ، إما بطريقة مباشرة كما هو في حاسة اللمس ، أو بطريقة غير مباشرة كما هو في حاسة البصر والسمع ، وعلى هذا فالمعرفة عنده قاصرة على الماديات المحدودة [2].

ولهذا فقد اقترح هوبز حلاً للمشكلة الشكية عن طريق إيجاد معيار لمعرفة الحقيقة بحيث يمكن الرجوع إليه ،إلا أن هذا المعيار قد يكون سياسياً أكثر منه معرفياً بمعنى أن يتولى الحاكم اتخاذ القرارات وهو بهذا يعمق المسألة الشكية ولا يقدم أي حل معرفي يخدم الحقيقة[3].

---

(١) فيلسوف إنجليزي من أبرز الفلاسفة الماديين ، من أبرز مؤلفاته : " في الجسم "و " وفي الإنسان ".

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا(٢/٥٥٠).

موسوعة الفلسفة :عبدالرحمن بدوي (٢/٥٦٢).

(٢) انظر : الفلسفة الحديثة : لمحمد علي أبو ريان (٥٤).

(٣) انظر : المرجع السابق (٥٤) .

وعلاوة على ذلك فقد عـــرض **ســـبينوزا**[١] (١٦٣٢-١٦٧٧م) لمشكلة الشك ، ورأى أن سبب ظهور الشك يرجـــع إلـــى افتقـــار الإنسان إلى المعرفة ، وأنّ توصله إلى المفاهيم الواضحة المتميـــزة هو الذي يساعده في التغلب على المشـــكلات الشـــكية ، ذلـــك لأن المفاهيم الواضحة المتميزة هي المعيار الذي يضمن صحة المعرفة ويؤدي إلى الإستيقان بها ، ولهذا فقد وجد سبينوزا في السعي وراء الفلسفة بالأسلوب الهندسي كحل لمواجهة الشك .[٢]

وقد بين **باركلي**[٣] (١٦٨٥-١٧٥٣م) أن الإنسان يتلقى المعرفـــة عن طريق ثلاثة مصادر :-

المصدر الأول يتمثل في الأفكار التي انطبعت آثارها على الحواس .

والمصدر الثاني يتمثل في الأفكار التي يدركها الإنسان عن طريـــق التأمل في العواطف والعقول .

أما **المصدر الثالث** والأخير من مصادر المعرفة عند باركلي فهـــي الأفكار التي يدركها الإنسان عن طريق الذاكرة والخيـــال ، وهـــذه الأفكار الثلاثه يكون لها مدرك هو الله أو الروح .

---

(١) فيلسوف هولندي يهودي الديانة من المتأثرين بديكارت ومن المهتمين بفلسفة الأخلاق من أبرز مؤلفاتـــه: " رسالة في الأخلاق " و " في إصلاح العقل ". انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/ ١٢٣)

(٢) انظر أسس الفلسفة : توفيق الطويل (٢٤٧) .

(٣) فيلسوف ايرلندي اهتم بالردود على " جون لوك " ومن أبرز مؤلفاته " محاولة من أجل نظرية في الرؤية " و " أصول المعرفة البشرية " .

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (١/١٨٠).

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (١/٢٨٧).

ويرى باركلي أنه يمكن حل مشكلة الشك عن طريق اعتقاد أن كل ما نعرفه مجرد أفكار ، والإصرار على أن الأفكار تمثل الواقع ، فمن وجهة نظره أن العلماء الميتافيزيين قد تسببوا في خلق فجوة بين المظهر والحقيقة ، وذلك بإصرارهم على وجود واقع مادي، وأنهم بذك قد سمحوا للشكاك بالزعم أنه لا يمكن فعليا سوى معرفة المظهر ، واعتقد باركلي أنه يستطيع إنقاذ العالم من الشك ، وإرساء قواعد المعرفة الإنسانية عن طريق دمج الأفكار والأشياء وجعل العالم عالماً روحياً[1].

ويعتبر **ديفيد هيوم**[2] **(١٧١١-١٧٧٦م)** من الفلاسفة القلائل الذين أبقوا على اهتمامهم بالشك ، حيث بدأ هيوم فلسفته على أمل أن يطبق الطريقة التجريبية للتفكير على الأخلاق ، إلا أنه بمجرد أن درس طريقة تفكير الناس من الناحية العلمية تبين له عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى معرفة أي شيء فيما عدا الانطباعات الحسية .

ويرى هيوم أن معظم معلوماتنا عن العالم تعتمد على التفكير العرضي الذي لا يمكن تبريره منطقياً ، وذلك لأننا لا

---

(١) انظر : المرجع السابق (٢٨٠) .

(٢) فيلسوف ينسبه البعض إلى إنجلترا والبعض إلى إيرلندا وهو من أشهر الفلاسفة الماديين أصحاب التوجة الشكي ومن أبرز مؤلفاته " رسالة في الطبيعة البشرية " و " محاولات فلسفية في الفهم البشري "

انظر : موسوعة الفلسفة : عبدالرحمن بدوي (٦١١/٢).

انظر : موسوعة اعلام الفلسفة : روني الفا (٥٧٤/٢).

انظر الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والاكاديمين الروسيين (٥٧٠) ترجمة سمير كرم دار الطليعة

بيروت ط : الأولى ١٩٧٤م.

نستطيع اكتشاف أي رابطة ضرورية يمكن إثباتها بين شيئين من الأشياء يطلق عليهما السبب والمسبب أو العلة والمعلول ، فعندما نتناول بالدراسة كيفية توصلنا إلى قرار أو حكم بخصوص الأشياء الواقعية ، فإننا في هذه الحالة نجد أن مثل هذه الأمور تعتمد على العادات النفسية أكثر من اعتمادها على التدليل العقلي [١].

ويبحث هيوم في الأسباب التي جعلت الناس تعتقد أن العقل هو الوسيلة لتقرير الأمور أو المسببات الضرورية في العالم، والبراهين على وجود الله ، حتى أصبح أكثر تشككاً ، والطبيعة – في نظر هيوم – تحتم على الإنسان إصدار الأحكام بضرورة مطلقة ، إلا أنه يرى أن هناك أموراً لا يمكن التحكم فيها وإصدار حكم بصددها كالتنفس والإحساس [٢].

والجدير بالذكر أن **برتراندراسل**[٣] (١٨٧٢–١٩٧٠م) يذكر أن النزعة الذاتية التي ذهب إليها هيوم لا تختلف في شيء عما انتهى إليه كل من بروتاجوراس وجورجياس من ازدواج معاني الإدراكات الحسية ، وما فيها من تناقض[٤] .

---

(١) انظر :ديفيد هيوم : زكي نجيب محمود(١١– ١٢). مكتبة المعرفة ١٩٨٦

(٢) انظر المرجع السابق (٥٤).

(٣) فيلسوف وعالم اجتماع إنجليزي تلقى تعليمه في جامعة "كامبريدج " ، اهتم بالمنطق وأثر على فلسفته ، ومن أبرز مؤلفاته " نمو الحرية " و " تحليل العقل ".

انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا (٤٨٢/١).

(٤) انظر : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم(١١٤) ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م .

أما الفيلسوف **كانـــت** [1] (١٧٢٤-١٨٠٤م) فقــد نـــادى بالإذعان الكامل للشك فيما يخص إمكانية اكتساب معرفة ميتافيزيقية عن طريق العقل الخالص ، والتأكيد على إمكانية اكتساب معرفـــة شاملة وضرورية لأية تجربة ممكنة ، وقد بدا كانت مقتنعاً بكل ذلك ، حيث استمر في محاولاته ، من أجل كيفية حدوث تلك المعـــارف الشاملة والضرورية[2] .

وقد وجد " كانت " أن المصدر الوحيد للمعرفة هو التجربة التي عن طريقها يخرج العلم بطابعه اليقيني ، وتخـــرج الأخـــلاق بطابعها الإلزامي ، ولذلك رأى " كانت " ضـــرورة الكشـــف فـــي التجربة عن المبادئ التي تجعل كلاً من العلم والأخلاق ممكناً [3].

وقد تطور من خلال العلوم الاجتماعية نوع آخر من الشك المعاصر ، حيث قدم **نيتشه**[4] (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) شكل جديـــد للشك النسبي ، وذلك حينما أنكر وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير ، ورفض ردها إلى الله أو العقل ، ورأى أن الإنسان هـــو

---

(١) فيلسوف ألماني مؤسس المثالية الألمانية من أبرز مؤلفاته " نقد العقل الخالص " و " نقد العقل العملي " .

انظر : الموسوعة الفلسفة للأكاديمين الروسيين (٣٨٧).

موسوعة اعلام الفلسفة : روني ألفا (٢/٢٤٥).

(٢) انظر : فلسفة كانط : أميل بوترم (١٦-١٧)، ترجمة د / عثمان أمين

(٣) تأسيس ميتافيزيقياالأخلاق أمانويل كانت ،(١٤٥) ترجمة :عبدالغفار مكـــاوي منشـــورات دار الجمـــل ٢٠٠٠

انظر أيضا : الأخلاق عند كانت : عبدالرحمن بدوي(٦١) وكالة المطبوعات ، الكويت

(٤) فيلسوف ألماني من رواد المدرسة المثالية واهتم بالعلوم الاجتماعية ، من أبـــرز مؤلفاتـــه " هكـــذا تكلـــم زارشت.

انظر : الموسوعة الفلسفية للأكاديمين الروسيين (٥٥٤).

معيار القيم الذي يتغير تبعاً للظروف والأحوال المحيطة به ، علاوة على اختلاف القيم والمعايير الأخلاقية باختلاف الزمان والمكان [١].

ويقسم نيتشه الأخلاق إلى نوعين هما أخلاق السادة وأخلاق العبيد ويرى أن أخلاق العبيد هي أخلاق الضعف في حين أن أخلاق السادة هي الأخلاق التي تمكن الإنسان من توطيد نفوذه .

ويعتبر نيتشه في هذا مردداً لما قاله السوفسطائيون من قبل . إلا أن موقف السوفسطائيين كان أقل حدة ، ذلك لأنهم كانوا ضعاف الإيمان بمبادئهم حينما ذهبوا إلى أن الفضائل من صنع الضعفاء ، وأن الضعفاء قد قصدوا بهذا قهر الطبيعة ، ومنع الأقوياء من السيطرة عليهم إلا أن العصيان من قبل السوفسطائيين كان مصاحباً له التخفى والتظاهر بالتقوى ، في حين أن نيتشه كره هذا الضعف للسوبرمان الذي جعله مثله الأعلى فيقول : " لقد ضحكت ملء شدقي على هؤلاء الضعفاء الذي يحسبون وهماً أنهم أخيار بررة ، لا لسبب سوى أنهم ضعاف عجزة ، تنقصهم براثن الأسود " [٢].

و بعد هذا العرض لفكرة الشك في هذا العصر والذي كان على سبيل المثال لا الحصر ، يتبين لنا أن الفلسفة لم تستطع حل المشكلات الشكية الأساسية التي أثيرت في العصور السابقة بل إنه على مدى القرون الأربعة الأخيرة أعاد الشكاك إحياء وتوجيه الشك والمناقشات الشكية القديمة ، وأن الشك في هذا العصر الحديث قد

---

(١) الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : د / توفيق الطويل (٣١٣).

(٢) المرجع السابق : (٢٣).

اتخذ أشكالاً وصوراً متنوعة ولكنها في غالبها تركز علـــى اثبـــات جانب واحد من جوانب المعرفة والمغالاة في نفي الأخر والتشـــكيك فيه .

كما يظهر لنا من خلال العرض التاريخي للشك أن الفكـــر السوفسطائي لم ينته بانتهاء الفترة السوفسطائية بل إن الفكر الحديث يموج بأفكار واتجاهات السوفسطائيين .

الباب الثاني / الشك لدى الفرق الكلامية والطوائف المنتسبة للإسلام :-

وفيه تمهيد و ثلاثة فصول :

- تمهيد
- الفصل الأول / الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية.
- الفصل الثاني / الشك عند الباطنية والصوفية .
- الفصل الثالث / الشك عند المفكرين الإسلاميين المحدثين .

تمهيد :-

الشك بأنواعه السابقة يوناني المنشأ إما بكلياته كما هو الحال في الشك الهادم، أو في جزئياته وبدايته كما هو الحال في الشك المنهجي و الاعتقادي، ولكن ذلك لم يقتصر على اليونانيين فقط بل تعداه إلى الفرق الكلامية والصوفية والباطنية، وأيضاً عند المفكرين الإسلاميين المحدثين المتأثرين بهذه الفلسفة، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الباب الذي آثرنا فيه جانب الاختصار والإلماحة، لأن لنا عودة للإشارة الموسعة له عند حديثنا عن الأسباب والأثار في الباب القادم؛ وذلك أن الأسباب التي أدت إلى ظهورالشك بالإضافة الى كل الانحرافات والآثار المترتبة عليه كان منشأها هذه التيارات والمذاهب السابقة، والتي سنعرض لطرف منها في هذا الباب وذلك من حيث تأصيل الشك عندهم، وبيان الطريقة المنهجية التي سلكوها أثناء تقريرهم لمناهجم واعتقاداتهم أو أثناء ردودهم على أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وما أداه ذلك إلى إنكارهم وتشككهم في كثير من الأمور الاعتقادية الأصلية ، أو الأصول المنهجية التي تقرر بها أصول الدين وشرائعه .

الفصل الأول :- الشك عند الفرق الكلامية والفلسفية :-

وفي هذا الفصل سنعرض للشـــك بأنواعـــه عنـــد الفـــرق الكلامية والفلسفية، وقد اقتصرت في الفرق الكلامية على المعتزلـــة والأشاعرة باعتبارهما أكثر من يمثل هـــذا النـــوع ،ولانتشـــارهما وماحصل بينهم وبين أهل السنة من مناظرات وردود، مما أدى الى غزارة إنتاجهم الفكري، وتوسع تأثيرهم على عوام الأمة بالإضافة الى أن كثيرا من الفرق الأخرى توافقت مع هاتين الفرقتين وخاصة المعتزلة، وصار مذهبهم في الجوانب الاعتقادية يكاد يتطـــابق مـــع المذهب المعتزلي، وسنشرع بحول الله في بيان المبحـــث الأول ألا وهو الشك المنهجي عندهم .

المبحث الأول:- الشك المنهجي عند الفرق الكلامية :-

أولاً :- بواكيره عند المعتزلة[1] :

لقد جاهر المعتزلة في شجاعة ووضوح لا لبس فيه بأنـــه ينبغي لنا أن نشك، وأن نبدأ كل معرفة بالشك والـــتحفظ، حتـــى إذا وصلنا إلى اليقين – على حد زعمهم – كان يقيناً معززاً وســـليماً، وكان هذا اليقين يقيناً لا مطعن فيه ولا ريبة .

فهذا أبو إسحاق النظام (٢٣١هـــ) يقول " لم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك "[2].

---

(١) الشك المنهجي : إبراهيم الحصري ، ص٢٦ ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الأزهر .

(٢) الحيوان للجاحظ (٦ /٣٥) .

ثم يأتي تلميذه الجاحظ فيسير على نفس منواله فيؤكد على أهمية تعلم منهج الشك واعتباره طريقاً لليقين، فهاهو يخاطب قارئه قائلاً " وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين .... ، وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلماً ؛ فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج إليه[١].

وممن جاهر بهذه المسألة **أبوعلي الجبائي (٢٣٦هـ)** حيث يرى أن الواجب الأول على الإنسان هو النظر، بما في هذا النظر من يقين، أوشك يقود إلى اليقين .

ويستمر على منهجه هذا ابنه **أبوهشام الجبائي (٣٢١ هـ)** فيرى أن الشك هو الواجب الأول على الإنسان ، لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل [٢].

وعنهما يقول **القاضي عبد الجبار** [٣] " ومن حق النظر ألا يصح إلا مع الشك في المدلول عند شيخينا " [٤].

ولابد أن نؤكد أن بقية المعتزلة وإن لم يوافقوا النظام فيما ذهب إليه ومن تبعه من إيجاب الشك على المكلف وجعله أول الواجبات إلا أنهم يجعلون النظر هو أول الواجبات .

---

(١) المرجع السابق (٦ / ٣٥) .

(٢) انظر : الجبائيان أبو علي وأبو هشام : علي فهمي (٣٣٣) ط : الأولى طرابلس – ليبيا – بدون تاريخ

(٣) القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار ، متكلم معتزلي ، من مؤلفاته (المغني في أبواب العدل والتوحيد) (شرح الأصول الخمسة) توفي عام ٤١٥ أنظر : الأعلام للزركلي (٢٧٣/٣) .

(٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار(١٢ / ١١).

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار " إن سأل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدي إلى معرفة الله تعـالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر " [١].

لكننا نعلم ونؤكد يقينا أن الناظر في حالة شك ولابد، وإن اختلف النظار في تقديم أو تأخير أحدهما على الآخر .

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى فيقول رحمـه الله " وقـد أوجب أبو هشام وطائفة معه الشك وجعلوه أول الواجبـات ، ومـن لـم يوجبه من الموافقين على أصل القول قال : إنه لابد من حصوله وإن لم يؤمر به"[٢].

فعلى ما سبق يتبين لنا تأثر المعتزلة بهذا النوع من الشـك، ويبرز ذلك جلياً في مؤلفاتهم ومناهجهم في تقرير العقائد والجـدل مع الخصوم . وهذه الطريقة تتفق مع ما قررناه سابقاً من تقديسهم العقل وجعله أصلاً في المعرفة وصحة الاعتقاد .

ثانياً : الشك المنهجي عند الأشاعرة :-

إذا علمنا أن الأشاعرة هم من أكثر الطوائـف الإسـلامية اهتماماً بالعقل والتفكير العقلي ، وأنهم يجعلون العقل هو الأسـاس والأصل في الوصول إلى الحق، مع عدم إهمالهم للجانب الشـرعي ولكنهم يجعلونه في مرتبة متأخرة عن العقل فسـنعلم أن جمهـور الأشاعرة قد جعل النظر العقلي هو أول واجـب علـى المكلـف ،

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية (٧ / ٤١٩).

والبعض منهم يجعل القصد إلى النظر هو أول الواجبات والـــبعض جعل أول واجب هو أول جزء من أجزاء النظر.

ونحن عندما ننسب الشك إلى المنهج الكلامي لا نعني بـــه استعمالاتهم للنظر بمعناه الاصطلاحي حيث أن النظر ترتيب أمور معلومة ويقينية يتوصل بها إلى معرفة صحيحة وإنما نعني النظـــر الذي هو تساوي وتكافؤ الأدلة وعدم وصول الباحث إلى يقين فـــي المسألة، بل هو يقلب الأدلة حتى يتوصل إلى ما رجح، كمـــا هـــو الحال في تجربة الإمام الغزالي والإمام أبو الحسن الأشعري.

وبهذه النقولات تبين لنا أن المعتزلة والأشاعرة قد اتفقـــوا في مجملهم على كون النظر هو أول الواجبات التـــي تجـــب عـــن الإنسان حتى يتوصل إلى المعرفة مع ما أشرنا إليه مـــن تصـــريح بعضهم من جعل الشك نفسه هو أول الواجبات على المكلف، والذي لابد أن نشير إليه في ختام هذا المبحث أن المعتزلـــة والأشـــاعرة يؤكدون دائماً أن هدفهم من كل هذا هو الوصول إلى إيمـــان قـــوي ويقين مطمئن، ولهذا كانوا دائماً يفيضـــون فـــي مباحـــث النظـــر ومقاصده وشروطه وأحكامه بل أنهم عقدوا فصولاً في الحديث عن الشك ذاته ، ومتى يكون حسناً مرغوباً فيه، ومتى يكون قبيحاً، فهذا هو الجاحظ يدعو إلى الشك المنهجـــي لمعرفـــة مواضـــع اليقـــين والحالات الموجبة له، والشك عنده له هدف محدد ، يعوّد الإنســـان على التوقف والتثبت من الأمور ، ويرفع خطر التسرع في قبـــول

الخبر ، والتعرض بالتالي إلى الخطأ ، وليس معنى هذا أن يكــون الشك مذهباً هداماً: " لأن من عوّد قلبه الشك اعتراه الضعف " [١].

ثانياً / الشك الاعتقادي عند الفرق الكلامية :-

اعتمد أهل الكلام جميعاً وعلى رأسهم المعتزلة والأشاعرة في تقرير مسائلهم وفي تحديد معارفهم على النظر العقلي وجعلــوا من الشبه العقلية معارضاً ومقدماً على وحي الله المنزل وذلك ثقــة منهم بما ظنوا أنه قواطع عقليه ودلائل برهانية تقــودهم للمعرفــة اليقينية، فأدى هذا بكثير منهم إلى الخلط واللبس بين الحق والباطل وتكافؤ الأدلة بحيث لم يترجح أحدهما على الآخــر وعنــدها أتــت الحيرة والشكوك في أمور الاعتقاد الواضحة البينة التي يجزم بهــا عوام الناس.

وقد أشار ابن القيم لهذا، فبين أن كتب المتكلمين لا تعطــي إلا الشك والتشكيك ، وأنه كلما ازداد فيها الإنسان امعانــاً ازدادت حيرته وشكه، حتى يؤول به الأمر إلى الشك في الواضحات " [٢].

بل أكد هذا المعنى الغزالي وهو صاحب التجربة الكبيرة فــي هــذا الميدان فقال : " أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام " [٣].

---

(١) الحيوان للجاحظ (٦/٦٣) .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٤/٢٥٩) تحقيق : علي محمد الــدخيل الله ، دار العاصمة ط:الثالثة ١٤١٨-١٩٩٨.

(٣) انظر : نقض المنطق لابن تيمية: (٢٥) تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة والشيخ ســليمان الصــنيع ، ط: الأولى ١٣٧٠ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة وانظر ايضا : الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/٢٦٢).

وسأعرض في هذا المبحث بعض العقائد الشرعية والضرورات الدينية التي أنكرها أهل الكلام وشككوا فيها ووقفوا فيها مضطربين متناقضين قد أصابتهم الحيرة في إثباتها أو نفيها .

على أن مما يجدر التنبيه عليه والتأكيد عليه أن إنكار هذه المسلمات أو التشكك فيها كان متفاوتاً فالبعض منها كان مذهباً عاماً لطائفة المتكلمين وذلك وفق القواعد والأصول التي بنوا عليها مذهبهم والبعض منها كان خاصاً ومقصوراً على بعض الغلاة منهم

كما أن الحيرة والشك التي نجدها في بعض نصوصهم ومواقفهم قاصرة على أصحابها ولا ينبغي تعميمها ولا ينبغي القول أنها تشمل كل طوائف أهل الكلام ، فالحق أن فيهم المؤمن الصادق والعامي المقلد والعالم المحقق الذي أراد الحق وأراد أن يصيب اليقين ويرد الشبهة عن الإسلام ولكنه أخطأ الطريق في ذلك .

ويمكننا حصر هذا النوع من الشكوك والإنكارات في جانبين اثنين :-

الجانب الأول :- اضطرابهم وتناقضهم في كثير من مسائل الاعتقاد .

فإن المتأمل في أحوال الفرق الإسلامية المتأثرة بعلم الكلام والفلسفة يجد عند الكثير منهم اضطراباً وشكاً وإنكاراً لكثير من المسائل والاوصول الواضحة التي هي من أصول الإسلام التي لا يقبل إنكارها أو التشكيك فيها .

ولعلنا لو ألقينا نظرة على مذاهب المعتزلة علـــى ســـبيل المثال لا الحصر لوجدنا هذا الأمر عند كثير من نظارهم وساداتهم ومنها:-

(أ) _ الجرأة على رد نصوص الكتاب والسنّة :-

ولعل ما ذكره أهل التراجم والسير [١] فيما يروونـــه عـــن عبدالله بن معاذ عن أبيه أنه سمع عمرو بن عبيد[٢] امام المعتزلة – يقول بعد ذكره حديث : أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومـــاً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك .. الحديث يقول " لو سمعت الأعمش هذا لكذّبته ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته ، ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته ، ولو سمعت رسول الله يقـــول هـــذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ليس على هـــذا أخـــذت ميثاقنا.

وكان النظام يقول" يجوز أن تجتمع الأمة علـــى الخطـــأ ، فـــإن الأخبار المتواترة لا حجّة فيها ، لأنها يجـــوز أن يكـــون وقوعهـــا كذباً"[٣].

---

(١) انظر : سير اعلام النبلاء للذهبي (٦ / ١٠٤) .

(٢) عمرو بن عبيد بن أبو عثمان ولد في بلخ سنة ٨٠ هـــ ، كان جده من سبي كابل من جبال الســـند ، كان ذا علم كثير ،قال عنه الذهبي : (صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلي) تـــوفي ســـنة ١٤٤ انظر مروج الذهب ،(٣/٣٠٣)،انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبدالله محمد الذهبي ،(٣/٢٧٣ – ٢٨٠) ، دار المعرفة ، بيروت.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٣ / ٢٧٨)،دار احياء الكتب العربية تحقيق علي البجـــاوي ط: الأولى ١٣٨٢-١٩٦٣ .

ويروي عاصم الأحول فيقول : " رأيت عمرو بن عبيد يحكُ آية من المصحف ، فقلت له سبحان الله !! قال اني سأعيدها قلت : أعدها ، قال : لا أستطيع " [1].

فهذه بعض أمثله للجرأة في رد النصوص والتكذيب بها وهذا لا شك نابع عن شك في صحتها وثبوتها وضعف يقين بالله سبحانه وتعالى .

(ب) – التناقض مع الله ورسوله ووصفهما بما لا يليق :

فهم في باب الأسماء والصفات يثبتون الأسماء لله سبحانه وينفون الصفات؛ وذلك لأنهم يظنون أن ذلك يؤدي إلى تعدد القدماء[2]

وهذا فيه قمة التناقض والامتناع، لأنه لا يقبل إثبات أسماء لا معنى لها ولا صفة ، وهو ممتنع ومحال في حق الإنسان فكيف بالله سبحانه وتعالى .

وان كان هذا شأنهم في الأسماء والصفات فإنهم في باب القدر قد التزموا التزامات فيها تناقض وإنكار عظيم في حق الله سبحانه وتعالى ، فهذا أبو هذيل العلّاف[3] يقول " إن لما يقدر الله تعالى عليه آخراً ، ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل – ولن يخرج

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٣ /٣٧٢).

(٢) انظر : الصواعق المرسلة :ابن القيم (١٢٥/٢) .

(٣) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله العلاف .ولد في البصره سنة ١٣١هـ وقيل ١٣٥هـ ، كان يلقب بالعلاف لان داره كانت بالبصره في العلافين ،وهو من شيخ المعتزلة المقرر طريقتهم، اعتبره الشهرستاني شيخ الاعتزال ومقدم الطريقة والمناظر عليها ، توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر : وفيات الاعيان لابن خلكان(٦٠٧/١-٦٠٨)، الأعلام للزركلي،(٣٥٥/٧) معجم المؤلفين (٩١/١٢ .٩٢).

– لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلاً ، ولا على خلق ذرة فما فوقها ، ولا على احياء بعوضة ميتة ، ولا على تحريك ورقة فما فوقها ، ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً "[1].

وفي هذا الباب ينقل ابن حزم[2] عن النظام قوله " إن الله لا يقدر على ظلم أحد أصلاً ، ولا على شيء من الشر ، وأن الناس يقدرون على كل ذلك ، وإنه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن أن يفعله ، أو أنه قد فعله " .

وكان يصرح بأن الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من جهنم ولا إخراج أحد من الجنة ، ولا على طرح طفل في جهنم وأن الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك[3] .

وكان أبو هشام يقول " إنه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز أن يعمل من الحسنات والخير أكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم "[4] .

أما الأشاعرة :- فلأنهم يوافقون المعتزلة في تقديم العقل على النقل ولكنهم لا يهملون النقل أبداً بل يجتهدون في تأويله وجعله موافقاً للمقدمات والضرورات العقلية ، ولهذا فقد وقعوا في تناقضات واضطرابات منهجية كثيرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

أ- تعطيلهم باب الصفات عن الله سبحانه وتعالى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم (٣ / ١٢٨) دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان١٤١٦- ١٩٩٦م .

(٢) المرجع السابق (٣ / ١٢٧) .

(٣) المرجع السابق (٣/ ١٢٩) .

(٤) المرجع السابق (٣ / ١٢٧) .

فالأشاعرة ونتيجة لعقدتهم الأزليةّ من المعتزلة قد أثبتوا الأسماء لله ثم أثبتوا بعض الصفات ونفوا البعض الآخر وذلك حتى لا يقعوا في محذور المشابهة التي توهموها بعقولهم، وهذا لا شك تناقض كبير واضطراب خطير، فلا شك أنه يلزمهم أن القول في بعض الصفات كالقول البعض الآخر [1].

وهم في إثباتهم لصفات المعاني التي أثبتوها دون غيرها احتاروا فيها، حيث أنهم أثبتوها لأنها قديمة قائمة بذات الله تعالى وأنكروا حدوث آحادها ثم تفاجاؤ بحدوثها حسب المشيئة والقدرة من الله فعندها لجأ أبو بكر الباقلاني إلى إثباتها بالسمع وليس بالأصول العقلية على منهجهم كما ذكر ذلك الشهرستاني [2]. وفي هذا قمة الحيرة والاضطراب .

وفي مسألة الرؤية تناقضوا تناقضاً عجيباً حيث أثبتوا الرؤية خلافاً للمعتزلة ولكنهم ينفون عن الله الجهة فأثبتوا مرئياً لا في جهة وهذا لا شك مخالفة ضرورية لكل الأقيسة والمناهج العقلية المعتبرة .

ب- موقفهم من القرآن الكريم وكلام الله سبحانه

وفي هذا الباب أتى الأشاعرة بالعجائب حتى إنهم قالوا كلهم كما يورد ذلك عنهم ابن حزم إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة : ابن القيم (٥٢/٢) .

(٢) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام : الشهرستاني (٢٣٦-٢٣٧) حرره وصححه : الفرد جيوم ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن (نقلا من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة : عبدالرحمن المحمود) .

قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، إنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله .. وأن الذي نرى في المصاحف ونسمع من القرآن ونقرأ في الصلوات ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ، ولا شيء منه كلام الله تعالى البته بل هو شيء آخر ، وأن كلام الله تعالى لا يفارق ذاته [١].

وقد نصّ الباقلاني[٢] على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أطلق القول بأن ما أنزل الله عليه هو القرآن ، وهو كلام الله تعالى إنما هو على معنى أنه عبارة عن كلام الله تعالى ، وأنه يفهم منه أمره ونهيه فقط [٣].

ج- وصفهم الله ورسوله بما لا يليق .

فهم في ذلك يقولون : إن الله لا يقدر على ظلم أحد البته ، ولا يقدر على الكذب ، وأنه لا يقدر على أن يتخذ ولداً إلى غيرها من الفضائع في واثبات عجز الله عن القدرة وسلبها عنه سبحانه في حين أن الساحر عندهم يقدر على قلب الأعيان وعلى أن يمسخ إنسان حماراً على الحقيقة وعلى المشي في الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى [٤].

---

(١) انظر : الفصل (٣ / ١٤٨) .

(٢) محمد بن الطيب البصري القاضي من متكلمة الأشاعرة من مؤلفاته (الأنصاف ، التمهيد) توفي عام ٤٠٣ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٩٠) .

(٣) انظر : الفصل (٣ / ١٤٩) .

(٤) انظر المرجع السابق (٣ / ١٤٩) .

أما في مجال النبوة فقد قال الباقلاني " لا فرق بين النبي والساحر الكذاب المتنبي فيما يأتيان به إلا التحدي فقط [١].

بل قال بعضهم أن محمد بن عبد الله ليس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه كان رسول الله.

وعلى هذه المسألة قتل ابن فورك [٢] شيخ الأشعرية في زمانه [٣].

بل وصلت جرأة البعض منهم أنه يقول " إن جميع المعاصي كلها لا نجد شيئاً منها مما يجب أن يستغفر الله منه جائز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ [٤] وتمادى ابن فورك فأجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كتقبيل النساء والتعريض لهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك، تعالى الله ورسوله عن ذلك علواً كبيراً ، ولا شك أن من وصلت حالته إلى هذه الدرجة من التشكيك وضعف اليقين والاستهزاء بمقام الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه قد بلغ مبلغاً عظيماً من الضلال والحيرة والتخبط وهذا نتيجة حتميه للمقدمات العقلية والطرق الفلسفية التي بها يعارض كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان نتيجة ذلك الحيرة والاضطراب التي سنتحدث عنها الآن

---

(١) انظر : المرجع السابق(٣ /١٥٣) .

(٢) ابن فورك : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني من فقهاء الشافعية ، من كبار الاشاعرة في زمانه ، بلغت تصانيفه المئات ، ومن أشهرها مشكل الآثار وبيانه، توفي سنة ٤٠٦هـ . وفيات الاعيان (٢٣٣) ، الأعلام للزركلي ،(٣/ ٤٠٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي(١٧/ ٢١٤) .

(٣) انظر : الفصل لابن حزم (٣ / ١٥٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٣ / ١٦٣) .

بإسهاب ومزيد بيان وهو الجانب الثاني الذي يظهر فيه هذا النـــوع من الشك عن الفرق الكلامية .

الجانب الثاني :- الحيرة والشكوك .

شهد المتكلمون على أنفسهم بالحيرة في مسائل كثيرة مـــن مسائل الاعتقاد وكانت هذه الحيرة وهذا الشك مسيطرة على الكثيـــر من نظارهم وعلمائهم خاصة عند موتهم وهذا ولا شك نـــاتج عـــن الطرق والمناهج العقلية التي سلكوها في تقرير مســـائل الاعتقـــاد واطراحهم مناهج القرآن الكريم وخروجهم عـــن مـــنهج الصـــحابة والسلف الصالح وسأعرض لبعض المواقف والمسائل التي توقـــف فيها البعض منهم وظهر فيها ضعفهم وحيرتهم .

يقول الحافظ البزار ناقلا عن شيخ الإســـلام ابـــن تيميـــة يرحمهما الله " بل إن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والســـنة مقبلا على مقالاتهم إلا وقد تزندق ، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل مـــن يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم ، وقطع حجـــتهم وأضـــاليلهم ، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم ....وسبب ذلك اعراضه عن الحق الواضح المبين وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين ، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التـــي ســـموها بزعمهم حكميات وعقليات وإنما هي جهالات وضلالات التزمهـــا معرضا عن غيرها فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم فتخبط حتى خبط فيها خبط عشواء ولم يفرق بين الحق والباطل "[1]

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : الحافظ عمر بن علي البزار ، تحقيق : زهـــير الشـــاويش ، المكتـــب

فهذا الجهم بن صفوان[1] زعيم الجهمية والمعطلة يقع في الحيرة والشك حتى أنه ترك الصلاة أربعين يوماً لا يصلي [2].

وهذا أبو الحسن الأشعري تنقل بين الاعتزال والأشعرية سنين طويلة حتى استقر به الحال على مذهب أهل السنة والجماعة وقد ذكر أن أبا الحسن تغيب عن الناس بعد وقوعه في الحيرة والشك خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال : معاشر الناس أني تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ، ولا باطل على حق ، .. [3].

وهذا أبو محمد الجويني (٤٣٨هـ) ، والد إمام الحرمين : أبو المعالي وكان من أبرز علماء الأشاعرة ألف رسالته المشهورة (اثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد) وذكر فيها ما كان يجده من الحزازات التي لا يطمئن إليها القلب ، والكدر والظلمة وضيق الصدر ، والحيرة والاضطراب حتى رجع إلى مذهب السلف[4] .

الاسلامي ،بيروت ،ط: الثالثة (٣٤-٣٥) .

(١) الجهم بن صفوان ابو محرز الراسبي رأس الجهمية إليه تنسب كل ضلالاتهم قتله سلم بن أحوز عام ١٢٨هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦/٦).

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي(١٥٣/١٨).

(٣) انظر : مقدمة الإبانة عن أصول الدين : ابو الحسن الأشعري للشيخ / حماد الأنصاري (١٤-٢٥)حيث حقق هذه المسألة وبين صحة نسبة الكتاب للأشعري.

(٤) انظر : رسالة في اثبات الاستواء والفوقية " لأبي محمد الجويني ضمن مجموعة " الرسائل المنيرية " (١ /١٧٥-١٧٦) .

ولم يكن حال ابنه بعيداً عنه فقد كان من أكابر أئمة الأشاعرة وكان كثيراً ما يقع في الحيرة والضلال وقد أورد كثير من أهل العلم قصته مع الهمذاني[١] حين سأله الهمذاني عن استواء الله وعلوه على خلقه فأولها وأنكرها أبو المعالي فسأله الهمذاني عن الضرورة التي يجدها كل مخلوق في نفسه وذلك أنه يلتفت للعلو ويرفع يديه في حال دعائه وتضرعه لله سبحانه وتعالى لجهه العلو عندها بكى أبو المعالي وحار ولم يجد جواباً إلا قوله : يا صبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة . بل ذكر أصحابه أنه كان يقول : حيرني الهمذاني.

وقد بسطنا الكلام عن الحيرة والشك التي مر بها الأمام أبو حامد الغزالي بما لا حاجة لإعادته في هذا الموطن .

وفي هذا المقام لا ننسى أن نشير إلى أبي الفتح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني (٥٤٨) [٢] الذي كان من أكابر المتكلمين في عهده.

وقد ذكر كلاماً طويلاً في حيرته بعد بلوغه الغاية في النظر والفكر ثم قال هذين من البيتين التي يصف فيها الحيرة والحائرين فيقول :-

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم[٣]

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء(٩/ ٣٦٤).

(٢) الشهرستاني : محمد بن عبدالكريم الشهرستاني،أحد أئمة الأشاعرة ، له مؤلفات منها الملل والنحل ، ونهاية الإقدام توفي سنة ٥٤٩هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، (٢٧٣/٤)، ٢٧٥، سيرأعلام النبلاء للذهبي ،(٢٠/ ٢٨٦ -٢٨٨).

(٣) انظر : نهاية الإقدام :الشهرستاني (٣).

يقول شيخ الاسلام رحمه الله " فأخبر أنه لم يجد الا حائرا شاكا مرتابا أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه فالأول في الجهل البسيط كظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها وهذا داخل في الجهل المركب ، ثم تبين له أنه جهل فندم "[١]

ومن متأخري الأشاعرة فخر الدين الرازي فبعد أن ألف المؤلفات وعقد التصانيف في الانتصار لعلم الكلام ولخص حيرته ومعاناته مع مناهج الفلسفة الضاله بقوله :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا [٢]

ثم يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ناقلا عنه قوله : " تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلا ولا تروي عليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القران ... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي "[٣]

---

(١) منهاج السنة (٥ / ٢٦٩) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية (١/ ١٦٠) يقول الدكتور محمد رشاد سالم في درء التعارض ،(١٦٠)عن هذه الأبيات : لم أجد هذا النص فيما بين يدي من كتب الرازي سواء المطبوع منها أوالمخطوط ، ويذكر ابن تيمية ان الرازي كان يتمثل بهذا النص في كتابه اقسام اللذات ، وهذا الكتاب مخطوط بالهند ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي ، وكثير ما يذكر ابن تيمية هذا النص في كتبه .

(٣) درء التعارض (١/ ١٦٠) .

وقد تتبع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[1] الكثير من النقولات والمواقف لأرباب الكلام وحيرتهم وشكهم حتى إن الإنسان ليعجب أشد العجب من مدى الحيرة وضعف اليقين الذي وصلوا إليه مع أنهم زعموا أن هذه المناهج هي الطريق الوحيدة العاصمة للذهن من الوقوع في الزلل وأنها آمن الطرق للوصول إلى اليقين التام والمعرفة المطمئنة ولعل ما ذكر عن أبي واصل الحموي أحد المتكلمين يبين اقصى ما وصلوا اليه من الحيرة فهو يقول : " اضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ، ولم يترجح عندي شيء " [2].

والذي يتتبع منهج المتكلمين ومؤلفاتهم سيظهر له ذلك الأمر جليا واضحا وسأحاول في نهاية هذا المبحث أن انتبع بعض الأسباب الظاهرة التي وصلت بهم الى هذا المسلك والمزلق المنحرف مؤكدا على الأسباب المنهجية والوافدة التي أدت إلى انحرافهم ومن ثم حيرتهم وضلالهم ومن أهمها :-

١/ **الالتقاء بأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى والتأثر بهم** ودخول الزنادقة من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام نفاقاً بغية إفساد عقيدة المسلمين.

فبعد الفتوحات الإسلامية بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من سائر الأديان والنحل، وكان من بين تلك الجموع أناس لم ترسخ العقيدة في قلوبهم ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم وكانوا قد دخلوا الإسلام وهم يحملون شيئاً من رواسب دياناتهم ونحلهم السابقة وقد كان لهم أعظم

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى الرياض (٤ /٧٢)والصواعق المرسلة (١ / ١٦٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٦٥) .

الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية ويكفي مثلاً ما حصل على يد غيلان الدمشقي الذي كان قبطياً فأسلم، واشتهر عنه الكلام في القدر.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الفتوحات الإسلامية قد أثارت غيظ أعداء هذا الدين ففكروا في كيفية الكيد له فرأوا أن كيده من داخله أنجع وأقوى فتظاهر قوم منهم بالدخول في الإسلام وقاموا بإثارة الفتن والخلافات، وتشكيك المسلمين في دينهم وإبعادهم عن صفاء عقيدتهم ولعل أبرز مثل يصوّر هذا الكيد ما حصل على يد عبد الله بن سبأ اليهودي[1] من فتنة وافساد للمسلمين .

كما أن اختلاط المسلمين باليهود والنصارى ممن بقي على دينه من أهل تلك الديار المفتوحة كان له الأثر فيما بعد على عقائدهم وتفكيرهم، وإثارة المسائل التي لا طائل تحتها[2].

كما أن مناقشة أهل الكلام لبعض هؤلاء مع عدم العلم الشرعي العاصم من الانحراف أدى ذلك إلى التزام أهل الكلام ببعض اللوازم الباطلة أثناء الجدل معهم مما أدى بهم الى الانحراف والضلال . وقصة الجهم بن صفوان في مناقشته للسمنية توضح ذلك بجلاء[3].

٢/ **حركة الترجمة:** لقد كانت الترجمة من أهم العوامل في نشأة المنهج الكلامي في العقيدة وذلك لما أثارته وأفرزته ونشرته من المصطلحات والمباحث الفلسفية والمنطقية البعيدة عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة الصالح أسلوباً ومضموناً.

---

(١) عبد الله بن سبأ، رأس السبئية، كان يقول بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأصله من يهود اليمن، تظاهر بالإسلام وجهر ببدعته فضل أضل

انظر في ترجمته: ميزان الاعتدال(٤٢٦/٢). ولسان الميزان(٢٨٩/٣-٢٩٠). والأعلام(٢٢٠/٤).

٢) انظر: درء التعارض (٩٤/٧).

٣) انظر: شرح السنة للالكائي، (٣٣٨/٣).

فلم تعرف مصطلحات: الجوهر والعرض ونحوها بالمفهوم الكلامي إلا بعد ترجمة كتب الفلسفة والمنطق.

والأمر الذي يلفت الانتباه أن أكثر المترجمين لكتب الفلسفة والمنطق كانوا منحرفي العقيدة فهم ما بين زنديق ونصراني ومجوسي ومن نظر في أسمائهم وسيرهم تبين له حقيقة أمرهم[1].

٣/ **الجهل بالكتاب والسنة والبعد عنهما** فمن أهم أسباب انحراف منهج المتكلمين عن جادة الصواب ، ووقوعهم في تناقضات وبدعيات حيرة وضلال بعدهم عن الكتاب والسنة وجهلهم بهما بل إنك لتجد أحدهم يعلم ويفقه ويحفظ كلام المناطقة والفلاسفة، ويعتني به أكثر من اعتنائه بكلام الله ورسوله .

٤/ **ضعف الإيمان في النفوس واتباع الهوى** وهذا يعتبر من أهم العوامل في انحراف المنهج الكلامي وذلك لما أفرزه هذا الضعف من نتائج سلبية، ظهرت من خلال تناول مسائل العقيدة بالبحث، فإذا ضعف إيمان الشخص قل تعظيمه لكلام ربه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وسهل عليه معارضتهما بالحجج العقلية والشبهات الإلحادية بل لا يجد حرجا في رد كل حديث وتحريف كل معنى آية لا توافق هواه ومعتقده، وربما تسلح بكلام الزنادقة من المناطقة والفلاسفة وسائر أهل الأهواء والمشارب المنحرفة.

كما أن ضعف الإيمان يحبب للإنسان كثرة الجدل والمناظرة بالباطل، لا لأجل الوصول إلى الحق بل يخوض المعارك الكلامية بهدف الانتصار على الخصم، ولو تبين له الحق مع خصمه.

---

١) انظر لأسماء جملة منهم،: الفهرست : ابن النديم (٣٤٠-٣٤٢). وضحى الإسلام: أحمد أمين (٢٢٣/١-٢٨٣،٢٢٧).

الفصل الثاني / الشك عند الفرق الباطنية والصوفية

وفيه تمهيد و مبحثان

- **تمهيد**
- **المبحث الأول : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية**
- **المبحث الثاني :- الشك في العقائد والمسلمات عند الباطنية والصوفية**

تمهيد :-

قبل الدخول في هذا المبحث والذي نتناول فيه موضوع الشك بأقسامه الثلاثة لدى الفرق الباطنية والصوفية يجدر بنا أن نشير إلى العلاقة الوطيدة التي تربط بين الحركات الباطنية والحركات الصوفية

وهذه العلاقة يجعلها كثير من المؤرخين قديمة جداً فابن خلدون[1] يتكلم عن تاريخ التصوف ثم يقول . وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن علياً ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة [2].

وكانت بدايات الاتصال عن طريق تقديس الصوفية والزهاد لآل البيت وبقيّة الأئمة عند الشيعة ، ولكن هذه العلاقة سرعان ما توطدت وبدأت تنحى منحىً باطنياً صرفاً مع ظهور الإسماعيلية الباطنية الغلاة فاشتدت العلاقة والتقى الصوفية مع الباطنية في كثير من الأفكار والمعتقدات ، وما هي إلا عدة عقود وسنوات من الارتباط حتى رأينا التصوف يتخذ طابع الاسماعيلية الكامل من القول بالولاية مروراً بالمنازل والتأويل والإشارات ونهاية بالمعرفة والسلوك .

---

(١) عبدالرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي عالم ومؤرخ اجتماعي توفي عام ٨٠٨هـ انظر : شذرات الذهب (٧٦/٧) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٢٣) دار الكتاب اللبناني بيروت بلا تاريخ .

وإذا عرفنا عمق هذه العلاقة وتجذرها وتشعبها بين هاتين الطائفتين فإننا سنجد التوافق الكبير بينهم في المناهج والعقائد التي خرجوا بها على الناس .

وفي هذا المبحث سنعرض لأنواع الشك الثلاثة عندهم ونبحث موقفهم من كل نوع من الأنواع وهل وجد أو لم يوجد في مناهجهم وعقائدهم[١].

المبحث الأول : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية :-

كما علمنا سابقاً أن الشك المنهجي يعتمد على النظر العقلي ومحاولة إعمال العقل في كل الموجودات والممكنات لتمييزها والوصل إلى حكم قطعي فيها يطمئن به الإنسان ويشعر أنه وصل إلى اليقين بطرق عقلية سليمة وبمناهج عقلية واضحة .

وبما أن الباطنية والصوفية يعتمدون اعتماداً كبيراً على الحدس والمشاهدة واعتبار الباطن والتأويل الباطني وعلى ما يختاره ويصححه الولي وشيخ الطريقة والإمام الغائب فإنهم لا يرون طريقاً سليماً غير هذه الطرق ويعتبرون كل معرفة ناتجة عن العقل أو الحس معرفة ظنية، فالعقل عندهم إنما يكتسب العلوم عن طريق الحواس ، وهي طريق غير مأمون في تلقي المعرفة[٢].

---

(١) انظر :- الصلة بين التصوف والتشيع(٣٤٩) : كامل الشيبي دار المعارف مصر ط الثانية وانظر أيضاً : التصوف المنشأ والمصدر : احسان الحي ظهير (١٦١) إدارة ترجمان السنة لاهور ط :الأولى بدون تاريخ .

(٢) انظر : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د/ عرفان عبد الحميد (٤٥) دار الجيل ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٣ م .

لذلك كانوا " ينكرون العقائد الكلامية وما تذهب إليه من ضرورة العلم بالله عن طريق النظر الفلسفي " [1].

ولهذا يقول ابن عربي[2] " من يؤمن بانياً إيمانه على البراهين والاستدلالات ، لا يمكن الوثوق بإيمانه لأنه مستمد من الفكر والنظر ولهذا فهو إيمان يتأثر بالاعتراضات"[3].

ويقول أيضاً " لا علم الا ما كان عن كشف وشهود لا عن فكر وظن ذلك لأن الأفكار محل الغلط والخطأ والوهم " [4].

ويقول أيضا : " فكل ما لهم تقليد واستدلال قائم على الظن .. وهؤلاء الاستدلاليون يسعون على ساق خشبية ، والساق الخشبية متعثرة واهية " [5].

وكذلك **الباطنية الإسماعيلية** فهم يشككون في المعرفة الناتجة عن العقل ولا يعتبرون إلا التأويل الباطن أو تأويل الإمام وهم في هذا يقولون " إن من يتبع موجب العقل ويصدقه ففي

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ، كولدزيهر (١٦٩) الترجمة العربية ط الثانية ١٩٥٩م.

(٢) محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن احمد الطائي الحاتمي الأندلسي ، لقب بمحي الدين ، ، دخل الحياة الصوفية في سن الحادية والعشرين ، وكان يختار من طرق التصوف أضيقها ومن الرياضات أشدها ، فاقت مؤلفاته أربعمائة مؤلف أشهرها (الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم) ، توفي في سوريا ٦٣٨ هـ . انظر: طبقات الأولياء ، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري الملقن(٤٦٩) ، تعقيب : نور الدين شربيه ، دار المعرفة ، بيروت ط:الثانية ،١٩٦٨ م البداية والنهاية :(٣٩٩/٦).

(٣) العقيدة والشريعة : كولدزيهر (١٧٠) .

(٤) الفتوحات المكية (٤ / ٣٠٤)بيروت دار صادر بلا تاريخ .

(٥) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد (١٦٥)، دار الجيل ، بيروت ط: الأولى ١٤١٣هـ-١٣٩٣م .

تصديقه تكذيبه وهو غافل عنه ، لأنه ما من مسألة نظرية يعتقدها بنظره العقلي إلا وله فيها خصم اعتقد بنظر العقل نقيضها ، فإن كان العقل حاكماً صادقاً فقد صدق عقل خصمك أيضاً ، فإن قلت لم يصدق فقد تناقض كلامك .." (١)

فمن خلال هذه النصوص يتضح لنا موقفهم جميعاً في مسألة المعرفة الناتجة عن العقل وهذا يعطينا تصوراً واضحاً عن موقفهم من الشك المنهجي وأنهم لا يرونه طريقاً معتبراً في المعرفة ولا يستخدمون حتى النظر العقلي في الحكم والوصول إلى المعرفة الصحيحة .

المبحث الثاني : الشك في العقائد والمسلمات عند الباطنية والصوفية :-

الصوفية والباطنية هم أكثر من يدعي الوصول إلى اليقين وأنهم هم من كشفت لهم سحائب الغيب والطمأنينة وطالما احتقروا علوم الظاهر التي يقصدون بها أمور الشريعة الظاهرة وطالما حقروا العقل والحسن وكل ما يأتيان به من معارف كما بينا ذلك سابقاً .

ولكن ومع كل هذا ومع أنهم يدعون الإسلام والإيمان الجازم الصادق الذي لا يخالطه ريب إلا أنهم يقعون في موبقات وطوام تنكر وتشكك في أصول الإسلام الصحيحة والمعروفة من الدين بالضرورة و وهذا يدلنا دلالة كافية على مدى الاضطراب

---

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي (٧٥) المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣-٢٠٠٣م.

والحيرة وضعف اليقين الذي وصلوا إليه في الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى وإن ادعوا عكس هذا وإلا كيف يستقيم يقين بالله مع الاستهزاء بشريعة الله ورسله والحط من أنبيائه ، والتهوين من شريعته وأصحابها ، إضافة إلى اختراع وادخال العقائد الفاسدة فيها وتشكيك الناس فيها وجعلهم ينأون عما جاءت به الشريعة من وضوح وبيان وإدخالهم إلى عالم الاشارات والتأويلات الباطنية .

ويمكن إجمال ما أنكرته الباطنية والصوفية وتشككت فيه في عدة أمور نذكرها على سبيل الاختصار؛ لأن المقام ليس مقام حصر ولكن نشير لما انطوت عليه عقيدتهم من شك وحيرة في مجال الإيمان بأصول الدين وثوابته، ويمكن ذكرها كالتالي:-

(أ) إسقاط التكاليف الشرعية :-

فهم يزعمون أن الإنسان وصل إلى اليقين الكامل فإنها تسقط عنه التكاليف ويصير غير مطالب بشيء منها، بل يصير متنكراً لها عديم الاكتراث بالحدود والقيود الشرعية [١].

بل هم يأنفون من تعاليم الدين ويعتبرونها قيداً وحبساً على الظاهر يجب التخلص منه " وأن الإنسان ليس عليه فرض ولا تلزمه عبادة إلى وصول إلى معبوده " [٢].

---

(١) انظر : التصوف والمنشأ : احسان الهي ظهير (٣١١) ادارة ترجمان السنة، لاهور بدون تاريخ

(٢) مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري(٣٠١) تحقيق :هلموت ريتر اسطانبول١٩٢٩م .

" وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات ، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم" [1].

وغالبية الصوفية تتأول قوله تعالى :

(❒◆✁✃☞⇱⇧⌛⬅⑨ ❻◆✇✸🖮◸ ❍◸⊠☹✸✗▤
③◆▫🕯✍✆⓿◆🖮◸ ✁✃☞✇⚐⓿◆➊☞✓▫✓) " [2] وتجعل منه منزلة يلزم منها كل ما سبق من انحرافات وشطحات .

ويذكر الغزالي عن الباطنية إيمانهم جميعاً بهذه العقيدة المنحرفة وينقل عنهم قولهم : " من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر .. ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر "[3] وينقل عنهم قولهم أيضاً " أما القائم عليه السلام فإنه يرفع الشرائع " . [4]

(ب) التجاوز على مقام النبوة والأنبياء :

لا شك أن النبوة اصطفاء يصطفيه الله سبحانه لمن يشاء من خلقه حيث يجتبيه الله لهداية خلقه وإصلاحهم ، هذا هو المعروف عند المسلمين ، أما عند الباطنية والصوفية فالمعنى مختلف فهي عندهم مكتسبة وتحصل بالرياضة والجهد والتطهر وتزكية الإمام ونحوها من هذه الاعتقادات .

---

(١) المرجع السابق (٢٨٩) .

(٢) الحجر آية (٩٩).

(٣) فضائح الباطنية للغزالي (٤٦).

(٤) المرجع السابق (٤٦) .

فها هي الإسماعيلية تزعم " أن الروح الإلهية تتجلى في سلسلة تعاقبية ، دقيقة التحديد ، بديعة التركيب ، في درجات مختلفة ومراحل متوالية ، وتظهر للإنسانية عند بدء الخلق في صورة يتزايد كمالها وبهاؤها ، وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدو في وقته يكمل انجاز العمل الذي أداه في وقته المظهر السابق" [١]

ولا شك أن هذا يعني بكل بساطه أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن خاتم النبيين ، ولا آخر من يمثل اكتمال الوحي الالهي . [٢]

وينقل عنهم أبو الحسن الأشعري زعمهم " أن النبوة صفة يمكن للإنسان اكتسابها والوصول إليها عن طريق الرياضة وتصفية القلب[٣].

وها هم الصوفية على شاكلة الإسماعيلية في هذا الاعتقاد فهذا السهروردي يعلن أن النبوة مكتسبة [٤].

ويذكر عنهم شيخ الإسلام قوله " بل صار كثير منهم يطلب أن يؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، وأن يؤتي صحفاً منشرة " [٥].

ويقول عنهم في موطن آخر " ولهذا كان الملاحدة من المتصوفة على طريقهم كابن عربي وابن سبعين وغيرهما قد سلكوا

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : كولدزيهر (٢٣٩).

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد (١٠١).

(٣) مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري(٤٣٨) .

(٤) ابن تيمية والتصوف : مصطفى حلمي (٣٢١) دار الدعوة ط: الثانية

(٥) المرجع السابق (٣٢٢).

مسلك ملاحدة الشيعة كأصحاب رسائل أخوان الصفا[1] فصار بعضهم يرى أن باب النبوة مفتوح لايمكن اغلاقه " [2].

وكل متتبع لمؤلفاتهم ولمؤلفات المؤرخة للتصوف والباطنية يجد عبارات كلها تتهجم على مقام النبوة والأنبياء وكل هذه الادعاءات لا تصح من مؤمن مستيقن بالله العظيم .

(ج) القول بوحدة الأديان :

وقد اتحد الصوفية والباطنية في هذه الدعوى كما اتفقوا في غيرها من الانحرافات والإنكارات التي لا تهدف إلى إبطال الدين وتشكيك الناس في دينهم ومعبودهم .

فقد جاء في إحدى رسائل اخوان الصفا " ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى – ألا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا لمذهب من المذاهب ، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم كلها " [3].

والمذهب الاسماعيلي يقوم في جوهره على فكرة " المزج والتلفيق بين مذاهب دينية مختلفة وآراء متباينة ، سياسية ، اجتماعية متعددة ومبادئ فلسفية وعلمية متنوعة"[4] .

---

(١) جماعة باطنية صوفية أقامت في البصرة وضمت أبو سليمان البستي ، علي بن هارون الزنجاني ، محمد بن احمد النهرجوري والعوفي امتلأت عقيدتهم ومؤلفاتهم بالفلسفة والتصوف الباطني المنحرف : انظر أعلام الفلسفة روني الفا (١/٥٩).

(٢) الرد على المنطقين : ابن تيمية (٤٨٧) ادارة ترجمان السنة، لاهور ط: الثانية ١٣٩٦هـ–١٩٢٦م

(٣) الرسالة الخامسة والأربعون (٤ /٤١).

(٤) تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام : بندلي (١٢١)نقلاً من كتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها (٩٢)

أما المتصوفة فهذا ابن عربي يقول " إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من يحصره عقد دون عقد" [١]

ويصرح الحلاج[٢] بقوله " مسلم أنا ، ولكن نصراني وبرهمي وزرادشتي ، توكلت عليك أيها الحق الأعلى ، فلا تنأ عني ، ليس لي سوى معبد واحد أو مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام ، ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ، فلا تنأ عني " [٣] .

ويقول أيضا " واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام ، وغير ذلك من الأديان ، هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة ، والمقصود منها لا يتغير،ولا يختلف "[٤]

ونحن ندرك وبلا شك أنهم حين يعتقدون هذه العقيدة فإنهم يهدفون من ذلك إلى هدم عرى الدين الإسلامي واضعاف يقين الناس بدينهم وعقيدتهم ، وجعل الناس يتشككون فيها وذلك لأن الشك فيه قد غزى واستعمر قلوبهم فأرادوا بذلك نقله للناس .

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي (١١٣) .

(٢) الحسين بن منصور الحلاج من الباطنيين المتصوفة الغلاة كفره الكثير من العلماء وعلى ضوء ذلك سجن وجلد ثم قتل عام ٢٤٤هـ انظر: اعلام الفلسفة روني الفا (٤٠٥/١) .

(٣) ظهر الاسلام : أحمد أمين (٦٤) دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ .

(٤) اخبار الحلاج : لويس ماسينيون(٧٠)باريس ١٩٣٦م .

وكما عرفنا فيما سبق عن الشك المذهبي واعتمـــاده علـــى انكار المعرفة وجعلها نسبية من شخص لآخر ، فإنا وعند استظهار المعرفة عند الباطنية والصوفية لا نجد أثراً للشك الهادم بل إن القوم يدّعون اليقين التام والتنقل بين مراتبه ويجعلون المعرفة الناتجة عن الولي أو الإمام هي أسمى معاني المعرفة والتي بها يمتلك العـــارف حقائق الظاهر والباطن ، ولكن هذا الشك المنهجي الذي يزعمون أنه أوصلهم إلى اليقين قد أدى بهم إلى شك اعتقادي نســـف كمـــا بينـــا عندهم المسلمات العقائدية فهجموا على مقام النبوة وصرحوا بوحدة الأديان وهذا يعني أنهم جمعوا بين الحق والباطن في موطن واحـــد ولم يميزوا بينهما وأدى بهم ذلك إلى التحلل من الأحكام الشـــرعية والقول بإسقاط التكاليف .

الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين

وفيه تمهيد و مبحثان :

- **تمهيد**
- **المبحث الأول / الشك المنهجي عند المفكــرين المســلمين المحدثين .**
- **المبحث الثاني : الشك الاعتقادي عند المفكرين المســلمين المحدثين.**

تمهيد :-

بداية وقبل الخوض في غمار هذا المبحث يجب علينـــا أن نعلم ونؤكد أن المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث هـــم فـــي غالبيتهم متأثرين بالمدرسة العقلية الممتدة من الفلسفة اليونانية قديماً ثم مروراً بتجربة المعتزلة في الحضـــارة الإســـلامية ثـــم انتهـــاء بالحضارة والثقافة الغربية العلمية التجريبية الحديثة .

ولذلك نجد في أطروحاتهم وآرائهم تشابهاً كبيراً مع تلـــك الثقافات السابقة الذكر، التي تُجمع على اطراح الوحي أو تأخيره عن مقام العقل .

وهذه المدرسة الفكرية الإسلامية الحديثة ليســت مجتمعـــة تحت لواء أو جماعة واحدة بل هم أشتات وتوجهات يربطهم الـــدين الإسلامي ديانة ويختلفون في القرب والبعد عـــن تعاليمـــه بحســـب تأثراتهم ومصادرهم التي يتلقون منها معرفتهم وثقافتهم .

وهم يمتدون في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وقد يطلق عليهم أحياناً المدرسة العصـــرانية[1] الحديثـــة نسبة إلى كونهم في هذا العصر وينادون بتطويع الأمـــور الدينيـــة

---

(١) حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى (اليهودية ، النصرانية والإسلام أيضاً)، والعصرانية في

الدين هي وجة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي ، والثقافة المعاصرة ، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة . انظر العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب ، محمد حامد الناصر(٥، ٦) مكتبة الكوثر ، الأولى ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦ م ، العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، الدكتور ، عبدالرحمن الزنيدي(٩ ، ١٥)،. دار المسلم ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٤م .

والمعرفية وفق ما تقتضيه ثقافة وظروف العصر الذي نحن فيه ، وهؤلاء المفكرون لهم صدى مسموع في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وتضمهم جامعات ومعاهد ويستكتبون في مجلات وكبريات دور النشر في العالم الإسلامي خاصة وفي شتى بقاع الدنيا المختلفة لذا كان من الضروري أن ننظر في بعض نتاج هؤلاء المفكرين وذلك فيما يتعلق ببحثنا المتعلق بالشك ونبحث في نتاجهم عن مدى تواجده من عدمه في أبجدياتهم ونتاجهم الفكري وسأعرض لذلك من خلال النقاط التالية:

المبحث الأول : الشك المنهجي عند المفكرين المسلمين المحدثين

كما مهدنا سابقاً أن المفكرين الإسلامين يعتمدون على العقل اعتماداً كبيراً ويجعلونه في المقام الأول بالنسبة للمعرفة والوصول إلى الحقيقة وهم في هذا يسيرون على خطى أسلافهم من المعتزلة الذي يجعلون النظر العقلي هو أول الواجبات المعرفية على الفرد المسلم بل اشتد بعضهم فجعل الشك هو أول الواجبات التي بها يصل الإنسان إلى المعرفة والحصول على اليقين .

وعندما نستعرض آراء أوائل المفكرين الإسلاميين والذين يقف على رأسهم الشيخ **محمد عبده** [1]رحمه الله نجد أنه أولى النظر

---

(١) محمد عبده بن حسن التركماني ولد سنة ١٨٤٩م ، كان يميل الى مهادنة الاستعمار البريطاني ويتجة الى إصلاح الناس عن طريق التعليم والتهذيب كان يبذل النصيحة للإنجليز ويرشدهم إلى ما يوطد احتلالهم ، ولذا فان كرومر صرح بأن الشيخ سيظل مفتيا في مصر ماظلت بريطانيا العظمى ممثلة له ، صاغ برنامج الحزب الوطني المصري، يميل الى التأويل العقلاني العصراني في القرآن والسنة ، وكان يميل الى تقديم العقل على نصوص النقل ، أنشا جمعية دينية سياسية بهدف التقريب بين الأديان الثلاثة : الاسلام والنصرانية

العقلي أهمية بالغة ودعا إليه دعوات كثيرة ومتنوعة وكان دائماً ما يؤكد على تأسيس الاعتقاد على العقل وعلى النظر العقلي بل نجـد انه يؤكد أن المقلد في دينه ليس بمستيقن وكل من ليس بمستيقن في الأصول فهو على ريب فيها [1].

وفيما يتعلق باستخدام الشك المنهجي للوصول إلى اليقـين اشتهرت عنه دعوته لممارسة الشك الذي يوصل إلى العلم ويكـون مقوياً لليقين وحافزاً إليه وداعماً له، بل كان يدعوا بإلحـاح إلـى ضرورة تجديد عقائدنا وتحفيزها حتى تلائم المتغيرات الواقعية [2].

وقد أتى من بعده طه حسين ونادى بإدخال الشك المنهجـي على جميع المصادر الأدبية والتاريخية وعدم الإيمان بشـيء منهـا حتى ندخل عليها منهج الشك زاعماً أنه أتى بهذا المنهج من ديكارت وعلى ضوئه جعل القرآن كتاباً أدبياً ودعا تلاميذه إلى نقده نقداً أدبياً وقامت على ضوئها معارك أدبية كثيرة بين طه حسـين ومفكـري عصره [3].

واليهودية. انظر تاريخ الأستاذ الامام محمد رشيد رضا:(١/ ٤٦,٧٨) ، مطبعة المنار، مصر بـدون تـاريخ
وانظر أيضا: خصائص التصور الاسلامي : سيد قطب دار احياءالكتب العلمية،ط:الثانية القاهرة ١٩٦٥م.

(١) انظر : اعادة بناء علم التوحيد عند الاستاذ محمد عبده د / محمد صالح السيد(٣٠) دار قباء ١٩٩٨ م .

(٢) انظر : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده . د / عثمان أمين (٧٩)مكتبة الانجلو المصـرية ط الثانيـة ١٩٦٥ م .

(٣) انظر : قضايا الأدب والثقافة والفن لأنور الجندي (٢٠١) دار الفضيلة بدون تاريخ .
وانظر أيضاً : الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية (٥٥) لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ
وأيضا : في الفكر المصري الحديث : عزت قرني (١٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٥ م .

والذي يعاب على منهج طه حسين أنه لا يمكن تطبيق هذا النوع من التحقيق على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إضافة إلى أن طه حسين " كان الشك عنده هدفاً بحد ذاته ، ويثير الشبهة في النفوس الضعيفة أو التي لم يحط بأصول القضايا دون أن يقدم لها أي اجابة ، وهو منهج يختلف عن منهج الغزالي الذي عرفه الإسلام ، وبعيداً عن منهج ديكارت الذي كان يدعو إلى الخروج من دائرة الأساطير ، أما طه حسين فقد كان يرمي إلى اثارة الشبهات في وجه كل الثوابت والقيم والمقومات وخلق جو من القلق والاضطراب " [١].

المبحث الثانيً : الشك الاعتقادي عند المفكرين المسلمين المحدثين :

نتيجة للعوامل العديدة التي أثرت في المدرسة الفكرية الإسلامية الحديثة فقد ظهرت عندها شطحات اعتقادية متعددة وانحرافات فكرية واضحة جداً لا سيما فيما يتعلق بالأمور الغيبية والأمور التشريعية فقد حصل منهم نوع من الإنكار والتشكيك سواء فيما يتعلق باعتقاد المفكر نفسه أو فيما يتعلق بمحاولته زحزحة يقين الناس وتشكيكهم في بعض القضايا التي قد يوهم في الظاهر تعارضها مع العقل، مع أنها من الأمور المتواترة والمصرح بها في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويمكن اجمال هذه الانحرافات في المجالات التالية :-

---

(١) كتاب العصر في ضوء الإسلام لأنور الجندي (٣٤)دار الفضيلة بدون تاريخ .

أ) إنكار الغيبيات :

لقد أنكر كثير من رواد هذه المدرسة كثيراً من المسائل الغيبية إما بشكل صريح أو بالتشكيك فيه،ا وبما أن هؤلاء المفكرين متأثرون بالحضارة الغربية الحديثة أشد التأثر فقد انطلقوا بهدف تقريب الإسلام من عقول الغربيين الماديين الذين يتخذون من المادة أساساً في الحياة ويطرحون ما عداها ويجعلونه من باب الخرافة والجهل ، فحتى لا يوصم الإسلام بهذه التهم من قبل الغربيين انطلق المفكرون ينكرون ويشككون في كثير من المسائل الدينية .

فهذا الشيخ محمد عبده يتأول الملائكة ويجعلها قوى وأرواحاً أودعها الله في الكائنات الحية ، وكذلك الشيطان ليس موجوداً أعلى الحقيقة، وإنما هو هاتف الشر وأنكر كذلك الجن والسحر وغيرها من الأمور [١].

وهذا تلميذه محمد رشيد رضا[٢] يتأول خروج الدجّال ويجعله رمزاً فقط للقبائح والدجل والخرافات [٣].

---

(١) الأعمال الكاملة للامام محمد عبده: تحقيق محمد عمارة (١/١٧١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م

(٢) محمد رشيد رضا بن علي بن رضا، البغدادي الأصل الحسيني النسب ولد في طرابلس سنة ١٢٨٢ هـ ، ثم

رحل الى مصر عام١٣١٥هـ فاتصل بمحمد عبده وتتلمذ عليه ، ثم أصدر مجلة المنار ، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، كان كثير الرحلات ، من مؤلفاته: تفسير القران الكريم ولم يكمله ، والإمامة العظمى ، الوحي المحمدي . انظر الأعلام للزركلي ، (٦/ ٣٦١ – ٣٦٢) ، معجم المؤلفين (٩/ ٣١٠ ، ٣١١) .

(٣) تفسير المنار (٩/ ٤٩٩) .

والشيخ محمود شلتوت يشكك في نزول عيسى آخر الزمان ويجعل الأحاديث التي تدل على ذلك أحاديث آحاد لا يصح الاحتجاج لها [١].

وأخيراً يأتي الشيخ محمد الغزالي فينكر سحر النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه شق صدره صلى الله عليه وسلم [٢].

ب) سوء الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم :

ولم يسلم مقام الله سبحانه وتعالى ومقام رسوله صلى الله عليه وسلم من سوء أدبهم ووصفهما بما لا يليق به سبحانه وتعالى وخذ مثلاً على ذلك بعض آراء حسن حنفي الذي يقول وبئس ما قال " انها لغة آلهية تدور الألفاظ فيها حول الله ، بل إن لفظ الله يحتوي على تناقض داخلي ، ولا يعبر عن معنى معين أي إنه صرخة وجودية ، فالله لفظة يعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح ، أي إنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً للواقع .. وإذا كان الله هو الذي يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز والرزق والقوت والإرادة والحرية " [٣]

تعالى الله عما يقول وعز جاهه سبحانه وتعالى وهذا الرجل الآنف الذكر بلغت به الجرأة بعد أن سأله أحد الصحفيين سؤالاً عن رأيه فيما ينعته به نقاده من محاولاته تفريغ الدين من محتواه وذلك بإلغاء ثوابة ومنطلقاته ومقدساته من الله إلى النبوة إلى الرسالة إلى

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي : عدنان محمد أمامة (٣٩٧) دار ابن الجوزي ، ط : الأولى١٤٢٤ هـ .

(٢) فقه السيرة (٦٤) دار القلم ، دمشق ، ط : الثانية ١٩٩٦م .

(٣) التراث والتجديد (١٢٩) القاهرة ١٩٨٠م .

الوحي إلى الغيب فكان جوابه : إن الذي يقول به نقاده هذا هو تهمه لا ينفيها وشرف لا يدعيه " [1].

أما النبوة فقد " فسروها تفسيراً ماديا يبعدها عن حقيقة الوحي الخارج عن حدود الإمكانات والمعارف البشرية ويصفوها بالتقوى ومجاهدة النفس والاجتهاد في الطاعة والانقطاع للعبادة والبعد عن شهوات النفس ونزواتها ، وليس لها أي علاقة بالغيب أو العالم الأخروى ولذا فالنبي عندهم رديف تام لكلمة " مصلح" [2].

وهذا ما نجده في كلام الشيخ محمد عبده عندما عرف النبي وأبعد عنه كل المفاهيم الإيمانية كالوحي والمعجزة وغيرها [3].

وكذلك عباس العقاد الذي ألف كتاباً في عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم وأسماه "عبقرية محمد " وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عبقرياً في كل نواحي الحياة التي يشاركه فيها كل عباقرة الدنيا ولم يشر أبداً لكونه نبياً يوحي الله سبحانه وتعالى إليه [4].

---

(١) الوطن العربي العدد ١١٧٢ بتاريخ ١٩٩٩/٨/٢٠م نقلاً عن كتاب التجديد في الفكر الإسلامي د/ عدنان محمد أمامه (٣٨٩).

(٢) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال (٢٧٣) دار عالم الكتب ط : الأولى ١٤١٤-١٩٩٤م .

(٣) الأعمال الكاملة للامام محمد عبده: تحقيق محمد عمارة (١/١٢١)

(٤) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال (٢٧٣)

(ج) وحدة الأديان :

وقد وقع في هذه الدعوى أعـداد كبيـرة مـن المفكـرين الإسلاميين وذلك تمشياً مع الحضارة والتسامح الإنساني ومحاولـة للتقرب من الغرب وثقافته بصفته الأقوى وهم هداهم الله مهزومون أمام الحضارة الغربية مولعون بتقليد الأقوى كما قال ابن خلـدون " إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيـه وسـائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن تغلب عليها وانقادت إليه [١].

ويأتي في مقدمة من وقع فيها جمال الدين الأفغاني [٢] حيث كان يقول " إن الأديان الثلاثة كلها أساسها واحد ، وإنما يوسع شقة الخلاف بينها اتجار رؤساء الأديان بها [٣].

ثم يأتي حسن الترابي فيقول " علينـا أن نعيـد تصـنيف التقسيمات السابقة للأديان ونضعها في اطار معادلة جديدة دينيـون وغير دينيون " [٤].

وهذا فهمي هويدي ينقل بإعجاب عن محمود أبي رية في كتابه " دين الله الواحد " أنه شهد مجلساً لبعض المشايخ ذكر فيه أن

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١٦٢).

(٢) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني ولد عام ١٨٣٩م اختلف في أصله فقيل انه من ايران وقيل مـن افغانستان له عدة نشاطات يدور حولها الكثير من الغموض أقام في مصر ثم نفي منها وتنقل بـين بـاريس والهند وهو أستاذ الشيخ محمد عبده انظر : الأعلام للزركلي (١٥٤/٤) .

(٣) الفكر الإسلامي والتطور فتحي عثمان (١٤٦) نقلاً من كتاب التجديد في الفكر الإسلامي د/ عـدنان محمد أمامه (٤٠٣) .

(٤) قراءات سياسية العدد ١١– ١٢ سنة ١٩٩٣ – نقلاً عن المرجع السابق .

الكفار سيحرمون من دخول الجنة فقال أبو ريه : " وما قولكم فـــي أديسون مخترع النور الكهربائي أجاب الشيخ أنه سيدخل النار فقال أبوريه مستنكراً : بعد أن أضاء العالم كله ؟ " [(١)] .

وعلى هذا فقد نشط أكثرهم في مؤتمرات تقريب الأديـــان ومحاولة زعزة أصول الإسلام الثابتة حتى تتقــارب وتــذوب فـــي الأديان الأخرى وهذا ولا شك ينم عن ضعف يقين بـــالله ســبحانه وتعالى ومحاولة لتشكيك الناس وزعزعتهم عن التمسك بدينهم .

ويمكننا القول إن الشك المذهبي بتصـــوره السوفســطائي والبيروني الذي يجعل الإنسان لا يعرف شيئاً أو يجعــل الحقــائق نسبية قد بدأ وانتهى في عصرهم ولم يعد هناك من يمثله في الوجود الإنساني الحالي وبالنسبة للمفكرين الإسلاميين المحدثين فهم أبعد ما يكونون عن هذا النوع من الشك بل هم يؤمنون بالمعرفة الإنســانية ويؤمنون بالبراهين العقلية على شتى أنواعها ولذا فيمكننا القول بكل وضوح إنه لا وجود لهذا النوع من الشك عندهم .

---

(١) مجلة العربي العدد ٢٦٧ (٥٠).

الباب الثالث أسباب الشك وآثاره

وفيه تمهيد و فصلان :

- تمهيد
- الفصل الأول / أسباب ظهور الشك .
- الفصل الثاني / آثار الشك .

الفصل الاول : أسباب ظهور الشك .

تمهيد :

بعد أن بينا في الأبواب المتقدمة أن الشك المنهجي قد وجد

عند طوائف كثيرة من أرباب علم الكلام وبعـض الفـرق الأخرى ، وحيث إن هذه الطوائف هي في الجملة ممن ينتسب إلـى الإسلام وكان لها أدوار مهمة ورائعة في الدفاع عن حياض الـدين وأهله والوقوف ضد الهجمة الشرسة من قبل الملاحدة وغيرهم الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وحيث إنهم يعتقـدون مـا يعتقـده المسلمون المتبعون في الجملة ولكنهم خالفوا في بعـض القضـايا الاعتقادية الأساسية والفرعية في ديننا وذلك يعود كما سنشـير الآن وكما أشرنا سابقاً إلى تأثرهم بالمناهج العقلية وطرقها المستمدة من الفلسفة وعلم الكلام واعتمادها على النظر والشك المنهجي الموصل إلى الحقيقة .

لذا فسنجد في أثناء بحثنا وتنقيبنا عن أسباب ظهور الشك في بعض المعتقدات والأمور الدينية الشرعية تداخلاً وتقاطعاً كبيراً مع مناهجهم العقلية التي وضعوها وسيكون هنـاك تـداخل مهـم وضروري ولا بد منه في بعض الأسباب التي أدت إلى ظهور الشك المنهجي.

وأيضاً قد نجد تكرارا للأسباب التي أدت إلى ظهور الشك الاعتقادي في الشك المنهجي لكننا وإن أوردنا نفس السبب كعنوان أو بداية إلا أن المضمون والرؤية التي ننطلق منها لمناقشة المسألة ستختلف ولا بد ، وهذا ما يجعل دراستنا مقاربة ومتكاملة إن شـاء

الله لأسباب ظهور هذين الشكين المتقاربين في الأسـباب والنتـائج وسنبدأ أولا بذكر أسباب الشك الاعتقادي ثم ننتقل الى الشك المنهجي أما بالنسبة للشك الهادم فلن نحفل به فهو ظاهرة بائدة ولدت ميتـة وانتهت في عصرها ولم يعد لها وجود في التاريخ الإنساني وكـان وجودها نتيجة لمشاغبات فكرية تهدف التشويش وإثارة نـوع مـن القضايا التي ترفضها العقول والفطر السوية .

المبحث الأول : أسباب ظهور الشك العقائدي:

سبق وأن أشرنا في أنواع الشك الى أن هذا النوع من الشك يأتي على عدة صور منها الشك في المعتقـد أو التشـكيك فيـه أو الانكار الصريح له ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت الى ظهـور هذا النوع من الشك في الآتي :-

أولاً : الشك المنهجي واعتماده طريقاً للحقيقة :

سبق أن أشرنا في الباب الثاني لكثير من الاعتقـادات التي تعتقدها بعض الفرق المنتسـبة الـى الإسـلام والمفكـرين الإسلاميين في العصر الحديث ولا حاجة لإعادتهـا هنـا إلا عنـد اللزوم أو على طريقة الإشارة والتبين .

ولا شك أن اعتماد تلك الفرق على النظر العقلي أو الشـك الفلسفي المنهجي كان سبباً رئيسياً في إنكارها أو تأويلها أو التشكيك في كثير من الأمور الشرعية والشك ومحاولة التنصل من النصوص التي وردت بها ، كل ذلك خوفاً من مخالفتها للقاطع العقلي ومخالف لقواعد النظر العقلي الذي اعتمدوه في تقريرهم لعقائد الربانية .

وسنستعرض بعض القواعد العقلية وكيف أنهـا أدت إلـى إنكار بعض العقائد الإسلامية الشرعية التي أتت النصوص لتؤكدها وتقررها.

فهؤلاء **الأشاعرة** أنكروا الكثير من الصـفات بحجـة أن النظر العقلي يمنع حدوثها في آحادها ، لأن الله ليس محلاً للحوادث ومع ذلك فقد وقعوا في الاضطراب لأنهم لا يمكن أن ينكروا حدوث صفات المعاني حسب مشيئة الله تعالى وقدرته ، ففروا إلى التعلقات التي ابتدعوها [(١)] .

وكذلك **المعتزلة** بحجة أن إثبات الصفات لله يـؤدي إلـى المماثلة وتعدد القدماء كما يزعم النظر العقلي عندهم فأدى بهم إلى إنكار الصفات مع تناقضهم بإثبات الأسماء [(٢)] .

وفي قياس المتكلمين جميعاً الغائب علـى الشـاهد الـذي أوقعهم في مشابهة الله في صفاته سبحانهً وتعالى وذلك مراعاة منهم للأقيسة العقلية التي ابتكروها وأعرضوا عن صـحيح النصـوص الإلهية والنبوية على صاحبها صلوات الله وسلامه .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميـة ــ رحمـه الله ــ (المتكلمون والفلاسفة كلهم على اختلاف مقالتهم هم في قياس الغائب على الشاهد مضطربون كل منهم يستعمله فيما يثبته ، ويردّ علـى منازعه ما استعمله في ذلك ، وإن كان قد استعمل في موضع آخر ما هو دونه .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة : ابن القيم (١/ ٣٥٢) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٢) .

وسبب ذلك أنهم لم يمشوا على صراط مستقيم ، بل صار قبوله وردّه هو بحسب القول لا بحسب ما يستحقه القياس العقلي ، كما تجدهم أيضاً في النصوص النبوية كل منهم يقبل ما وافق قوله ، ويرد منها ما خالف قوله ، وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث فحالهم في الأقيسة العقلية كحالهم في النصوص السمعية لهم في ذلك من التناقض والاضطراب ما لا يحصيه إلا رب الأرباب "[١] .

وبما سبق تقريره وتوضيحه يتضح لنا ان النظر والشك المنهجي ذاته كان سبباً وعاملاً رئيسياً في انتشار الشك والتشكيك والإنكار والتأويل لكثير من الاعتقادات خاصة فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى لدى تقريرها من المتكلمين .

ثانياً : التأثر بالثقافة اليونانية :

إن ظهور الشك الاعتقادي لدى الكثير من الفرق الكلامية يعود إلى تأثرها بشكل مباشر بالثقافة اليونانية .

فبالإضافة إلى التأثر الكبير في مسألة تقديم العقل على النقل وتغليب الأقيسة المنطقية واتباع أساطين وفلاسفة اليونان في تقديس العقل واختراع الأحكام العقلية البعيدة كل البعد عن الشرع والدين ، بالإضافة لهذا كله نجد عندهم تقليداً مباشراً لليونان في نفي بعض الاعتقادات والشك فيها والارتياب والتناقض في إثباتها مع حجة النصوص الصريحة في ذلك مما يدل كما أسلفنا مراراً على ضعف

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٦/١).

وتسرب الشك إلى كثير من المعتقدات الشرعية والأصول الدينية المعتبرة.

فمن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ بقوله : " وأكثر الفلاسفة من أتباع أرسطو وغيره مع الجمهور يقولون " : إن الإمكان لا يعقل إلا في المحدثات ، وأما الذي ادّعى ثبوت ممكن قديم فهو ابن سينا [1]، ومن وافقه ، ولهذا ورد عليهم في إثبات هذا الإمكان سؤ لان لا جواب لهم عنها" .

والرازي لما كان مثبتاً لهذا الإمكان موافقة لابن سينا كان في كلامه من الاضطراب ما هو معروف في كتبه الكبار والصغار مع أن هؤلاء كلهم يثبتون في كتبهم المنطقية ما يوافقون فيه سلفهم أرسطو وغيره : أن الممكن الذي يقبل الوجود والعدم لا يكون إلا حادثاً كائناً بعد أن لم يكن [2] .

وأيضاً من صور التأثر بالثقافة اليونانية مسألة القدر وحرية الإرادة في الفكر الإسلامي التي اختلفت فيها طائفتان من أهل الكلام هم الجهمية الجبرية والمعتزلة القدرية ، وهم جميعاً متأثرون بمدرستين من أهم المدارس اليونانية وهما :

---

(١) ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا من "بلخ"إحدى قرى بخارى ولد عام ٣٧٥هـ طبيب وفيلسوف

من القرامطة الباطنيين من أبرز مؤلفاته (الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتنبيهات) . انظر الأعلام للزركلي (٢/٢٤١) .

(٢) درء تعارض بين العقل والنقل : ابن تيمية ، (٣ / ١٤٠) .

المدرسة الرواقية : القائلة بالإرادة الحتمية الاضـطرارية التي تجعل الإنسان لا يفعل باختياره ومشيئته وإنما يفعل الفعل وهو مضطر إليه .

والأخرى المدرسة الأبيقورية : القائلة بأن الإنسان حر في إرادته ونظرته الاختيارية وهو حر في إيجادها وإحداثها [١] .

وفي هذا الباب تطرف بعض الغلاة من المعتزلة فـأنكروا سابق علم الله بفعل العباد وهو مذهب أغلب فلاسفة اليونان الـذين ينكرون علم الله سبحانه وتعالى وهي من أعظم المسائل التي كفـر بها أهل الإسلام عباد الأوثان من فلاسفة اليونان [٢] .

ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيميـة ــ رحمـه الله ــ فـي أجزاء كبيرة من مؤلفاته يربط بين مقالات نظار المعتزلة والأشاعرة ويبين أن الكثير من أصولهم مستمدة ممن قبلهم من الفلاسفة اليونان والمتبع لإرائهم في باب القضاء والقدر لا يجدها تخرج أبـداً عـن آراء أفلاطون وارسطو الذين تناقضوا في هذا الباب فقـالوا تـارة بالحرية التامة وتارة بالجبر التام وليس المقام هنا مقام التوسع فـي مذهبهم وتقريره بل يكفينا الإشارة إلى تأثر أهل الكلام بهم في هـذه العقيدة[٣] .

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، (٢١٩) وانظر أيضاً القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة د/ عبدالرحمن المحمود (٧٥-٧٦) دار النشر الدولي الرياض ط الأولى ١٤١٤-١٩٩٤م .

(٢) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (٥٦) تقديم وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣) انظر موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من أراء الفلاسفة ومنهجه في عرضـها للـدكتور صـالح الغامـدي (٣٤٣) مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٤-٢٠٠٣م

وانظر ايضاً : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد علـي أبـو ريـان (٣٥٧) دار المعـارف الجامعيـة

ولو انتقلنا للفرق الباطنية من الصوفية والإسماعيلية لوجدنا كثيراً من المعتقدات التي يعتقدونها أو المعتقدات التي أنكروها وشكوا فيها تتبعث انبعاثاً واضحاً من الثقافة اليونانية التي كانوا متأثرين بها أشد التأثير .

فلو استعرضنا **الصوفية** نجد أنهم تأثروا في معتقداتهم وإنكارهم للمعتقدات الدينية بالثقافة اليونانية من اطراحهم للمعرفة الشرعية الدينية واستبدالها بالمعرفة الإشراقية القائمة على الذوق والمشاهدة فنجدهم متاثرين بالغنوصية [1] اليونانية التي أبرزت هذه العقيدة وحثت عليها وقامت عليها مدارس فلسفية يونانية . ولذلك نجد ابن تيمية ــ رحمه الله ــ ينسب الفكر الإشراقي عند **السهروردي**[2] الصوفي إلى الأفلاطونية الحديثة والغنوصية فنجده يقول عنه : (كذلك السهروردي الحلبي المنقول كلامه في الباطن يأخذه من عادة الفلاسفة الصابيئن الغنوصية وبهذا يتميز عن غيره

الاسكندرية ط الرابعة ١٩٨٥م

(١)المذهب الغنوصي :والغنوسيس كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة، ثم أخذت بعد ذلك معنى أخر اصطلاحيا وهو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا وتذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن يلقى في النفس ،ولا يستند على الاستدلال أو البراهين العقلية .انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار (١/ ١٨٦,١٨٧) دار المعارف١٩٧٨ .

(٢) شهاب الدين بن يحي ولد عام٥٤٩هـ ولد في سهرورد، من الفلاسفة الإشراقيين ممن تأثر بفلسفة اليونان ،

دخل في مناظرات مع فقهاء حلب ومن ثم اشتكوه لصلاح الدين الأيوبي الذي أمر بقتله عام ٦٣٢م انظر: أعلام الفلسفة : روني ألفا (١/٥٤٧) .

من الفلاسفة المشائية ، ولهذا يعظم الأنوار" [1] وقد عده ابن تيمية ممن يفضل الولي على النبي ، وممن يرى أن النبوة مكتسبة [2] .

وهو وكثير من غلاة المتصوفة يرون (أن النبوة فيض دائم ومستمر ، وأنها سلسلة دورية تعاقبية لا تنقطع ، ومن ثم فالأنبياء لا ينقطعون ، وزعموا أن السلسلة الدورية تتفاوت في الكمال ، فكل حلقة منها تكون أبهى من التي سبقتها وأعلى درجة وكمالاً منها) [3] .

وفي دعواهم وحدة الأديان يشير الكثير من الباحثين إلى أن هذه الدعوة تنهل من الفيثاغورية والأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة والرواقية والأبيقورية مع ما أمدتهم به دعوة الغنوصية من ميل إلى الجمع والتلفيق [4] .

ونختم حديثنا عن الصوفية بالإشارة إلى انحرافهم مع جناب الألوهية والربوبية فأدى بهم إلى إنكار توحيد الله الخالص وإشراكهم معه آلهة وأرباباً أخرى كما هو المنهج اليوناني المتبع مع هذه القضايا وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ عنهم : " إن العقل الأول ــ عندهم – صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك ، وعن العقل عقل ونفس وفلك إلى العقل

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد (١١) تحقيق موسى بن سليمان الدرويش مكتبة العلوم والحكم ط: الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، (٩٣) .

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، د . عرفان عبد الحميد ، (٩٩).

(٤) انظر المرجع السابق (٩٢) ، وانظر : أيضاً دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (٤٤)ومابعدها .

الفعال ، فإنه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ، ويسمون هؤلاء الأرباب الصغرى والآلهة الصغرى"[1] .

ويؤكد هذا القاضي **ابن العربي** [2] فيقول : " وأما قولهم في الفعّال ، فذلك هو الداء العضال ، هو المبدأ عندهم الذي عن ذاته صدر الكل عن عقل بسيط ومركب وكرة ومربع وحار ورطب وبارد ويابس ... وقد تبين لكم أن هذه أسماء لا فائدة تحتها ، وتهويلات لا طائل وراءها" [3] .

وبغض النظر عن مقصودهم بهذا العقل وهل يقصدون به الله سبحانه وتعالى أم غيره ، لكن الذي يهمنا هنا الإشارة إلى التطابق التام مع ألفاظ ومناهج الفلاسفة اليونان وبالنتيجة اتفاقهم معهم على التشكيك في توحيد الله وإفراده بالربوبية المفردة ، وشكهم الاعتقادي الخطير في كون الله سبحانه فرد صمد هو الخالق وحده وهو المدبر وحده[4] .

أما الباطنية الإسماعيلية فيكاد التطابق الذي بينهم وبين الكثير مما يعتقده الفلاسفة اليونان يجعلك تجزم أنهم ينبعون من منبع الجهل الواحد والبعد عن هدي الله ووحيه وقد صرح اخوان الصفا

---

(١) بغية المرتاد : ابن تيمية (٢٨).

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المحدث الفقيه المفسر الأديب من أبر مؤلفاته : (أحكام القران ، الأحكام الصغرى) وغيرها انظر : الأعلام للزركلي (٢٣/١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٢٢٨/١٢)

(٣) العواصم من القواصم : ابن العربي (١٧٩) ، المكتبة العلمية بيروت ، لبنان .

(٤) انظر بغية المرتاد : ابن تيمية (٥٤).

في إحدى رسائلهم بقولهم : " إن علومنا مأخوذة من أربعـة كتـب أولها : الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة " [1] .

ولهذا عندما تراهم يشكون في صفات الله أو ينكرونها تجد أن ذلك نابع من التأثر الواضح بالثقافة اليونانية ، ولهذا فعندما سئلوا : كيف خلق الله هذه المخلوقات وليس له صفة يخلق بهـا ــ كمـا زعمتم ــ ؟! قالوا ليس هو الذي باشر خلقها ، وإنما خُلقت بواسطة " العقل الكلي " الذي أبدعه الله ، وأعطاه جميع أسمائه وصفاته .

والعقل الكلي – هذا – له عند الإسماعيلية منزلة عظيمة ، فيطلقون عليه أيضاً اسم " المبدع الأول " أو " السابق " لكونه كان الأسبق إلى توحيد الله بزعمهم وهو ــ بزعمهم ــ " العقل الكلـي ، انبثقت " النفس الكلية " أو " المبدع الثاني " ، " التالي " المرموز إليه في القرآن بـ " اللوح المحفوظ [2] .

والإسماعيلية عندما يجعلون العقل الكلي ممـثلاً أرضـياً تنطبق عليه وتنصرف إليه سائر أسمائه وصفاته ، التي هي ــ في الأصل ــ أسماء الله تعالى وصفاته فهم بهذا يتمثلون نظرية " المثل " اليونانية والأفلاطونية بالتحديد والتـي تـنص علـى أن الحـدود الروحانية في السماء يمثلها حدود جسمانية في الأرض [3] .

---

(١) رسائل إخوان الصفا (٤ / ٤١).

(٢) انظر : مقدمة مصطفى غالب ــ الإسماعيلي ــ على كتاب إثبات الإمامة للنيسابوري ــ الإسمـاعيلي ، (١٧) نقلاً من كتاب : دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية : عبد القادر صـوفي ، (١٠٢) ، دار أضواء السلف ، ط الأولى ، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .

(٣) انظر : المرجع السابق (١١١) .

وبسبب معتقدهم هذا ذهبوا إلى أن "العقل الكلي " في العالم العلوي يقابله " الإمام الإسماعيلي " في العالم الجسماني لذلك قالوا إن صفات "العقل الكلي " كلها هي أيضاً صفات للإمام ، لأن الإمام " مثل " للعقل الكلي [1] .

خاصة إذا علمنا أن من أهم صفات الإمام الإسماعيلي هو : الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، المنتقم ، الجبار [2] .

وفي **النبوة** يكاد يقترب معتقدهم من مذاهب الفلاسفة الوثنيين ، فالنبوة عندهم فيض والله تعالى ليس هو مرسل الوحي إلى الأنبياء وإنما العقل الفعال " السابق " بل إن النبي عندهم شخص فاضت عليه من السابق " العلة " قوة قدسية بواسطة التالي " المعلول " بل إنهم يزعمون أن هذه القوة الفائضة على النبي لا تكون كاملة في بدء حلولها ، كحال النطفة في الرحم ، لا تكتمل إلا بعد تسعة أشهر ، وإنما تكتمل هذه القوة ــ على حد زعمهم ــ بعد انتقالها من الرسول ــ المسمى بالناطق ــ إلى الإمام المسمى ــ الصامت ــ فالإمامة إذن عندهم مكملة للنبوة [3] .

بل إنهم يعتقدون أن النبي لم يبين لأمته البيان الشافي وليس مبعوثاً بأعظم الشرائع ولاشك أنه ليس هناك امتهان لمقام النبوة أكثر من هذا والتي تعتبر الثقافة اليونانية هي مصدرهم في كل هذه

---

(١) انظر: إثبات القيامة للنيسابوري (٥٣) نقلاً عن دراسات منهجية لبعض الرافضة والباطنية : عبد القادر صوفي، (٣).

(٢) انظر طائفة الدروز : محمد كامل حسين (٨٧) دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٦٨م .

(٣) انظر فضائح الباطنية :الغزالي ، (٤٠ ــ ٤١) اعتنى به : محمد علي القطب المكتبة العصرية ، بيروت .

التشكيكات التي أغووا بها من قل إيمانه وقلت بصيرته من ضعاف الإيمان .

وحتى تشكيكهم في الملائكة وفي جبريل على وجه التحديد فإنهم ينبعثون من ثقافتهم الفلسفية اليونانية حيث هو عبارة عن العقل الفائض على النبي لا أنه صاحب الوحي الملك المرسل من الله سبحانه وتعالى (1) .

ونختم في إشارتنا لبعض اعتقادات الباطنية الإسماعيلية المشككة في الدين والشاكة في ذاتها المنكرة لوجودها بالتعريج على مذهبهم في إنكار المعاد والارتياب فيه والذي يهمنا هنا أن نؤكد أن مذهبهم هذا منبثق من تأثرهم بثقافة أثينا اليونانية حيث يجعلون **المعاد:** هو رجوع كل شيء إلى أصله ، ويعني رجوع الجسم إلى الأخلاط الأربعة ، وعودة أرواح المؤمنين – منهم إلى العالم الروحاني الذي منه انفصالها (2) .

وبعد التعريج والإشارات المختصرة على بعض الاعتقادات التي حصل التشكيك فيها عند بعض الفرق الإسلامية ، اتضح لنا كما أسلفنا سابقاً الدور الكبير الذي أثرته الثقافة والفلسفة اليونانية في هذه الفرق فهذا ما يؤكد اعتقادنا أن هذا سبب خطير في شيوع الشك الاعتقادي وذلك أنهم اضطربوا في تقرير مسائل شرعيه من أصول الدين التي لا يسع الخلاف فيها أو مخالفة صريح النصوص فيها .

---

(1) انظر المرجع السابق (45) .

(2)انظر: فضائح الباطنية ،(45) .

ثالثا: تقديم العقل على النقل :

العقل نعمة عظيمة وهبها الله سبحانه لإنسان لتكون عونا له على الهداية والتفكير السليم لكن هذا العقل له مرتبة وطاقة لايمكن له أن يتجاوزها لأنه حينئذ سيكون تجاوز اختصاصه وحجمه وحين يدخل العقل في غير تخصصه يظهر انحرافه وميله عن الطريق الصحيح ولذلك فقد أدى تقديم العقل على النقل عند الكثير من الفرق الكلامية الإسلامية الى ظهور الشك الاعتقادي من حيث ما أشرنا إليه سابقاً من الإنكار والشك في الكثير من الاعتقادات الإسلامية التي ادّعوا أن العقل يرفضها أو لا يمكن أن تكون مناسبة للأقيسة العقلية مع أننا لا نغفل أنهم انبروا للدفاع عن العقيدة الإسلامية واستخدموا سلاح العقل والأدلة العقلية لتقرير مسائل الدين وقد يكونو مصيبين لكن إذا استخدموا العقل في المجال الصحيح الذي به يكون ناصراً للدين وللحقيقة وأبرز مجال للعقل في هذه المسألة هو التعرف على الله من خلال النظر في الكون وفي خلق الله المبهر وكل ذلك وفق هداية الوحي والنصوص الربانية فإن العقل لا قوة له في مجال العقيدة وعالم الغيب سوى في الاستدلال العقلي عليها وإظهار الاحتياج إليها والتسليم التام لكل ما يقدمه الوحي .

ويجب أن يبتعد العقل من أن يكون حاكماً على النصوص ، وهذا من الأخطاء المنهجية التي وقع فيها أرباب الفلسفة وعلم الكلام لأن العقل في هذا المجال لا يستطيع أن يكون نداً للنقل فكيف يكون حاكماً عليه بل يقول الدكتور/ راجح الكردي (ان أقصى ما يستطيعه أن يتحرى ثبوت النفي أولاً ، ثم يدرك دلالة النص على ما

يدل عليه من حيث أنه قاطع في دلالته وانطباقه على معناه أو أنه ظني في هذه الدلالة ، وله كذلك أن يطلب العلة في الحكم إذا كان من الأحكام المنصوص على العلة فيها أو جعلت مما يستطيع العقل ضبطها بالاجتهاد ، ولكن من خلال النصوص لا بالعقل وحده . وما لا يستطيع ضبطها فإنه يقف عند ذلك الحد ، إذ العلة أصلاً في التشريع كله العبادة و الاختبار والابتلاء . والعقل كذلك محجوب عن إدراك الذات الإلهية وحقيقة عالم الغيب وتفاصيله وحقيقة خيرية الأشياء وشريتها ، وعاجز كذلك عن إدراك أسرار المشيئة الربانية وحقيقة الصفات العلية ، ولا يصح له أبداً أن يدخل هذه الأمور في قوالب التفكير العقلي الفلسفي) [١] .

ويؤكد ما سبق ما قرره الغزالي في تجربته الشكية في المنقذ حيث قال : " إن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات "[٢] .

وأهل الكلام عندما غالوا في أمر العقل وجعلوه مقدماً على ما يقرره الوحي وحاكماً عليه ظهر عندهم الشك الاعتقادي وتزعزعت عندهم بعض العقائد التي يقررها الوحي وانبروا لهذه النصوص النبوية والعقائد الإلهية يؤولونها ويشككون فيها جاعلين القواعد العقلية هي الأساس الذي يبنون عليه منهجهم .

وهؤلاء قصروا أنفسهم على العقل وتقريراته ومن ذلك عدم إمكان خرق العادة وهي اللازم والقانون العقلي الذي أدى بهم إلى

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والسنة : راجح الكردي ، (٦٥٤ ـــ ٦٥٥) مكتبة المؤيد، ط : الأولى ١٤١٢هـــ١٩٩٢م.

(٢) المرجع السابق (٥٧) .

إنكار الكثير من الاعتقادات مع عدم اعتبار النصوص الواردة فـــي ذلك ، وقد ناقشهم **الشاطبي** [(١)] ــ رحمه الله ــ وبين في معــرض رده عليهم أنه إذا وجد في الشرع أخبارا تقتضي ظاهراً " خـــرق العادة الجارية المعتادة " فلا ينبغي للعبد أن يقدم بين يديـــه الإنكـــار بإطلاق بل له سعة في أحد أمرين :

الأمر الأول : إما أن يصدق به على حسب ما جاء ويكل علمه إلـــى عالمه .

الأمر الثاني : أن يتأوله على ما يمكن حمله عليـــه مـــع الإقـــرار بمقتضى الظـــاهر وأورد ــ رحمـــه الله ــ بعــض الأمثلـــة مـــن الاعتقادات التي نفوها بناء على القانون العقلي الذي يقضـــي بعــدم إمكانية خرق العادة وسنعرض لها باختصار .

١ ــ **مسألة الصراط** : فإن الصراط ثابت والجواز عليــه قد أخبر الشارع به فنحن نصدق به لأنه إن كان كحد السيف وشبهه لا يمكن استقرار الإنسان فوقه عادة فكيف يمشي عليـــه ؟ فالعـــادة تخرق حتى يمكن المشي والاستقرار ، والذين ينكرونه يقفون مـــع العوائد ويتركون أصل الصراط ، ولا يلتفتون إلى إمكان انخـــراق العوائد ، فإن خرقوا صار ذلك تحكماً ، لأنه ترجيح أحـــد المثلـــين دون الآخر من غير مرجح عقلي ، وقد صادفهم النقل فالحق الإقرار دون الإنكار .

---

(١) ابراهيم بن مسعود بن محمد الغرناطي المالكي ،عالم أصولي ، له مصنفات كثيرة من أهمها "الإعتصام " توفي عام ٧٩٠هـــ انظر : الأعلام للزركلي (٧١/١) .

٢ ــ **مسالة الميزان** : إذ يمكن إثباته ميزاناً صحيحاً على ما يليق بالدار الآخرة وتوزن فيه الأعمال على وجه غير عــادي ، نعم يقر العقل بأن أنفس الاعراض وهي الأعمــال لا تــوزن وزن الموزونات عندنا في العادات وهي الأجسام ، ولم يأت في النقل ما يعين أنه كميزاننا من كل وجه أو أنه عبارة عن الثقــل أو أنفــس الأعمال توزن بعينها .

٣ ــ **مسألة عذاب القبر** : وهي أسهل ولا بُعْدَ ونكير في كون الميت يعذب برد الروح إليه عارية ثم تعذيبه على وجه لا يقدر البشر على رؤيته لذلك ولا سماعه فنحن نرى الميت يعالج سكرات الموت ويخبر بآلام لا مزيد عليها ، ولا نرى عليه من ذلك أثــراً ، وكذلك أهل الأمراض المؤلمة ، وأشباه ذلك مما نحن فيه مثلها .

٤ ــ **مسألة سؤال الملكين للميت وإقعاده في قبــره** : فإنه إنما يشكل إذا حكمنا المعتاد في الدنيا ، وقد تقــدم أن تحكيمــه بإطلاق غير صحيح لقصوره ، وإمكان خرق العوائد ، إمــا بفــتح القبر حتى يمكن إقعاده أو بغير ذلك من الأمــور التــي لا تحــيط بمعرفتها العقول .

٥ ــ **مسألة تطاير الصحف** : وقراءة من لم يقرأ قــط ، وقراءته إياه وهو خلف ظهره ، كل ذلك يمكــن خــرق العوائــد ، فيتصوره العقل على وجه منها .

٦ ــ **مسألة إنطاق الجوارح** : وهي شاهده على صاحبها لا فرق بينها وبين الأحجار والأشجار التــي شــهدت لرســول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

وبعد هذه الجملة من الاعتقادات الدينية الشرعية التي شكك وأنكر المتكلمون حدوثها نعلم أن استخدامهم للعقل وتنحيته هو الذي قادهم إلى سلوك هذا المسلك بعيداً عن نور الوحي وهديه .

المبحث الثاني: أسباب ظهور الشك المنهجي

وفي هذا المبحث سنعرض لأبرز العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهور الشك المنهجي :-

ويمكن أن نجملها في الأسباب التالية:-

أولاً : التأثر بالثقافة اليونانية :-

لا شك أن الإسلام قد حث أتباعه على الحكمة وإتباع كل سبيل يقود إلى العلم والمعرفة ، ولم يقف جامداً في وجه الثقافات والحضارات الأخرى بل حث على الاحتكاك بها والاستفادة من كل مخرجاتها بما لا يتعارض مع ديننا وشرعنا .

والحضارة اليونانية تعد من أقدم الحضارات العالمية ومن أغزرها انتاجاً وتنوعاً ، وقد كان لحركة الترجمة الدور الأبرز في إظهار التراث اليوناني ونقله إلى العالم الإسلامي .

ومهما اختلفت الدوافع والمبررات من جراء هذه الترجمة واختلاف وجهة نظر أهل العلم والتحقيق منها ما بين مادح مثنٍ عليها وما بين متشكك ومحذر من ظهورها وجعلها مدخلاً للطعن في ثوابت الدين وإلهاء للناس عن المصادر النقية الأصيلة والمتمثلة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومع كل هذا إلا أنها أسهمت وبشكل كبير في توسيع المدارك وتحريك الراكد الفكري داخل المجتمع الإسلامي وقامت مدارس كلامية وفكرية للتصدي وللدفاع عن هذه الثقافة اليونانية الوافدة .

و لم يقتصر تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي فقط بل كان لها تأثير بالغ في الديانة اليهودية والديانة النصرانية ، ويتجلى ذلك في المظاهر الوثنية التي كانت من أشهر ما امتازت به حضارة اليونان وذلك من خلال عبادة الشمس والكواكب والطبيعيات من الهواء والماء والنار والطين وغيرها[1] .

وما تركوه من تماثيل وأصنام ناهيك عن توالد الآلهة وتعددها والتي نجدها واضحة في النصرانية وما نتج عن هذه الوثنية من مظاهر التجسيد والتشبيه كما هو واضح عند اليهودية .

ونجد أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ يصور هذا المعنى تصويراً واضحاً فيقول : " وهم ـ أي فلاسفة اليونان ـ فرق شتى لا يحصيهم إلا الله ... فمنهم أصحاب الرواق ، وأصحاب الظلمة ، والمشاؤون وهم شيعة أرسطو وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس ... وبالجملة فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض فإنهم عطلوا الشرائع ، وعطلوا المصنوع عن الصانع ، وعطلوا الصانع عن صفات كماله ، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه ، فعطلوه عن مبدئه ومعاده ، وعن فاعله وبانيه ، ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم ... وفي بني إسرائيل دخل الداخل على بني إسرائيل بعد وفاة موسى ورفع التعطيل رأسه بينهم وأقبلوا على علوم المعطلة ـ وهم الفلاسفة ـ أعداء موسى وقدموها على نصوص التوراة ... وأقام الله تعالى للمسيح أنصاراً دعوا الى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه ودخل فيه الملوك وانتشرت دعوته واستقام الأمر

---

(١) انظر الفلسفة القديمة : عباس عطيتو ص (٢٦٧) .

انظر أيضاً : مدخل إلى الفلسفة بنظرة إجتماعية عبدالمجيد عبدالرحيم ص (١٨٦).

على السداد بعده نحو ثلثمائة سنة ، ثم أخذ دين المسيح في التبـــديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شـــيء بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسـفة عبـاد الأصـنام ، وراحوا بذلك يتلطفون للأمم حتى يدخلوها فـي ديـن النصـرانية فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل لها ، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل، إلى القـول بإتحاد الأب والابن وروح القدس ..."[١] .

وبهذا نعلم مدى التأثير الذي أثرته هـذه الفلسـفة وهـذه الحضارة على قطاع كبير من الحضارات والديانات المختلفة وفـي فكرنا وديننا الإسلامي ظهرت طائفة من المنتسبين للإسلام تقـدس الفكر اليوناني وترى أنه هو الطريقة والنور التي يمكن أن يوصـل الإنسان إلى السعادة ويمنحه الأمان في مسـيرته وحياتـه وولـت وابتعدت عن هدي الله ورسوله واجتهدت اجتهاداً كبيراً في التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين الإلهي السماوي ووقعت في حيرة بـين حبها وعشقها واقتناعها باليونان وحضارته وبـين بقائهـا منتسـبة للإسلام ولو في الظاهر فاجتهدوا أولاً في الإلمام بالفلسفة اليونانيـة تعلماً وترجمة ، ثم اجتهدوا في نشرها وشـرحها وإدخالهـا بـين المسلمين .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : ابن القيم ، (٢/ ٣٨١) تحقيق: مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ويعتبر الفارابي[1] وابن سينا هم أكثر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام تأثراً ونشراً لمؤلفات اليونان وبالذات مؤلفات ارسطوطاليس[2].

أما فيما يتعلق بالمدارس الإسلامية الكلامية فقد تأثرت كذلك بالفلسفة اليونانية تأثراً واضحاً وجلياً سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وتأتي فرقة **المعتزلة** على رأس القائمة بل ان بعض الباحثين يجعلها أولى المدارس الكلامية المتأثرة بالفلسفة اليونانية [3] ، وهذا ليس بمستغرب فإن لها نزعة عقلية جريئة وتعاملاً جافاً وقاسياً مع النصوص الشرعية .

والباحث في تراث المعتزلة وفي مؤلفات زعمائهم يجد اطلاعاً وتأثراً واضحاً منهم باليونان وفلسفتهم بل حتى بأفكارهم وبعض معتقداتهم كما بينا ذلك في المبحث السابق .

والأشاعرة تأثرت بالفلسفة اليونانية مثل المعتزلة ويبرز ذلك في بعض أتباعها ولاسيما المتأخرين منهم كالرازي الذي شرح أغلب مؤلفات ابن سينا والذي كان متأثراً أشد التأثر باليونان كما أسلفنا سابقاً ، بل إن الناظر في كتب أهل الكلام من الأشاعرة يجدها مختلطة اختلاطاً تاماً بالفلسفة وأفكارها [4] .

---

(١)محمد بن الفارابي الفيلسوف صاحب التصانيف المشهورة برع في علوم مختلفة وكان متأثرا جدا بالفلاسفة اليونان وخاصة فلسفة أرسطو وأفلاطون انظر : اعلام الفلسفة : روني ألفا (١٢٩/١).

(٢) انظر إغاثة اللهفان : ابن القيم ، (٢ / ٧٢) وانظر الرد على المنطقيين : ابن تيمية ، (١٤١).

(٣) مدخل على علم الكلام :أحمد صالح السيد ، (١٢٨) ، دار قباء للطباعة والنشر ٢٠٠١ م .

(٤) انظر المرجع السابق ، (١٤١).

وإذا أدركنا حجم التأثير الذي أثرته الثقافة اليونانية على الفرق الإسلامية في شتى المجالات الاعتقادية والمنهجية علمنا أن مجال الشك والنظر العقلي واعتباره الطريق الوحيد الموصل إلى الحقيقة هو من أوائل المناهج الذي دخلها التأثر والمحاكاة باعتباره يتعلق بمجال المعرفة وهي من أوائل المباحث التي تقرر في مناهج الفرق الإسلامية وذلك باعتبارها أول الواجبات المطلوبة من الفرد المسلم فلذلك مسها التأثر والتأثير بشكل واضح وجلي لكل باحث ومتابع للتراث الفكري لهذه الفرق الإسلامية.

ثانياً : الثقة المطلقة بالعقل :-

وهذا السبب يعد من أهم الأسباب الجوهرية في وجود الشك المنهجي ، حيث ان الشك المنهجي والنظر قائمان في الأساس على العقل وما حدده النظار من الفلاسفة والمتكلمين من قواعد وقواطع عقلية تحمي مراعيها من الوقوع في الخطأ والارتياب .

ونحن إذ نعرض لهذا الجانب لا نلغي دور العقل ولا نهمشه فلا شك أن شريعة الله في الأرض لا تقوم إلا بالعقل والعقلاء ، أما الذين فقدوه أو سلب منهم فقد جاء الشرع برفع التكليف عنهم وعدم مطالبتهم إلا بما يعقلون من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن يجب أن يعلم كما قرر أهل السنة والجماعة أن للعقل مرتبة يقف عندها ولا يتجاوزها فيه يفهم الإنسان أمور الدين لأن الله الخالق للعقل جعل له وظيفة وكلف الناس أن يستخدموا عقولهم فيما خلقها الله لهم ، ولهذا فإن كلمة (يعقلون) تكررت في القرآن الكريم اثنتين وعشرين مرة وكلمة (تعقلون) تكررت أربعاً

وعشرين مرة ، وقد أمرنا الله بالتدبر والتفكير في خلق الله فقال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ }[1] .

وقد خاطب القرآن الكريم أصحاب العقول وحثهم على التفكر فيما يقدر عليه فقال تعالى : {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}[2] .

أما الأمور التي لا تخضع لعالمنا المادي وهو ميدان الغيبيات فلا يستطيع العقل أن يحكم عليها لأنها تخرج عن دائرته واختصاصه[3] .

ويؤكد هذا المعنى سيد قطب بقوله : " والمنهج الصحيح في التلقي عن الله ، هو ألا يواجه العقل مقررات الدين الصحيحة بعد أن يدرك المقصود بها بمقررات له سابقة عليها ، كونها لنفسه من مقولاته " المنطقية " أو من ملاحظاته المحدودة ، أو من تجاربه الناقصة .. إنما المنهج الصحيح أن يتلقى النصوص الصحيحة ، ويكون منها مقرراته فهي أصح من مقرراته الذاتية ، ومنهجها أقوى من منهجة الذاتي ــ قبل أن يضبط بموازين النظر الدينية الصحيحة ومن ثم لا يحكم العقل مقررات الدين ــ متى صح عنده أنها من الله ــ إلى أي مقررات أخرى من صنعه الخاص " [4] .

---

(١) العنكبوت ، آية (٢٠) .

(٢) يونس آية (١٠١) .

(٣) انظر : السنة بين الوحي والعقل للمستشار سالم البهنساوي ، (٣١- ٣٢) دار الوفاء ، ١٤٢٤-٢٠٠٣م

(٤) نقلاً عن المرجع السابق ، (٣٢ ــ ٣٣) .

وبعد هذا التقرير لأهمية العقل ومكانته ننظر للخطأ المنهجي الذي وقعت فيه المدارس الكلامية من تقديمها للعقل على النقل والذي أفرز بالنتيجة جعلهم الشك والنظر طريقاً للوصول إلى الحقيقة والمعرفة الإلهية وما يتعلق بما يعتقده الإنسان من أصول دينه وما بعث به أنبيائه .

وها هو الأستاذ محمد عبده يبين منهجه ومنهج من سبقه في ذلك فيؤكد ان أصول الدين وما يتعلق بها من الفروع لا سبيل ولا طريق للاعتقاد بها إلا بالعقل حيث " تقرر بين المسلمين ــ كافة ــ إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا عن طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل ، وعلمه بما يوحى إليهم ، وإرادته لاختصاصهم برسالته .

وفي موضع آخر يقول : " فأول أصل وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح "[1] .

وربما يتجاوز متجاوز عن هذا الكلام كونه يبرر لصاحبه أنه يدعو للتفكير والتأمل والإيمان عن طريق العقل والنظر والشك المبني على أصول الفلسفة الموصل للتيقن ولكن الذي لا يغتفر هو تقديم هذا النظر والعقل على نصوص الوحي وجعل النقل الإلهي تابعاً لهذا النظر العقلي وهم يقررون للأسف هذا المبدأ في أغلب مؤلفاتهم وفي هذا يقول **الغزالي** " كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به قطعاً ان كانت الأدلة

---

(١) المرجع السابق ، (١١٥) .

السمعية قاطعة في متنها ومستندها لا يتطرق إليها احتمال وإلا وجب التصديق بها ظناً إن كانت ظنية "[١] ، وقد أوردنا فيما سبق نصوصاً كثيرة في هذا المجال في إشارتنا إلى اعتقادهم ظنية دلالة النصوص وفي نفس الوقت تقديم العقل عليها وجعلها في مرتبة العاضد له ، ومما يؤكد هذا المعنى الذي نشير إليه الآن أنهم عندما يثبتون نصاً شرعياً يثبتونه بقولهم : ممكن أخبر به الصادق [٢].

و الغزالي عندما يستدل على ثبوت عذاب القبر يقول : " وأما عذاب القبر فقد دلت عليه قواطع الشرع ... وهو ممكن فيجب التصديق به " [٣] وقوله عن ثبوت الحشر " قد دلت عليه القواطع الشرعية وهو ممكن بدليل الابتداء " [٤] .

وعلى هذا فالقوم يجعلون المقياس هو العقل والقاطع العقلي كما أشرنا سابقاً ولعل في النصوص السابقة دلالة كبيرة على إيراد هذا المحور وجعله من أهم أسباب ظهور الشك المنهجي وتأتي أهمية ذلك أنها أتت من أهم رواد الشك المنهجي وممن جعل له أصولا وطرقاً ومارسه عملياً ألا وهو الغزالي ــ رحمه الله ــ .

وقد أشار صاحب كتاب أسس الفلسفة إلى أن الرائد الثاني من رواد الشك المنهجي ألا وهو ديكارت قد ذهب ــ كما يقال ــ لإنقاذ العقل من السلطة الدينية ممثلة في الكنيسة ، حيث رفضها

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد :الغزالي (١٣٢) دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .

(٢) انظر المعرفة في الإسلام : عبد الله القرني (١٨٦).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي (١٣٢) .

(٤) المرجع السابق : (١٣٣) .

مصدراً للمعرفة ، وعاد ونحى حقائق الوحي عن مجـــال العقــل ، لأنها لا تدرك الا بمدد من السماء خارق للعادة [١]

ورغم أنه نصراني يتبع ديناً محرفـــاً إلا أنـــه يتفــق مـــع أصحاب الشك والنظر العقلي في تأخير الوحي عن العقل ومن ثـــم تقديم العقل مع تأسيس المعرفة على النظر والشك .

ثالثا : الرغبة في الحصول على اليقين الكامل :

كما أشرنا في أكثر من موضع أن الكثير من النظّار وأهل الكلام عندما ينادون بالشك المنهجي أو ما يتعلق بـــه مـــن النظـــر ووجوبه على العبد بل جعله أول الواجبات عند البعض على المكلف أن مقصدهم نبيل وعظيم ألا وهو الوصول إلى المعرفـــة الصـــادقة الخالية من أي شك وريبة ، وهم بسبب المناهج العقلية الفلسفية التي كانوا يسيرون عليها ارتأوا أن النظر العقلي والشك المنهجي إذا قام على أسس صحيحة ومنهج واضح سيؤدي إلى اليقين الكامل .

ولعلنا لو تتبعنا عبارات الغزالي ــ رحمه الله ــ في أزمته الشكية نجده يبحث بحثاً قوياً عن اليقين ولنتأمل قوله : " فقلت فـــي نفسي أولاً : ان مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العمل ما هي " [٢] فبين أن مطلوبه الأول هو العلم بحقائق الأمـــور ولا شك أنها هي اليقين الذي نشير إليه . بل انه في الإحياء يؤكـــد كثيراً على أهمية اليقين ويجعله هو الأساس في كل شـــؤون الـــدين

---

(١) انظر : أسس الفلسفة: توفيق الطويل ، (٣٤٥) .

(٢) المنقذ من الضلال ، (٨١).

فيقول : " يجب أن يكون المرء شديد العناية بتقويم اليقين ، فإن اليقين رأس مال الدين "[1] .

وكان ــ رحمه الله ــ يحدد مفهوم اليقين بنحو مما أشرنا إليه سابقاً فيعرفه بقوله : " انكشاف المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه مكان الغلط والوهم " [2] .

ولو تتبعنا كلمات ومقالات الغزالي فسيطول بنا المقام هنا ولكننا نتجه إلى علم آخر من الأعلام المنادين والمنظرين للشك المنهجي الفلسفي ألا وهو ديكارت فنجده يتفق مع الغزالي في ممارسته للشك بحثاً عن اليقين فيقول : " ولكن ما دام العقل يقنعني من قبل بأنه لا ينبغي أن أكون أقل حرصاً على الامتناع عن تصديق الأشياء التي لم تبلغ مرتبة اليقين التام ... فيكفيني لرفضها جميعاً أن يتيسر لي أن أجد في كل واحد منها سبباً للشك " [3] .

ونجد ديكارت في نص آخر أكثر وضوحاً يجعل الشك الفلسفي " وسيلة للحصول على المعرفة الحقيقية معرفة أكثر وضوحاً"[4] .

ولو تركنا الغزالي وديكارت ونظرنا في أحوال الفرق الكلامية التي تجعل من النظر أول الواجبات على المكلف لوجدنا من خلال تتبع نصوصهم ومؤلفاتهم أن دافعهم هو الحصول على

---

(١) احياء علوم الدين : الغزالي (١ / ٧٢) دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) المنقذ من الضلال : الغزالي (٨٢).

(٣) الترجمة العربية للتأملات ، (٧٠) نقلاً من كتاب المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت :حمدي زقزوق ،

(٤) من خطاب ديكارت إلى بويتندك عام ١٦٤٣ ، نقلاً عن المنهج الفلسفي: حمدي زقزوق ، (٧٦).

المعرفة واليقين التام عبر اتباع وسيلة النظر التي لا تخلو من ممارسة الشك .

وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : " الدلالة أربعة ، حجة العقل ، والكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل " [١] ثم قرر أن أول واجب على المكلف هو النظر وهذا **الإيجي** [٢] .أحد زعماء الأشاعرة يقرر : " أن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" [٣] .

ومن خلال هذه الإلمامة السريعة على بعض نصوص من يرى الشك المنهجي طريقاً للوصول لليقين يتأكد لنا أهمية إيراد هذا السبب في ظهور الشك المنهجي وبغض النظر عن كونه أوصلهم لليقين والمعرفة الصحيحة ، أو لم يوصلهم لكن الذي يهمنا إثباته أن الرغبة في الحصول على اليقين هي التي قادتهم إلى سلوك هذا الطريق وترك الطرق الشرعية الربانية التي تملك الطريق الصحيح والمنهج القويم الموصل الى اليقين .

رابعاً : اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحقيقة :

إن الذين يمارسون الشك المنهجي ويدعون إليه قد اطرحوا كل منهج آخر سواء بالكلية أو جعلوه رافداً ومعززاً للمنهج الأساسي

---

(١) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبدالجبار (٨٩) .

(٢) محمد بن عبدالرحمن بن محمد الايجي ولد عام ٨٣٢هـ من أهل أيج من نواحي شيراز ، متكلم أشعري من أبرز مؤلفاته (المواقف في علم الكلام) توفي عام ٩٠٥هـ انظر الأعلام للزركلي (١٥/٦) .

(٣) المواقف في علم الكلام : عضد الدين الإيجي(٣٩)، عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ .

عندهم ألا وهو النظر والشك الفلسفي المعتمد على العقل والأقيسة المنطقية الفلسفية أما الجوانب الأخرى فهي كالتبع له أو من المؤكدات للأمر الأول الموصل للحقيقة الصادقة عندهم وهو النظر والشك المنهجي.

والقاضي عبد الجبار عندما يتحدث عن العقل وبعد أن قرر أن الواجب الأول هو معرفة الله وأن النظر العقلي هو أول الواجبات يقرر أن ما عدا العقل تابع له فيقول : " لأن ما عداها ــ أي حجة العقل ــ فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع الشيء على أصله " [١] .

وعلى هذا **فالمعتزلة** ترى أن معرفة الله تعالى لا تتحقق إلا عن طريق النظر العقلي ويقصدون بذلك النظر في الدلالة عن طريق الفكر والتأمل العقلي [٢] .

والأشاعرة لم يكونوا بعيدين عن المعتزلة فهم يغالون غلواً واضحاً في تعظيم الأدلة العقلية ويعتبرون ماعداها من الأدلة النقلية ظنية الدلالة فهذا الإيجي في المواقف يقول بكل صراحة " إن ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا يثبت إلا بالعقل ، إذ لو ثبت بالنقل للزم الدور " [٣] .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، (٨٩).

(٢) انظر : علم الكلام عرض ونقد : عامر النجار ، (٩٤) مكتبة الثقافة الدينية ، ط الأولى ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٣م .

(٣) المواقف : الايجي (٣٩).

ولن نركز هنا على تقديم أهل الكلام للنظر العقلي على النقل بل نركز على موقفهم من المصادر الأخرى غير العقل والذي يهمنا منها الجانب الشرعي المتمثل في النصوص لأننا ان استطعنا أن نبرز إهمالهم للنصوص أو النقل أو جعلها في مرتبة ثانية بعد النقل عرفنا سبب اهتمامهم وتركيزهم على موضوع النظر والشك كطريق أولي وأصيل في إثبات الحقيقة ومعرفة الله سبحانه وتعالى فلننظر في موقفهم من النقل ودلالته وترتيبه حتى يتضح الأمر لنا .

فمن خلال إيراد النصوص التالية عن المتكلمين سيظهر جلياً صدق ما أوردناه من انهم يعتبرون كل ماعدا العقل ظني الدلالة لا يمكن جعله طريقاً موثوقاً للحصول على المعرفة الصادقة .

فهذا الرازي يقول : " إن الدلائل اللفظية لا تفيد اليقين ... وتقريره : أن التمسك بالدلائل اللفظية موقوف على أمور عشرة وكل واحد منها ظني ، والموقوف على الظني ظني ، وينتج أن التمسك بالدلائل اللفظية لا يفيد اليقين "[1] .

وهذا الايجي يقرر ذلك بقوله : " الدلائل النقلية هل تفيد اليقين ؟ قيل : لا ، لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة ، والأولى إنما يثبت بنقل اللغة ، النحو والصرف ، وأصولها تثبت برواية الآحاد وفروعها بالأقيسة وكلاهما ظنيان " [2] .

---

(١) المطالب العالية من العلم الالهي : الرازي ، (٩ / ١١٣ ــ ١١٤) ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٧م .

(٢) المواقف : الايجي (٤٠) .

ونعود للرازي الذي يؤكد هذا الأمر بقوله : " نقول : أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز " [١] .

بل إن **السنوسي**[٢]في شرح السنوسية الكبرى عد من أصول الكفر : " التمسك في أصول الاعتقاد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية " [٣].

ويقرر الدكتور سليمان دنيا قريباً من هذا فيقول : " تمشياً مع قاعدة أن العقل أساس الدين ، قرر علماء الإسلام أن ما يرد من النصوص الدينية مخالفاً لصريح العقل يعفى المكلف من الأمر باعتقاد ظاهره " [٤] .

ولن يكون موقف المعتزلة بعيداً عن هذا فهذا القاضي عبد الجبار يقول : " إن كان مما طريقه الاعتقاد ينظر ، فإن كان موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد موجبه لا لمكانته بل للحجة العقلية ، وان لم يكن موافقاً لها فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن

---

(١) أساس التقديس (٢١٥) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(٢)محمد بن يوسف السنوسي الحسني ، عالم تلمسان في عصره من أشهر مؤلفاته (شرح الآجرومية ، أم البراهين)

توفي عام ٨٩٥هـ انظر الأعلام : الزركلي (٢٩/٨) .

(٣)شرح السنوسية الكبرى للسنوسي (٥٠٢): تحقيق عبد الفتاح عبدالله بركه ، دار القلم ، بيروت ط : الأولى ١٤٠٢هـ .

(٤) التفكير الفلسفي في الإسلام : سليمان دنيا(٢٢٢) مكتبة الخانجي ، ط : الأولى ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م .

غيره ، هذا إذا لم يحتمل التأويل الإ بتعسف فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول" [(١)] .

وهذا من أعظم الجرأة على الوحي الرباني وفيه الامتهان لدلالتها وقدسيتها وهم يبنون هذا المذهب على أساس عدم قبول خبر الآحاد في العقائد ورد المتواتر إذا خالف القاطع العقلي ولا شك أن المقام ليس مقام مناقشة هذه المسألة التي يقرر أهل السنة خلافها .

"وقد بنى المتكلمون قولهم بظنية الدلائل النقلية على أنهـا لفظية ورتبوا على ذلك أنه لا يصح الجزم بمعنى واحد للفظ بحيث لا يحتمل غيره ، بل يكون للفظ الواحد أكثر من معنى وإذا تعـددت المعاني للفظ الواحد لم يكن قطعي الدلالة بل يكون ظنياً ، وقد انتهوا إلى القول بان الدلائل النقلية لا تفيد اليقين ، لأن الجزم بدلالتها غير ممكن لتوقفه على تحقق شروط ، ثم استدلوا على أن الجزم بتحقـق تلك الشروط غير ممكن ، فتبقى دلالة النقل ظنية ، وإذا كانت دلالته ظنية لم تكن مفيدة لليقين " [(٢)] .

ولو رجعنا إلى الغزالي وديكارت في مسيرتهم الشكية التي أشرنا إليها مراراً نجد أنهم طرحوا الجانب الاعتقادي المبني علـى التقليد وطرحوا كذلك الحواس وما تمارسه من خداع عقلي بل وصل بهم التشكيك في ذات العقل ولكنهم مارسوا الشك المنهجي واستمروا فيه باعتمادهم على التفكير والنظر العقلي حتى وصلوا إلى المعرفة

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، (٧٧٠)القاضي عبدالجبار .

(٢) المعرفة في الإسلام :د/ عبدالله القرني ، (١٩٥).

الحقة التي آمنوا بها واعتقدوها والتي لم يرو سبيلاً إليها إلا بالشك وممارسته بعيداً عن الوحي والدلائل النقلية.

وبعد استعراض كل هذه الأقوال يتأكد لنا هذا السبب المهم في وجود الشك المنهجي ألا وهو اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحق وأن ما عداه لن يكون إلا ظناً أو رافداً للحقيقة ومدعماً لها.

الفصل الثاني آثار الشك في أصول الدين والشريعة :

وفيه تمهيد و مبحثان :

- تمهيد
- المبحث الأول / آثار الشك على أصول الدين .
- المبحث الثاني/ آثار الشك على الشريعة .

تمهيد :-

الشك ظاهرة مخالفة للمألوف سواء كان مذهبياً هادماً او منهجياً او عقائدياً فأما الشك الهادم فهو يصادم الحقيقة وينفيها وأما المنهجي فهو يسلك طريقاً مخالفاً لما عهده الناس من التصديق والايمان المبدئي دون سلوك طرق ومناهج الشك واما العقائدي فهو ينكر ويشكك في المعتقدات والمسلمات الدينية والشرعية والشك بهذا الاعتبار يؤدي الى آثار وعواقب على جوانب كثيرة في الحياة عموما وسنولي الجانب المعرفي الإسلامي الاهتمام الاكبر في هذا الفصل باعتبار أننا نعالج الشك من الجانب الديني الاسلامي أما الجوانب والآثار النفسية فقد سبق وأن أشرنا اليها وما أداه الشك بتنوع صوره من حيرة وتناقض واضطراب في مسيرة وحياة من كان ينادي به ولم نر الحاجة الى افراده بمبحث مستقل واكتفينا بما سبقت الاشارة اليه في الباب الثاني من حيث الحيرة والإرتياب الذي اعترى أهل الكلام وندمهم وجزعهم عند الموت بسبب ممارسة النظر والشك في حياتهم المعرفية عموما والدينية على وجه الخصوص وسنعرض في هذا الفصل الى أهم الآثار التي طرأت على جانب أصول الدين وفيه مبحثان :-

المبحث الاول : آثار الشك على أصول الدين

وفيه أربعة مطالب :

- ❖ المطلب الأول : التوحيد .
- ❖ المطلب الثاني : النبوات .
- ❖ المطلب الثالث : اليوم الاخر .
- ❖ المطلب الرابع : القدر .

المبحث الأول : آثار الشك في أصول الدين :

تمهيد :-

قبل الشروع في الكلام عن آثار الشك في أصول الدين يجب أن ننبه إلى بعض المسائل التي يجب مراعاتها أثناء عرضنا لهذا المبحث والتي لو بمراعاتها ستتضح لنا الأمور من كل جوانبها .

١- : أن الشك الاعتقادي بذاته هو أثر مباشر لوجود الشك المنهجي عند طوائف أهل الكلام وقد سبق أن وضعنا الشك المنهجي سبباً مباشراً لوجود الشك الاعتقادي عند الكثير من طوائف أهل الكلام

٢-: يجب أن يعلم أن بعض الآثار التي طرأت في مجالات أصول الدين والتي سنناقشها كان الشك المنهجي سبباً رئيسياً فيها والبعض الآخر كان الشك الاعتقادي هو السبب المباشر فيها ، والبعض الثالث كان للشكين (المنهجي والإعتقادي) مجتمعين السبب في تواجدها ، لذلك سنعرض الآثار مجملة و أثناء مناقشتنا لكل أثر سنبين منشأه والكلام عن أصوله وأسبابه .

٣- : سنتحدث عن أبرز قضايا أصول الدين وهي التوحيد والنبوات واليوم الآخر والقدر باعتبار هذه المجالات كانت هي الميدان الأبرز في الصراع العقائدي بين أهل السنة والفرق الإسلامية الأخرى وسنبدأ بأول مطلب وهو مجال التوحيد

المطلب الأول : آثار الشك في التوحيد :

إن مجال التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى وما يتعلق بها من مسائل هي أعظم أبواب أصول الدين ولذلك بينها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير بيان واجتهد أهل السنة والجماعة في تقريرها وحث الناس عليها والعناية بها ولكن وفق المنهج القرآني والمنهج النبوي الذي سيتضح لنا من خلال بيان ما يخالفه عند أهل الكلام وأهل الفلسفة.

ومن خلال النظر والتأمل في مباحث التوحيد وآراء أهل الكلام وغيرهم في هذا الباب اتضح لي بعض الآثار التي طرأت على هذا المبحث سواء من حيث المنهج الذي احتوته كتب العقائد والكتب الكلامية ، أو من خلال الآثار العملية التي سرت وانتشرت بين أفراد الأمة ، وسأعرض لها تباعاً وأسأل الله سبحانه الإعانة والتسديد.

أ ـ الاختلاف المنهجي في تقرير مسائل التوحيد بين أهل السنة ومخالفيهم :

وهذا يعتبر من أول وأهم الآثار التي ظهرت لاستخدام الشك المنهجي والنظر العقلي في مباحث التوحيد و معرفة الله سبحانه وتعالى. حيث أن المتكلمين سلكوا منهجاً يختلف عن منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل التوحيد منهجاً قوامه النظر العقلي كما بينا ذلك مراراً فيما تقدم .

وتعتبر هذه المسألة مرتبطة ارتباطاً كبيراً بمسألة فطرية المعرفة وهل وجود الله ومعرفته وربوبيته سبحانه وتعالى فطرية جبل عليها الإنسان وفطر عليها أم أنها أمر كسبي نظري يكتسب مع الأيام والتجارب والنظر العقلي .

وهذه المسألة عندما خالف فيها المعتزلة بداية كان ذلك يقول الدكتور/ عبدالله القرني " متفرعاً من قولهم في القدر من جهة أن العبد عندهم مستقل بفعله وأنه لا يثاب إلا على فعله ، وقد رتبوا على ذلك فيما يتعلق بهذه المسألة أن معرفة الله لو كانت ضرورية للزم أن يثاب العبد على غير فعله ، لأن المعارف الضرورية ليست من كسب العبد ، وإنما هي لازمة للنفس لزوماً ضرورياً بحيث لا يمكن الانفكاك عنها" (١) .

وهذا يعود بنا إلى الأصول العقلية التي بنوا عليها مذهبهم ومنهجهم في تقرير العقيدة وفي العموم فأنه تبعاً لهذه المسألة نشأ الخلاف في تقرير مسائل التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى .

فأهل السنة يرون فطرية وجود الله سبحانه وتعالى ومعرفته

أما المتكلمون فلا يرون فطرية هذه القضية كما أسلفت وعلى هذا تشعبوا في تقرير مسائل التوحيد ونشأت عندهم بعض المسائل والإفتراضات واللوازم العقدية التي تفرعت من عدم فطرية المعرفة وجعلها أمراً يجب أن يبذل فيه الإنسان مجهوداً لتحصيله وكسبه .

---

(١) المعرفة في الإسلام : د/عبدالله القرني ، (٢٦٣).

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار : " لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر " [١] .

وقد تبع الأشاعرة المعتزلة في هذه المسألة مع أنهم يخالفونهم في أمور كثيرة من مسائل العقيدة والمنهج الموصل لها فهذا الباقلاني يقول : " لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهد بالحواس ، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة ، والبراهين الباهرة " [٢] .

وكان أبو جعفر السمناني [٣] وهو أحد علماء الأشاعرة يقول: " القول بإيجاب النظر بقيت في المذهب من أقوال المعتزلة " [٤] .

وعلى ضوء هذه المسألة كما تقدم انطلق أهل الكلام في تقريرهم للتوحيد بعيداً عن منهج القرآن والسنة وبدأوا في طرح المسائل والتنظيرات القائمة على العقل والقواعد الفلسفية حتى انهم اختلفوا في أول واجب على المكلف حتى ذكر بعضهم في ذلك اثني عشر قولاً[٥] واستمروا يتناقضون ويضطربون ويرد بعضهم على بعض في مسائل واختلافات كثيرة كل ذلك من جراء إدخال النظر

---

(١) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبدالجبار (٣٩) .

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل :أبو بكر الباقلاني ، (٣٣) تحقيق / عماد الدين حيدر ط : الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٩٧م .

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني ممن لازم الباقلاني ، نظر سير اعلام النبلاء : الذهبي (٥/٧٢ ـ ٧٣)

(٤) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، (٧ / ٤٠٧) .

(٥) انظر : تحفة المريد على حاشية جوهرة التوحيد للباجوري ، (٢٠) نقلاً من كتاب المعرفة في الإسلام ، د . عبدالله القرني ، (٢٦٨).

في مسائل التوحيد التي تكفل رب العباد ببيانها وهداية الناس لها .

ولم يكتف أهل الكلام بهذا بل شعبوا القول وبدأوا يفترضون المسائل المتعلقة على هذه المسألة وسوف أتناول هنا بعض المسائل التي سأعرض لها عرضاً مجرداً دون تفصيل لتعرف أن منهجهم في تقرير التوحيد كان بعيداً كل البعد عن منهج أهل السنة ولو دخلت في عميق هذه المسائل وتوسعت في التفريعات التي فرعوها على هذه الأصول ثم أرخيت سمعك للاختلافات التي اختلفوا فيما بينهم والتناقض داخل مذاهبهم لعلمت البون الشاسع بين تقرير القرآن والسنة للتوحيد وبين هذا التقرير الذي قرروه ومن هذه المسائل ما يلي:

ـ هل النظر شرط في صحة الإيمان أم لا ؟

ـ ما حكم من انقضى تكليفه ولم ينظر ؟

ـ وإذا لم يكن له موانع ولم ينظر ومات ، هل يلحق بالكفرة أم لا ؟

ـ وهل يصح إيمان المقلد أم لا ؟ وما الحد الذي يقلد فيه ؟

إلى غيرها من المسائل التي شعبوها وافترضوها ومعلوم منهج القرآن ومعلوم أنه لم يرد نص يدل على توقف الإيمان بالله على النظر في الأدلة العقلية بل ورد أن معرفة الله فطرية ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأمرون من أراد الدخول في الإسلام بالنظر بل يقبل إسلامه بمجرد النطق بالشهادتين [1].

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٨ / ٧) .

ب_ الاختلاف في أقسام التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين :

ومما هو معلوم أن أهل السنة والجماعة وبناء على نظرهم في النصوص الواردة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن خلال مقاصد الشريعة قسموا توحيد الله سبحانه وتعالى إلى أقسام ، وقد اختلفت التقسيمات بناء على المنهج والنظرة التي تراعى عند التقسيم.

فمن نظر إلى التوحيد من جهة الله سبحانه قسمه إلى ثلاثة أقسام هي : الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

ومن نظر إلى التوحيد من جهة العبد قسمه إلى : علمي وعملي .

ولا شك أن هذا التقسيم تقسيم تقره النصوص والنظر العام في دين الله سبحانه وتعالى وهذا الاختلاف هو من باب اختلاف التنوع الذي يسوغ الخلاف فيه والتعبير اللفظي يحتمل كل ذلك فنجد البعض يسمى التوحيد العلمي ، توحيد القصد والطلب أو التوحيد الإرادي الطلبي أو توحيد الجوارح وعمل القلب والبعض يطلق على التوحيد العلمي : توحيد العلم والاعتقاد أو التوحيد القولي أو الخبري أو الاعتقادي [١] .

أما أهل الكلام فلهم تشعيبات وقواعد عقلية كثيرة في هذا الباب أدت بهم إلى تقسيم التوحيد إلى قسمين اثنين هما :

الأول : توحيد الأفعال الذي يقابل عند أهل السنة توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الذات والصفات الذي يقابل عند أهل السنة توحيد

---

(١) انظر : شرح الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي (٨٨/١) تحقيق : عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ط : السادسة ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م

الأسماء والصفات [1]

وبهذا يتضح أن هناك توحيداً مهملاً ألا وهو ما يتعلق بالألوهية لم يذكره أهل الكلام وهم ينكرونه ولا يعترفون به ويجعلونه داخلاً في التوحيد الأول وهو توحيد الأفعال وهم عندما يفسرون الإله فهم يجعلونه القادر على الاختراع وهذا تفسير خاطئ لمعنى الإلوهية أخذوه من أقيستهم العقلية واعمال النظر في معرفة الله سبحانه وتعالى وهذا يجعل الاختلاف بينهم وبين أهل الحق في تقسيم التوحيد نتيجة حتمية للمقدمات العقلية واعمال النظر في غير مجاله وهو ما قادهم لإنكار هذا التوحيد صراحة خاصة عند المتأخرين منهم وبالأخص الأشاعرة الذين يجعلونه من اختراعات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ و ليس هذا مجال بحث هذا الموضوع [2] .

ونتج عن هذا أثر عظيم في التوحيد عموماً وهذا الأثر يعتبر أهل الكلام هم المسؤولون عنه بشكل مباشر ورئيسي نتيجة إهمالهم لتوحيد الألوهية وسنختم هذا المطلب بالإشارة إليه باختصار حيث أنهم بإهمالهم لتوحيد الإلوهية أو التوحيد العملي أخرجوا الشرك العملي من حقيقة التوحيد ، فهم يربطون الشرك بالاعتقاد القلبي و يعتبرون كل الأعمال التعبدية إذا صرفت لغير الله تعالى لا تعتبر ـ عندهم ـ شركاً إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لغير الله سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد يطاف بالقبر ويذبح له

---

(١) انظر : المغني : القاضي عبد الجبار ، (١ / ٢٤١) ، وانظر أيضاً نهاية الإقدام : الشهرستاني(٩٠).

(٢) انظر : الدرر السنية في الرد على الوهابية أحمد دحلان ، (٤٠ ـ ٤١) ط : الخامسة ، ١٤٠٥هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

ولا يعتبر هذا عندهم شركاً إلا إذا تضمن اعتقاد ربوبية من صرفت له وهذا ناشئ من ربطهم توحيد الإلوهية بالربوبية وعدم اعتبار توحيد الإلوهية أصلاً وفي هذا يقول دحلان " فاجتمعت الأمة على أن الذبح والنذر لغير الله حرام ، ومن فعلها فهو عاص لله ولرسوله ... والذي منع العلماء من تكفيرهم أنهم لم يفعلوا ذلك باعتقاد أنها أنداد لله" [١] .

وبسبب هذا انتشر الشرك العملي في الأمة من جراء البعد عن المنهج القرآني والمنهج النبوي وما سار عليه سلف الأمة من قبول للتوحيد بمجرد الشهادتين والنطق بها وعدم إدخال الفلسفة والنظر العقلي في باب التوحيد .

ج ـ اختلاف مفهوم توحيد الأسماء والصفات بين أهل السنة وأهل الكلام .

سبق أن بينا اتفاق أهل السنة مع المتكلمين في توحيد الربوبية ، وفي توحيد الأسماء والصفات وذلك من حيث التقسيم الأصلي وأثناء تعرضنا للأثر الأول في التوحيد وهو اختلافهم في المنهج لتقرير التوحيد تعرضنا لمثال بارز وهو توحيد الربوبية من حيث جعل المتكلمين النظر هو أول واجب على المكلف ومن حيث إنكارهم لفطرية المعرفة وفي هذا إثبات لاختلاف الطريقة والمنهجية ولكن الخلاف معهم لم يقتصر على المنهج والتقسيم بل تعداه الى المفهوم والمضمون وسنركز بحثنا هنا على توحيد الأسماء

---

(١) نقلاً : حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ، تأليف عبد الرحيم السلمي ، (٤٩٩) دار المعلمة للنشر والتوزيع ط : الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠١م .

والصفات حيث يتضح الامر فيه أكثر من غيره.

فقد سبقت الإشارة كثيراً إلى إدخال أهل الكلام الشبهات العقلية المختلفة التي أدت بهم إلى إنكار صفات الله سبحانه وتعالى إما كلياً كما هو الحال عند المعتزلة أو جزئياً كما عند الأشاعرة التي تثبت سبعاً من الصفات وتؤول أوتنكر الباقي .

وحيث إن حديثنا في هذا المبحث حول تأثير الشك المنهجي أو الاعتقادي على التوحيد فإننا نؤكد أن الشبهات العقلية التي أثارها المتكلمون وتأسيسهم باب التوحيد عندهم على النظر العقلي جعل مفهوم التوحيد وخاصة في باب الأسماء والصفات مختلفاً تماماً عن مفهومه عند أهل السنة والجماعة .

وقد أتى المتكلمون بشبهات متعددة في هذا الباب أدت بهم إلى اعتقاد هذا المعتقد الباطل في تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته وأسمائه .

ومن أبرز الشبه التي اعتمدوا عليها في نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى وهي من جراء تعلقهم بالنظر العقلي وإدخاله في صفات التوحيد مايلي :

١ـ شبهة حلول الحوادث في ذات الله سبحانه :

وبهذه الشبهة أنكرت المعتزلة كل صفات الله سبحانه بخلاف الأشاعرة التي أثبتت سبعاً من الصفات لكنهم منعوا تجدد هذه الصفات ومنعوا قيام الصفات الفعلية الاختيارية انطلاقاً من هذه الشبهة .

٢ ــ شبهة التشبيه والتمثيل :

وقد ظنوا أن الله سبحانه إذا أثبتنا له الصفات فنحن نماثلــه ونشبهه بالمخلوق وكان المعتزلة يقولون : كل من أثبــت لله صــفة قديمة فهو مشبه ممثل ، لأنه أثبت للإله مثلاً قديماً [١].

٣ ــ شبهة تعدد القدماء :

وقد نسب الشهرستاني هذه الشبهة لواصل بن عطــاء[٢] ، فقد حكي عنه أنه قال: "ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت آلهين "[٣] .

٤ ــ شبهة التركيب :

حيث ظن أهل الكلام أن إثبات الصفات يستلزم أن يكــون الإله مركباً من أبعاض وأجزاء .

وقد ناقشهم أهل السنة في مواطن كثيرة من مؤلفــاتهم [٤] وبينوا أن هذا بسبب تأثير مناهج اليونان وإدخال النظر والعقل فــي مواطن الوحي والنصوص لاسيما ما يتعلق منها بتوحيد الله سبحانه وتعالى التي أتت النصوص موضحة ومبينة له .

---

(١) انظر : التدمرية :ابن تيمية (١١٧) تحقيق : محمد السعوي ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هــ

(٢)أبو حذيفة ولد بالمدينة سنة ٨٠هــ ،وارتحل إلى البصرة وأقام بها ،وهو مؤسس فرقة المعتزلــة، لقــب بالغزال لتردده على سوق الغزل ،تنسب إليه فرقه واصليه من المعتزله ،له مؤلفات منها (أصناف المرجئــة ،المنزلة بين المنزلتين ،معاني في القران) وغيرها ،توفي سنه ١٣١هــــ .انظر وفيات الأعيان لابــن خلكــان ،(١/٢٢٤-٢٢٦) .

(٣) انظر : الملل والنحل : الشهرستاني ، (١/ ٦٠) تحقيق : أمير علي مهنا– علي حسن فاعور دار المعرفــة بيروت ١٤١٧هــ–١٩٩٧م .

(٤) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة : عبد الرحمن المحمود ، (٣ / ١٠٩٣) .

المطلب الثاني : آثار الشك في النبوات

وقد أدخل أهل الكلام وغيرهم الشك المنهجي علـــى مقـــام النبوة ، فنتج عن ذلك آثار خطيرة وإلزامات باطلة أثـــرت تـــأثيراً واضحاُ على مبحث النبوة عندهم وأدت إلى نتائج عمليـــة منحرفـــة تحط من قدر النبوة سواء على المستوى الاعتقادي الفكري أو على المستوى العملي الاجتماعي وأصبح ما نجده عند هذه الفرق مختلفاً اختلافاً جذرياً عما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى لســـان رسوله صلى الله عليه وسلم وسنحاول في هذا المبحث الإشارة إلى أبرز هذه الأثار ومن أهمها :-

أ ـــ ضعف الاستدلال على النبوة :

لا شك أن أهل الكلام مؤمنون بنبوة الأنبياء وغير منكرين لها ولكنهم انطلقوا يجتهدون وينزلون إمكانية النبوة على ما فتنوا به من ثقافة اليونان فأدى هذا إلى ضعف الاستدلالية المنهجية الشرعية على صحة النبوة – عندهم – وكونها مـــن عنـــد الله وأدى هـــذا بالضرورة إلى سهولة الطعن في إمكانية النبوة من لـــدن أي ملحـــد بعيد عن الله منكر لرسالة الأنبياء إذ انه سيجد فيما قـــرره هـــؤلاء الفلاسفه طعناً أكيداً في صحة إرسال الرسول ونبوة النبي وســـيأتي مزيد بيان لطريقة الفلاسفة في الآثار الأخرى في مجال النبوة غير أني أحببت أن أشير هنا إلى أن طريقتهم مع طريقة المتكلمين أدت إلى ضعف اليقين بمقام النبوة وإمكانيتها وكونها من عند الله سبحانه وتعالى

فلو تتبعنا تراث ومنهج **المعتزلة** بداية فسنجد أنهم قد جعلـــوا أمـــر

النبوة واجباً يقتضيه العقل بناء على مذهبهم في أن الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل فقالوا : " عن البعثة متى حسنت وجبت " (١)

فأول شيء عولوا عليه في إثبات النبوة هو التحسين والتقبيح العقلي وإن كانت الأشاعرة خالفتهم في ذلك بجعل التحسين والتقبيح شرعياً وليس عقلياً .

ثم شرعوا في الاستدلال على النبوة من خلال المعجزة وأطالوا الوقوف عندها يقول الدكتور/ عبدالله القرني " مدفوعين بحماس للدين وبما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مستخرجين منها الأدلة العقلية التي يدفعون بها في وجه الخصوم منكرين ومتفلسفين "(٢) .

وليس المقام هنا مقام شرح وتوضيح لجعلهم المعجزة الدليل الأوحد للنبوة وجعلها مرتبطة مع الممكن العقلي وعدم خرق العادة (٣)

وحول استدلالاتهم في مقام النبوة يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ بقوله : " وإن القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ، ولا أفادوا دليلاً على نبوة الأنبياء ، كما لم يقيموا دليلاً على وجود الرب ، فليس في كتبهم ما يدل على الرب تعالى ، ولا على رسوله ، مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين "(٤) .

---

(١) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار (٥٦٤).

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ، (٧٣٢) .

(٣) انظر: المواقف : الايجي ، (٥٥٠ ــ ٥٥٧).

(٤) النبوات :ابن تيمية :(٢/ ٧٩٥). تحقيق : عبدالعزيز الطويان ، مكتبة أضواء السلف ط : الأولى

بل إنه في موطن آخر يهاجم منهجهم العقلي عامة في إثبات النبوة فيقول : " لكن لما تكلموا في إثبات النبوة ، صاروا يوردون عليها أسئلة في غاية الظهور ، ولا يجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة "(١) .

وبهذا نشير إلى أن المتكلمين معتزلتهم وأشاعرتهم سلكوا الطريق العقلي في إثبات النبوة مما جعل أدلتهم لا ترقى إلى القوة واليقين في تأكيد هذه القضية التي عليها عماد الدين وثبوته وكل ذلك من جراء الاعتماد على النظر العقلي في هذا الميدان الذي هو يعتمد بالكلية على عالم الغيب والذي يكون العقل والنظر والأقيسة العقلية كلها في المقام الثاني تابعة للنقل والغيب ومؤكدة له .

ب ــ التفسير الخاطئ لمقام النبوة :

ومن جراء إدخال الأقيسة العقلية والاعتماد على الفلسفات اليونانية التي تجعل العقل والنظر دليلها ورائدها في الحكم على جميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية ، ظهرت تفسيرات فلسفية وصوفية لمقام النبوة بعيدة كل البعد عن هدي الشرع وليس عليها دليل لا من كتاب الله ولا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الإشارة الى أهم هذه االتفسيرات في الآتي :

(١) جعل النبوة فيضية وإشراقية :

فالفلاسفة المنتسبون للإسلام جعلوا النبوة فيضاً فاضه العقل الفعال على النفس البشرية المتقبلة صاحبة الجهد والنظر والمتلهفة

---

(١) المرجع السابق :(٢/ ٩٣٧).

لتلقي هذا الفيض وفي هذا يقول ابن سينا : " والملك هو هذه القوة المفيضة كأنها تفيض عليه إفاضة متصلة بإفاضة العقل " [١] وتابعه الفارابي فيؤكد هذا المعني الفيضي للنبوة فيقول : " والذي ينال القوة الناطقة عن العقل الفعال هو الشيء الذي منزلته الضياء من البصر ، وقد يفيض منه على القوة المتخلية فيكون للعقل الفعال في القوة المتخيلة فعل ما تعطيه أحياناً المعقولات التي من شأنها أن تحصل في القوة الناطقة النظرية " [٢] .

والصوفية كانت متوافقة بل متطابقة في تفسيرها للنبوة بالفيض مع الفلاسفة ولكن يزول العجب حين نعلم أن الغزالي رحمه الله كان متناقضاً ومتنقلاً بين المذاهب في أغلب فترات حياته .

والذي يهمنا هنا الإشارة إلى أن الصوفية اتفقت مع الفلاسفة في تفسير النبوة على أنها فيض وإشراق مع أن الكثير من الباحثين ناقشوا وبدأوا يصوغون التأويلات والأعذار للغزالي في توافقه مع ما يحذر منه بل ويصل الأمر عنده على تكفيره [٣] .

وهذا لاشك أثر مهم في جانب النبوة من أسباب دخول الشك والنظر العقلي في أصول الدين .

(٢) جعل النبوة مكتسبة :

وهذا الأثر الخطير هو نتيجة لجعل النبوة قائمة على الفيض

---

(١) تسع رسائل في إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم : ابن سينا، (١٢٤) نقلاً من نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ، (٧٥٨).

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة (٦٧) مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) انظر : الحقيقة في نظر الغزالي : سليمان دنيا ، (٣٩١) ، دار المعارف ، ط : الخامسة ، بدون تاريخ .

والإشراق فلو نظرنا إلى كلام الفلاسفة والمتصوفة نجد أن هذا لازم ضروري قد التزموه وصرحوا به ولم ينفوه لأنهم كما أسلفنا يجعلون مقام النبوة فيضاً من العقل الفعال وهذا الفيض قائم على الضرورة واللزوم من الله سبحانه وتعالى ، فإن هذا الفيض لا بد أن يكون مستمراً ، وفي هذا يقول ابن سينا : " ليس مما يغيب ويحضر ــ أي الفيض– بل هو حاضر بنفسه ، إنما نغيب نحن عنه بالإقبال على الأمور الأخرى ، فمتى شئنا أحضرناه " [1] .

ولا يبتعد الفارابي عن الشيخ الرئيس كما يلقبونه فهو يقول : " ولا يمتنع إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته من العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، أو محاكاتها من المحسوسات ويقبل محاكاة المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها، فيكون له نبوة بالأشياء الإلهية " [2].

وقد توسع ابن سينا في هذا توسعاً مخيفاً جعله يقول بإمكان اكتساب الوحي بما يسميه : التجربة والقياس وإمكانية انتقاش الغيبيات في النفس من العالم العلوي ، وذلك عن طريق الرياضة والمجاهدة وغيرها من الآراء العقلية والفلسفية التي ليس المقام مقام التوسع فيها ويكفي ما أشرنا اليه حتى نصل لبيان مقصودنا من الإشارة إلى هذه الجزئية بالتحديد [3] .

---

(١) التعليقات على حواشي كتاب النفس لأرسطو : عبد الرحمن بدوي ، (٩٥) نقلاً عن المعرفة في الإسلام ، د / عبدالله القرني ، (١٠٧) .

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ، (٩٤).

(٣) انظر للتوسع : الإشارات والتنبيهات : ابن سينا بشرح الطوسي ، (٤ /١٢٤) تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ،ط : الثالثة

ولا يختلف الصوفية الإشراقية عن هذا المعنى فقد وافقوا الفلاسفة المنتسبين للإسلام فجعلوا النبوة إشراقاً وعلى هذا فيمكن تحصيلها بالرياضة والمجاهدة ، ولذلك اجتهدوا فيها وصاروا يصرحون للملأ بطلبهم هذا المقام وادعائهم أنه مما يمكن تحصيله ولذا يقول عنهم شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ : " ولهذا كان من أصولهم أن النبوة مكتسبة وكان السوردي المقتول يطلب أن يكون نبياً " [(١)] .

وفي مواطن أخرى يحكى عنهم " أن النبوة مكتسبة ، ولهذا كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة ، فكان السهروردي المقتول يقول : لا أموت حتى يقال لي : قم فأنذر ، وكان ابن سبعين[(٢)] يقول : لقد زرب ابن آمنة حيث قال : "لا نبي بعدي ") [(٣)]

ولا شك أن هذا الأثر خطير جداً على المعتقد لمن يعتقده وليس هناك باب للردة والكفر أوسع من هذا الباب .

(٣) جعل مقام الفيلسوف والولي والإمام أفضل من مقام النبي:

وهذا أيضاً أثر خطير لإدخال النظر في مقام النبوة وقد سبق فيما مضى إيراد عبارات للباطنية و الصوفية تفضل الأولياء والأئمة على الأنبياء بما لا داعي من اعادتها هنا لكن بقي أن نشير

---

(١) النبوات : ابن تيمية (٢/ ٧٠٣).

(٢) ابو محمد عبدالحق بن ابراهيم الاشبيلي ولد عام ٦٢٤هـ من غلاة الصوفية والقائلين بوحدة الوجود على ضوئها كفره كثير من أهل العلم انظر : الأعلام للزركلي (٢٨١/٦) .

(٣) المرجع السابق (١/ ٧٠٣) وانظر أيضاً درء تعارض العقل والنقل (٣١٨/١)وأيضاً : مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩٣) .

إلى أن هذا المنهج وهذا المعتقد يتطابق فيه الصوفية مع الباطنية الإسماعيلية فالقوم عندما توافقت طريقتهم انتهوا إلى نفس النتيجة في مقام النبوة ، ولكن كل منهم صرف النتيجة لما يتوافق مع معتقده وشرعته فالصوفي صار يفضل الولي على النبي والإسماعيلي الباطني يفضل الامام الغائب على النبي

فهم يجعلون الفيلسوف يتصل بوسيلة العقل والنبي ـ على رأيهم ـ يتصل بوسيلة المخيلة التي تتبع الحواس . والعقل أفضل من الحس كوسيلة وعلى هذا يكون الفيلسوف أفضل من النبي وقد اختلف في تصريحهم من عدمه في هذه المسألة لكن طريقتهم وتعاملهم مع مقام النبوة يجعلنا نرجح ذلك وعموماً فيكفي قدحاً في مقام النبوة عندهم أنهم ساووا بينها وبين الفيلسوف وهذا من أعظم الباطل والتجني على مقام أنبياء الله [١] .

ج ـ نفي العصمة عن النبي :

ويتضح الأثر الخطير الذي أحدثه القياس والنظر العقلي في اعتقاد هؤلاء القوم ، وفي إثبات هذا الأثر وهذا الاتهام الخطير لمقام النبوة من خلال نصوص المتكلمين يورد ابن تيمية رحمه الله ـ عنهم : " وجوزوا من جهة العقل ما ذكره القاضي أبو بكر : أن يكون الرسول فاعلاً للكبائر " [٢] .

وعلى هذا فلا يستدلون بها على الأمور العلمية الخبرية ،

---

(١) انظر : المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح كردي ،(٧٦٤) وفيه تفصيل لموقف بعض المستشرقين الذي يناقشون هذه المسألة عند الفارابي خصوصاً ويختلفون ما بين مؤيد لهذه الدعوى ومنكر لها .

(٢) النبوات :ابن تيمية (١/ ٤٧٦) .

وهي خاصة النبي ، مثل الإخبار عن الغيب ، والإنباء بـــه ، فـــلا يستدلون بكلام الله ورسوله على الإنباء بالغيب الذي يقطع بها ، بل عمدتهم ما يدعونه من العقليات المتناقضة [١] .

المطلب الثالث : آثار الشك في اليوم الآخر :

يعتبر اليوم الآخر من المباحث والعقائد التي حصل فيهـــا جدل في أيام الجاهلية ولكن التشريع الإسلامي جاءت أدلته وبراهينه متنوعة ومتعددة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صـــلى الله عليه وسلم لتدل عليه وتعزز اليقين به .

ولذلك كان هناك شبه إجماع عليـــه مـــن لـــدن طوائـــف المسلمين جميعاً باستثناء ما ورد عن بعض الفلاســـفة الإســـلاميين الذين أثبتوا المعاد لكنهم جعلوه روحياً وليس بعثاً للأبدان وسنعرض هنا لعقيدتهم وسبب قولهم بها ومواقف أهل الكلام منها وكيفية ردهم عليهم وسيتضح لنا الأثر الكبير للنظر العقلي والأقيسة الفلسفية فـــي عقيدة البعث واليوم الآخر ، وهنا نذكر بعض الآثار التـــي أحـــدثها إدخال الشك والنظر في مباحث اليوم الآخر ولعل من أهمها :

أ- إنكار المعاد الجسماني :

وهذا المذهب الذي لا ينفي المعاد مطلقاً بل يقصره علـــى المعاد الروحاني وهو المذهب المنسوب لبعض الفلاسفة المنتســـبين إلى الإسلام وإن كان قد شكك الكثير من الباحثين في صحة نســـبة هذا المذهب لهم والمقام هنا ليس مقام تحقيق وتمحيص فـــي هـــذه

---

(١) انظر : النبوات : ابن تيمية (١/ ٥٠٧)

المسألة وبسط المقام وتحقيق الأقوال [1] لكن الذي أميل إليه ويميـــل إليه جماهير الباحثين إلى صحة نسبة هذه الأقوال لهم .

ولعل أشهر من أثر عنه هذا القول من الفلاسفة هــو ابـــن سينا وفقد انتشرت تقريراته في المؤلفات التي ألفها أو التـــي نقلـــت عنه من المتأثرين به أو الذين ردوا عليه [2] .

وهو في رسالته الأضحوية كان واضحاً جداً ومنكراً لحشر الأبدان و متأولاً للنصوص القرآنية والنبوية وجعلها من باب التمثيل والتخييل لعامة الناس [3] .

وفي هذه الرسالة يقول : " لكننا نبين بياناً برهانياً أنـــه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت إلى البدن البتة "[4]

ثم يتمادي في إنكاره وتأويلـــه للشـــريعة بقولـــه : " هـــذا بالإضافة إلى أن الأمور الواردة في الشرائع إذا أخذت على ظاهرها لزمها أمور شنيعة" [5] .

ثم يوضح ذلك بقوله " إننا لو قلنا مثلاً بأن النفس تعود إلى تلك المـــادة التي كانت حاضرة عند الموت ، لأدى هذا إلـــى وجـــوب أن يبعـــث المجدوع والمقطوع يده في سبيل الله على صورته تلك ... " [6].

---

(١) انظر : القرآن والنظر العقلي ، فاطمة إسماعيل (٢١٨) المعهد العالي للفكـــر الاســـلامي ط : الثانيـــة ١٤٢٠هـــ ٢٠٠٠م، وانظر : أيضاً الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، د : عيسى السعدي ، (١ / ٣١٣)، دار عالم الفوائد ، ط : الأولى ١٤٢٢هـــ _٢٠٠٢م .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (١/ ٣٨٠) .

(٣) انظر: موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من أراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها : صالح الغامدي (١٠٩).

(٤) المرجع السابق (١٢٢).

(٥) المرجع السابق ، (٥٥) .

(٦) المرجع السابق ، (٥٥).

والذي يهمنا هنا التأكيد عليه والإشارة إليه أن هذا المذهب نتج من جراء النظر العقلي الفلسفي الذي استقاه هؤلاء الفلاسفة من الفلسفة اليونانية ولعل من أهم الأمور التي جعلتهم يقولون بهذا القول هو مذهبهم الفاسد القائل بقدم العالم وأن العالم صدر عن الله على جهة الفيض والصدور فإذا قالوا بتغير العالم هذا ومجيء القيامة فيلزم منه الفناء لهذا العالم القديم وهذا محال عندهم وفي تقرير هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : "الفلاسفة الإلهيون هم أشهر هذه الطوائف – يعني المنكرين للبعث ــ وهم الفارابي وابن سينا وأمثالهما ،وعمدتهم في إنكار المعاد هو اعتقادهم قدم العالم ، وأن الفاعل عله تامة موجبة بالذات لا يختلف فعلها فلا يجوز أن يتغير العالم لأجل ذلك.... " [1] .

ومن التصورات الفاسدة المتعلقة به التي بنوا عليها مذهبهم أن السعادة والشقاوة لا تتم إلا للروح وذلك هو البعث الروحي عندهم لأن الإنسان في الأصل عندهم عقل وهو معذب كونه في الجسد فلما يفارق البدن يكون في قمة عذابه أو قمة سعادته على حسب عمله وجزاء الله سبحانه وتعالى له [2] .

وعلى هذا يتأكد لنا السبب الذي دفع هؤلاء الفلاسفة لإنكار المعاد الجسدي وجعله روحياً ولم يكن بعيداً عن الأسباب التي ذكرت آنفاً فهي ترجع إلى إدخال النظر والشك المنهجي على الغيبيات التي يلزم المكلف فيها التسليم بالنصوص وعدم تجاوزها لغيرها .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٧ / ٣٨٤) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٧ / ٣٨٩) .

ب- ضعف موقف المتكلمين في هذه المسألة :

وقد اشرنا من قبل إلى أن المتكلمين لم ينكروا البعث واليوم الآخر ، لكن اعتمادهم في تقرير هذا الأمر الجليل على النظر والأقيسة العقلية جعل موقفهم ضعيفاً وحجتهم واهية خاصة أمام الفلاسفة القائلين بالبعث الروحاني دون البعث الجسماني .

فالمتكلمون بنوا مذهبهم في إثبات المعاد والبعث الجسماني على الجوهر الفرد الذي جعلوه أصلاً لكثير من المسائل الدينية وهو عندهم الجزء الذي لا يتجزأ [١] فالإنسان عندهم عرض وجوهر فأما العرض فلا يوصف بشيء ولا يبقى عندهم زمانين ، وأما الجوهر فهو الباقي [٢] والبعث عندهم إما جمع لهذه الجواهر بعد التفرق أو إعادة لها بعد الإعدام [٣] .

ولهذا اضطربوا ــ أي المتكلمين ــ لما قيل لهم : فالإنسان ثم أكل الحيوان إنسان ، فإذا أعيدت تلك الجواهر من الأول نقصت من الثاني ، وبالعكس ، فأما على قول من يقول إنها تفرق ثم تجمع ، فقيل له تلك الجواهر إن جمعت من الآكل ، نقصت من المأكول ، وإن أعيدت للمأكول ، نقصت من الآكل .

وأما الذي يقول : تعدم ثم تعاد بأعيانها ، فقيل له أتعدم لما أكلها الآكل ، أم قبل أن يأكلها ؟ فإن كان بعد أن أكلها فإنها تعاد في الآكل ، فينقص المأكول . وإن كان قبل الآكل فالآكل لم يأكل إلا

---

(١) انظر : التعريفات : الجرجاني ، (٧٥).

(٢) انظر النبوات : ابن تيمية ، (٣١٥).

(٣) انظر المصدرين السابقين (نفس الصفحات).

أعراضاً ، ولم يأكل جواهراً . فهذه مكابرة [1] .

وبهذه الإيرادات ضعف موقفهم أمام الفلاسفة من جراء إدخال هـذا القياس العقلي وجعله هو الحجة في إثبات عقيدة البعث واليوم الآخر

والفلاسفة عندما جعلوا النصوص الدالة على المعـاد مـن باب التمثيل والتخييل وأنها مؤولة بعدة تأويلات حـاول المتكلمـون منعهم من ذلك بحجة أنها لا تقبل التأويل لأنها معلومة مـن الـدين بالضرورة ولكن موقفهم كان ضعيفاً أمام الفلاسـفة لأنهـم تـأولوا نصوص الصفات ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ونصوصـها أكثر عدداً وأعظم قدراً من نصوص المعاد [2]

ولهذا كان المتكلمون في قمة الضعف أمام الفلاسـفة مـن جراء ما اقترفته أيديهم مما سبق أن قرروه وانتصروا له من الأقيسة والنظر العقلي المبتدع والمدخل في الغيبيات والأصـول الشـرعية وفتحوا على أنفسهم باباً لا يستطيعون أن يسدوه لأنهم جعلوا العقـل هو الضابط لما يسوغ تأويله وما لا يسوغ فادعت كل فرقـة قيـام القواطع العقلية على تأويل ما يخالف مقالتها مع ظواهر الشرع .

---

(١) النبوات : ابن تيمية (١/ ٣١٦) وانظر أيضاً : شرح الطحاوية : ابن أبي العز (٢٣٢/١).

(٢) انظر : الوعد الأخروي : عيسى السعدي ، (١/ ٢١٦) .

ج – إنكار بعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر :

وهذه المسائل قد سبق الإشارة لبعضها في الباب الثاني من هذا البحث والتي وقع فيها الكثير من أهل الكلام فمن جراء إدخال القياس العقلي في عقيدة اليوم الآخر أدى بهم هذا إلى إنكاركثير من مسائله بحجة عدم تواتر الأخبار فيها او بحجة مخالفتها للقواطع العقلية أو بحجة معارضتها لبعض التقريرات والاعتقادات واللوازم التي جعلوها من ضرورات المذهب الكلامي الاعتقادي لديهم .

وقد رأينا مصداق ذلك ــ أي استخدام العقل في البعث ــ فيما ظهر لنا لاعتبارهم الصراط ليس شيئاً سوى الهداية في الدنيا ، ونفي أن يكون له وجود محسوس في الآخرة ، كما حملوا الحوض والميزان وماشابههما على المعنى الرمزي دون المعنى الحقيقي ، وجعلوا الرؤية ونعيم الجنة معنويات روحانية بحتة دون أن يقفوا عند حدود النصوص التي أفادت كونها حسية تدرك بالحواس .. [١]

.

مما سبق نشير إشارة عابرة لنصل للنقطة التي نحاول تأكيدها وهي أن دخول النظر والشك الفلسفي يؤدي إلى هذه الآثار في العقيدة وأصول الدين القائمة على الوحي فقط ومهمة النظر والعقل السليم والاستدلال في ضوء النصوص .

---

(١) انظر عقيدة الإيمان بالبعث : إسماعيل جودة ،(٧٨) دار الطيف للمطبوعات ط : الأولى ، عام ١٤٠٨/١٩٨٨هـ ، وانظر أيضاً : جهم بن صفوان لخالد العسلي (١٢) بغداد ، مطبعة الإرشاد ١٩٦٥م .

المطلب الرابع : آثار الشك في القدر

تمهيد :

يعتبر باب القضاء والقدر من أهم المباحث العقدية التي قررها الإسلام وأسهبت نصوص القرآن والسنة في إبرازه وبيانه وذلك لكونه يعالج قضية الإرادة ، والتأثير الإنساني وعلاقة الإنسان بفعله وما يترتب عليه مصيره بالإضافة لملامسته لواقع الناس العملي من حيث غناهم وفقرهم وعافيتهم وسقمهم ووجودهم العام في الدار الدنيا وما جبلت عليه هذه الدار من الأفراح والمصائب وأنواع التقديرات المختلفة .

وقد عالج هذه القضية الأعم الأغلب من مفكري العصور وعلماء الحضارات الباحثين عن الحلول والعلاج لما يتعرض له الإنسان من المشكلات المختلفة فتنوعت أطروحاتهم وتحليلاتهم وفق المنهج والعقيدة المنطلق منها كل باحث ومفكر فأتت آراؤهم ونتائجهم مختلفة ومتباينة بداية من تصوير المشكلة القدرية ونهاية بالحلول والتصورات النهائية لها .

وهذه المسألة قد نوقشت من قبل البعثة المحمدية وبعثة الإسلام لتعلق الناس بها وحاجتهم لها منذ العصور القديمة وسنعرج في هذا المبحث على الآثار التي وجدت في هذا المعتقد والأصل العظيم ألا وهو القضاء والقدر وسنحاول أن نبرز النتائج والآثار التي حدثت فيه من جراء استخدام الشك المنهجي والنظر العقلي في مباحثه ومتعلقاته ونحاول التعريج على أهم المسائل والإفرازات التي أحدثت فيه سواء على المستوى التنظيري المعرفي وما احتوته كتب

الفلاسفة وأهل الكلام أو على المستوى التطبيقي العملي وما حـدث من عقائد وانحرافات في هذا الأصل العظيم .

ويجب أن ننوه أولاً إلى مذهب أهل السنة والجماعة إجمالاً في هذه المسألة ثم سنعرض لبعض الردود والإلزامات التي ذكرها بعض السلف رداً على الآثار والاعتقادات المختلفة عند المنحـرفين عن المنهج القرآني والنبوي في هذه المسألة .

فأهل السنة والجماعة يثبتون القدر ويجعلـون الله سـبحانه وتعالى خالقاً لكل شيء ويثبتون للإنسان الإرادة والمشيئة الخاضعة لمشيئته سبحانه وتعالى كما يثبتون للعبد القدرة ويجعلونه هو وأفعاله مخلوقاً لله تعالى [1] .

ظهرت و بسبب إدخال النظر العقلي ومتعلقاته في القـدر وسيتضح ذلك جلياً في الآثار التي سنشرع في ذكرها الآن وستكون طريقتنا أن نورد الأثر ثم في أثناء التعليق عليه سأشير إلى مصدره ومن قال به سواء من أهل الجبر أو نفاة القدر أو كليهما ومن أهمها ما يلي :

أولاً : نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله أو جعلها منسوبة للعبد وهذا الأثر يظهر جلياً في عقيدة الأشاعرة فهـم يقولـون : إن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر المأمورات ، لا لعلة ولا لداع ولا باعث

---

(١) انظر: القضاء والقدر في الإسلام : فاروق الدسوقي (٣٨/١) ط : المكتب الإسلامي بـيروت ، الطبعـة الثانية ١٤٠٦ ـــ ١٩٩٦م . وانظر أيضاً : موقف ابـن تيميـة مـن الأشـاعرة لعبـدالرحمن المحمـود (١٣٠٨/٣).

، بل فعل ذلك لمحض المشيئة ، وصرف الإرادة دون أن يصح أن نصف ذلك بحكمة أو تعليل[1] .

والأشاعرة عندما نفوا الحكمة والتعليل كان بسبب الحجج العقلية واللوازم الباطلة التي ألزموا بها من يقول بالحكمة وفق مناهجهم التي أدخلوها في القدر فهم يحتجون بحجة **الكمال والنقصان** ومعناها عندهم " أن الله لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها ، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء ، أو يكون وجودها أولى به ، فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها ،وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به ، فيكون مستكملاً بها ، فيكون قبلها ناقصاً " [2] .

كما أنهم يجعلون إثبات الحكمة للفعل يستلزم **التسلسل** ، فإن الله إذا فعل الفعل لعله ، فتلك العلة أيضا حادثة فتفتقر إلى عله ، وهكذا إلى غير نهاية وهو باطل .

ويشير ابن تيمية إلى مذهبهم هذا بقوله " وكثير من المثبتين للقدر من أهل الكلام ، ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب ، وإن خالفوه في بعض ذلك ، إمّا نزاعاً لفظياً ، وإمّا نزاعاً لا يعقل ، وإما نزاعاً معنوياً ، وذلك كقول من زعم أن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة ، وجعل الكسب مقدوراً للعبد ، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور ، وهؤلاء المتبعون لجهم يقولون : إن العبد ليس بفاعل حقيقة ، وإنما هو كاسب حقيقة ، ويثبتون مع

---

(١) انظر : الإرشاد : الجويني (٢٦٨) . وانظر : الفصل : ابن حزم (١٧٤/٣) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٨٣/٨) .

الكسب قدرة لا تأثير لها في الكسب ، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء ، ولكن قرنت به من غير تأثير فيه ، وزعموا أن كل ما في الوجود من القوى ، والطبائع ،والأسباب العلوية والسفلية كقدرة العبد ، لا تأثير لشيء منها فيما اقترنت به من الحوادث ، والأفعال ، والمسببات ، بل قرن الخالق هذا بهذا لا لسبب ، ولا لحكمة أصلاً " [1] .

أما **المعتزلة** فهم يثبتون الحكمة ولكن هذه الحكمة تعود إلى العباد ولا تعود إلى الرب بناء على أن في أفعال العبد ما هو ظلم وقبيح ،وهي تنافي عدل الله وحكمته ، فلو كان الله خالقاً لأفعال العباد على ما فيها من ظلم وقبح وكذب لكان الله ــ تعالى ــ ظالماً مرتكباً للقبائح والشرور [2].

وهم ينسبون هذه الحكمة للعبد دون الله بناء على أصل " العدل " الذي هو من أصولهم الخمسة المشهورة وفي هذا يقول القاضي عبدالجبار " وذلك يوجب قبح بعثة الأنبياء وبطلان الشرائع أصلاً ، وألا يفرق بين المحسن والمسيء ، وأن يرتفع المدح والذم ، والثواب والعقاب "[3] .

وعلى ما سبق فيتضح أن الأشاعرة عندما نفوا الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ونسبها المعتزلة للعبد دون الخالق كان بسبب القوانين العقلية والشبه الفلسفية التي أدخلوها في القدر فنتج عن ذلك هذا الانتقاص الكبير لله سبحانه وتعالى ، والجهل الشديد بمقاصد

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤٦٧/٨) .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة :القاضي عبدالجبار (٣٤٥) .

(٣) المرجع السابق : (٣٣٤) .

الخلق وإيجاد الكون وكأن الله سبحانه يخلق ويوجد دون حكمة ودون هدف وهذا يتنافى مع كل القواعد الشرعية والنصوص السماوية التي تشير إلى حكمة الله وحسن تدبيره والشواهد كثيرة من كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه .

مما لا يحصى ولا ويعد ولكن كل هذا لم يمنع المنادين بالنظر والشك وإدخالها في المباحث الشرعية من إنكار حكمته سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد. [١]

ثانياً: الغلو في التحسين أو التقبيح العقلي للأفعال أو إقصاؤه مطلقاً:

وأهل الكلام عموماً في تعاملهم مع القضايا الاعتقادية يغالون في اعتماد التقريرات العقلية التي ابتدعوها وتعاملوا من خلالها مع النصوص والأصول الشرعية ومنها مبحث القدر.

فالمعتزلة وبناء على إنكارهم للقدر بسبب القاطع العقلي الذي يؤكد أن الأفعال على صفة نفسية ذاتية من الحسن والقبح ، وأن الشرع إذا ورد كان مخبراً عنها لا مثبتاً لها ، فوصف الحسن والقبح ذاتيان للحسن والقبح ، فالحسن حسن لذاته ، كذلك للأبد على كل حال والقبيح قبيح لذاته ، كذلك للأبد ، على كل حال . كما يقول القاضي عبدالجبار " إنّ القبيح لا يثبت قبيحاً بقول الرسول ، وإنّما يكشف قوله عن حاله ، فيكون كالدلالة عليه "[٢] .

---

(١) انظر : شفاء العليل : ابن القيم (١/١٣٢) .

(٢) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبدالجبار (٣٠٢) .

وبسبب هذا التحسين العقلي للأفعال نشأ أثر أخطر بسبب الغلو في التحسين العقلي .

وهو إيجاب العقاب بناء على حسن الأشياء وقبحها حتى قبل مجئ الرسل **فالمعتزلة** قالوا : قبح الظلم والشرك والكذب والفواحش معلوم بالعقل ، ويستحق عليها العذاب في الآخرة وإن لم يأت رسول وينقل الشهرستاني إجماع المعتزلة على أن استحقاق العقاب والخلود في النار يعرف قبل ورود السمع [١] .

وهذا ولاشك فيه استغناء عن الدين بكليته وجعل بعث الأنبياء والرسل نوعاً من العبث وعدم الضرورة .

أما **الأشاعرة** فلمخالفتهم الدائمة للمعتزلة وبناء على ما قرروه سابقاً من نفي الحكمة واثبات المعتزلة لها فقد التزموا القول بنفي التحسين والتقبيح العقلي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " والمقصود هنا التنبيه على لوازم ذلك ، فإن نفاه ذلك ــ أي نفاه التحسين والتقبيح ــ نفوا أن يكون في الممكن فعل ينزه عنه ، فليس عندهم فعل يحسن منه ، وفعل ينزه عنه ، بل عندهم تقسيم الأفعال ، أفعال الرب والعبد إلى حسن وقبيح لا يكون عندهم إلا بالشرع ، وذلك لا يرجع إلى صفة في الفعل ، بل الشارع عندهم يرجح مثلاً على مثل " [٢] .

ويقول الجرجاني مبيناً مذهبهم " ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها وليس ذلك أي حسن الأشياء وقبحها عائد إلى أمر

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني (٥٩/١) .

(٢) النبوات : ابن تيمية (٤٥٢/١) .

حقيقي ، حاصل في الفعل قبل الشرع ، يكشف عنه العقل ، كما تزعمه المعتزلة ، بل الشرع هو المثبت له والمبين ، فلا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشرع ، ولو عكس الشارع القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً وانقلب الأمر ، فصار القبيح حسناً والحسن قبيحاً " [١] .

وهنا نرى الأشاعرة تعطل العقل ولا تسمح له بإطلاق الأحكام على الأفعال وهذا ليس إلا محافظة على اللوازم التي التزموها سابقاً من نفي الحكمة والتعليل وهكذا نجد أهل الكلام متناقضين مضطربين في إثبات الأصول الشرعية وفق المنهج العقلي فهم يفترضون افتراضات قد تكون ظنية وغير يقينية ثم يبنون عليها معتقدهم ويلتزمون كل اللوازم العقلية التي تؤديها تلك الافتراضات ولا يأبهون بالنصوص الشرعية بل ولا يعتدون بها في مقابل ما ظنوه قطعياً في دلالته وثبوته.

ونختم هذا المبحث بأن نشير إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: الذي يعبر به عن مذهب السلف رحمهم الله في هذه المسألة وهو أن الظلم والشرك والكذب والفواحش كل ذلك قبيح قبل مجيء الرسول ، لكن العقوبة لا تستحق إلا بمجيء الرسول [٢] .

ويؤكد أيضاً أن القول بالتحسين والتقبيح الشرعي دون العقلي الذي أتى به الأشاعرة هو بسبب الجبر في القدر كما صرح به الرازي فإنه أثبت أن العبد مجبور على فعله القبيح ، فلا يكون

---

(١) شرح المواقف : للقاضي عضد الدين لايجي : للسيد الشريف الجرجاني (٢٠٢/٢٥) ، تحقيق محمود الدمياطي ، دار الكتاب العلمية لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٦٧٧/٨) ، (٦٧٦/١١) .

شيء من أفعال العباد قبيحاً ويرى أن هذه الحجة هي في الأصل حجة المشركين المكذبين بالرسول الذين قالوا { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء }[١] فإنهم نفوا قبح الشرك وتحريم مالم يحرمه الله من الطيبات بإثبات بالقدر لكن شيخ الإسلام يستدرك فيقول " لكن هؤلاء الذين يحتجون بالجبر على نفي الأحكام إذا أقروا بالشرع لم يكونوا مثل المشركين من كل وجه ، ولهذا لم يكن المتكلمون المقرون بالشريعة كالمشركين وإن كان فيهم جزء من باطل المشركين" [٢] .

ويشير أخيراً إلى أن الأشاعرة وكذلك المعتزلة ليس لهم حجة على قولهم في التحسين والتقبيح ، سوى أخذهم ببعض النصوص دون بعض [٣] وهذا من الاضطراب في المنهج والانتقائية وإهمال النصوص الشرعية التي كررنا الإشارة إلى ذلك كثيراً وأنه سمة من سمات المنهج الكلامي عموماً .

ثالثاً : وصفهم الله سبحانه بما لا يليق :

وأهل الكلام ومن جراء إعمالهم للنظر والأقيسة العقلية في مباحث القدر ألجأتهم بعض اللوازم التي التزموها إلى أن يصفوا الله سبحانه وتعالى بما لا يليق ويمكن أن نشير لأمرين من أقبح ما التزمه المذهب الأشعري على وجه الخصوص وهي :

أ ــ أن الله سبحانه يكلف عباده ما لا يطيقونه :

---

(١) الأنعام آية (١٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٦ / ٢٤٦) .

(٣) انظر :مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٣٤٨/١١) (٤٩٨/١٦) .

فالأشاعرة وبناء على مذهبهم في أنه لا يجب على الله شيء ولا يقبح منه شيء يجيزون أن يكلف الله عباده ما لا يطيقون والذي لا يطيقه العباد أقسام ثلاثة كما يدّعون هي :

١ـ أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه مثل تكليف الكافر الإيمان في حال كفره وهذا جائز الوقوع عند جميع الأشاعرة .

٢ـ أن يمتنع الفعل لنفسه ، لكونه محالاً كالجمع بين الضدين وقد اختلفوا في وقوعه وممن يجيزه الرازي .

٣ـ ألا تتعلق به القدرة الحادثة كحمل الجبل والطيران وهذا يجوزه أكثر الأشاعرة[١].

وهذه الإلزامات هي نتيجة لما أحدثوه وافترضوه من المنهج المخالف لمنهج الوحي في دارسة هذا الأصل العظيم .

ب ـ تجويزهم وقوع الظلم من الله سبحانه وتعالى :

وهذا الأثر متفرع من الأثر السابق وهو التحسين والتقبيح وهذا التجويز عند الأشاعرة وهو مبنى على مذهبهم في القدر وميلهم فيه إلى مذاهب الجبرية ، إذ إنه لو قيل لهم : فكيف يعذب الله العباد على ما جبرهم عليه ، فهذا ظلم ، فيقولون : هذا منتفٍ و ليس بظلم لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير أو مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ، وهذا منتف بالنسبة لله . وعلى هذا فهم يقولون إنه لو عذب الله المطيعين ونعم العاصين لم يكن ظالماً ، بل لو عذب

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٩٥/٨) .

أنبياءه وملائكته وكرم أعداءه من الكفار والشياطين لم يكن ظالمـــاً [1].

ولا شك أن هذا فيه جرأه على مقام الله ســبحانه وتعـــالى وتجاوز صريح على النصوص الشرعية الواضحة التـــي يبـــين الله فيها عدله وهدايته وتحريم الظلم على نفسه .

ولعل من أشهرها حديث أبو ذر المشهور " يا عبادي إنـــي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظـــالموا .." [2] وليس المقام هنا مقام التوسع في الرد عليهم .

---

(١) انظر :التمهيد للباقلاني (٣٨١) ، شرح الأصول الخمسة للقاضي : عبدالجبار (٤٣٤) منهاج السنة :ابن تيمية (٣١٨/١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧) ورواه أيضاً الإمام أحمد في المســـند (١٥٤/٥) .

المبحث الثاني: آثار الشك في الشريعة

تمهيد :

الدين الإسلامي كل كامل لا يتجزأ ولا يتفرق ، ومنظومة متكاملة ومترابطة ويعتبر أي خرق أو هدم لهذا الكيان وهذه المنظومة خرقاً مؤثراً في الكل عامة .

لذا فالشكاك عندما مارسوا التشكيك في الأصول الإسلامية المعرفية واستخدموا النظر العقلي بديلاً ومقدماً على النص الإلهي سواء في الجوانب المنهجية أوالجوانب الاعتقادية الكبرى وانتهى بهم ذلك الى تقرير تلك الأقيسة والمناهج العقلية الفلسفية التي أثرت ولا شك في الجوانب التشريعية التي أتى بها الإسلام ، ، ولكن التأثر وقع من ناحية الإنسان المسلم وتفكيره وذلك بحسب قربه وبعده عن منهج النبوة فقد استطاع المنهج العقلي التشكيكي هز ثقة ويقين فئة من المجتمع الإسلامي أشربت في نفوسها حب العقل والنظر الفلسفي وصادف ضعف إيمان فانطلقت في تراثنا تبحث عما يسوغ لها اطراح الشريعة الإسلامية أو تحييدها بعيداً عن جوانب الناس العملية ، بالإضافة إلى قبول غيرها من المناهج والشرائع الوافدة التي فتن بها هؤلاء القوم واعتبروها هي الحل لما يعيشه المسلمون من تخلف وتراجع عن بقية الأمم بل ووصل الغلاة منهم إلى جعل تحكيم الشريعة هو السبب في تخلفنا عن ركب التقدم ومجاراة الحضارات الغربية والشرقية المتقدمة ، والذي نريد أن نناقشه هنا ونبينه ونؤكد عليه أن استخدام الشك منهجاً أو ممارسة قد ألقى بظلاله على الجانب التشريعي الإسلامي وسنحاول في هذا المبحث

إلقاء الضوء على بعض الآثار التي أحـــدثها ذلـــك فـــي الجانـــب التشريعي الإسلامي مبينين أثناء ذلك ، هل كان هذا التأثير بســـبب الشك كمنهج وطريقة ؟ أم أنه بسبب الشك الاعتقـــادي أم بســـببهما جميعاً أما الشك الهادم فقد أسلفنا أنـــه لـــم يوجـــد عنـــد الفلاســـفة الإسلاميين مطلقاً سائلين المولى العون والتوفيق

ومن أهم الأثار التي أحدثها الشك بأنواعه ما يلي :-

أ ــ القول بعدم وجوب تحكيم الشريعة :

وهذا الأثر يعتبر من أهم الآثار وأخطرها ونحن لا نتجنى على المدرسة والمنهج الشكي عندما ننسبب له هذا الأثـــر الخطيـــر والهادم في الجانب التشريعي الإسلامي .

فإن الناظر للأطروحات والآراء التي يقول بها الداعون إلى الشريعة الإسلامية عن مسرح الحياة العملي نجد أنهم ينطلقون مـــن منطلقات عقلية بحتة ، وينهجون منهجاً عقلياً صرفاً ، يمارسون من خلاله إقصاء الجانب النصي الشـــرعي وتـــأخيره وتقـــديم الآراء والحجج العقلية ممارسين في نفس الوقت التشـــكيك فـــي الأحكـــام والآثار الإلهية والنبوية وجاعلين منها نماذج وأخطاء لا تستحق بأن تكون موجودة في العصر الحاضر الذي عم فيه التقدم وتقدمت فيـــه البشرية ما يجعل التمسك بهذه الاعتقادات والتشريعات نوعـــاً مـــن التخلف والتأخر .

وانظر إلى عبارات الترابي عندما يقول : " لم تعـــد بعـــد صور الأحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ ألف ســـنة تحقق مقتضى الدين اليوم ، ولا توافي المقاصد التي يتوخاها ، لأن

الإمكانات قد تبدلت ، وأسباب الحياة قد تطورت ، والنتــائج التــي تترتب على إمضاء حكم بصورته السالفة قد انقلبت انقلاباً تاماً [١] .

وهذا محمد أحمد خلف الله يصرح بأكثر من هــذا عنــدما يقول: " نظام الحكم في الإسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص وعلى الجماعات الدينية أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهــاد جديد ، والفكر السياسي في نظام الحكم هو فكــر بشــري خــالص وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلــوم السياســية أن تجتهد فيه "[٢].

ولو أردنا أن نتتبع مثل هذه الأقوال والتصريحات لطال بنا المقام ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق ولكن الذي نريد أن نقــرره هنا ونؤكد عليه أن هذه النتيجة وهذه الآراء التي وصل إليها هؤلاء القوم سواء بالتقرير .

أوالتنظير في مؤلفاتهم أو عن طريق الواقع العملي الــذي وصلت إليه المجتمعات التي لا تحكم الشريعة ، أنها جميعاً كانــت أثراً مباشراً أو غير مباشر لمبدأ الشك سواء كان منهجياً عقليــاً أو كان اعتقادياً هادفاً .

ولعل من أدل هذه الأمور أن دعاة العقــل والنظرالعقلــي سواء من المتكلمين القدامى أو من المعاصرين يشــترطون الأخــذ بالمتواتر دون الآحاد بدعوى الحجة العقلية التي تفيد أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين وأن دلالته غير قطعية وذلك وفقاً لأحكام العقل وعلى

---

(١) تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترابي ، (٩٠) الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

(٢) الاجتهاد والحكم الإسلامي ، محمد احمد خلف الله ، مجلة العربي ، عدد ٣٠٧ ، رمضان ١٤٠٤هـ .

هذا فما عدا المتواتر فهو مشكوك فيه ولا يقطع بصحته سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في المسائل التشريعية ، وهذا شك واضح في أغلب الشريعة والدين فإن الأعم الأغلب من الآثار والنصوص النبوية لم يرو متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك سلط هؤلاء أقوالهم ومناهجهم على خبر الآحاد فجعلوا كل حكم أو عقيدة صادرة عنه مداراً للتشكيك والتمييع ، وقد أشرنا الى كثير من النصوص التي أوردوها في مجال العقائد وحديثنا هنا منصب على الجانب التشريعي، ولذلك خصه دعاة المدرسة العقلية بمزيد من الاهتمام ليس تعزيزاً له بل هدماً (وتشكيكاً وضرباً لمسائله ببعض) .

وهذا عبدالله العلايلي يقول :" اني في الواقع لا أقول ولا أعتد إلا بالتنزيل الكريم ، وبالمشهور من الحديث الذي في قوة المتواتر ، وبالمنطق الفقهي الشامل لعلوم الخلاف والأصول والاستدلال ، وما عدا ذلك لا ارتفع ولا أرقى به من مقام الاستئناس إلى مقام الحجية"(١).

وإذا انتقلنا إلى مسألة أخرى وابتعدنا قليلاً عن اشتراطهم للحجية وتواتر النص نجد أنهم يشككون في السنة القولية ولا يثبتون إلا السنة العملية أما القولية فهي مروية بالمعنى وهي عموماً من الآحاد المشكوك في صحته ودلالته ، يقول أبو رية : " وسنن الرسول المتواترة ، وهي السنن العملية وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوماً عندهم بالضرورة ، كل ذلك قطعي لا

---

(١) أين الخطأ : عبدالله العلايلي (١٩) دار الجديد بيروت ، ١٩٩٢م .

يسع أحداً جحده أو رفضه ، بتأويل أو اجتهاد ككون الصلاة المفروضة خمساً ... هذه هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأما أن يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث " [١] .

وقبله يقول محمد رشيد رضا : " إن سننه التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وأصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية " [٢] .

وهم أيضاً قد مارسوا التشكيك في الشريعة وفي صلاحيتها لحكم الأوطان في هذا الزمان بتشكيك آخر تعاقبوا جميعاً على اعادته والتنظير له في مؤلفاتهم ومقالاتهم ألا وهو تقسيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم إلى **سنة تشريعية** مقبولة الأحكام وإلى **سنة غير تشريعية** لا تقبل أحكامها وتشريعاتها ، وجعلها إنما صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم من باب العادة والعرف فهي صالحة لعهده صلى الله عليه وسلم ومجتمعه النبوي فقط ، ونحن غير ملزمين بها في عصرنا الحاضر ، فلا ينبغي العمل بمقتضياتها وأحكامها وجعلوها هي الأعم والأغلب من أقواله وأحكامه صلى الله عليه وسلم والبقية الباقية والتي هي الأقل والأندر هي من التشريع الذي نحن ملزمون به . حاشية العصرانيون

يقول أحمد كمال أبو المجد : " والوحي إليه صلى الله عليه وسلم هو جميع القرآن وبعض ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ،(٣٥١) ، مطبعة التأليف بمصر ، ط الأولى ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م .

(٢) مجلة المنار : المجلد العاشر ، (٨٥٢).

من قول أو فعل أو تقرير ، وليس كل ما صدر عنه من هذه الأقوال الثلاثة وحياً يوحى" [1] .

ثم يعقب أيضاً بقوله : " إن كثيراً من أقواله صدرت عنه بحكم تلك البشرية دون أن يكون المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده " [2] .

ويفصل الشيخ محمود شلتوت بقوله : " السنة تشريع وغير تشريع وينبغي ان يلاحظ أن كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ودون في كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته على أقسام:

أحدها : ما سبيله سبيل الحاجة البشرية : كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية والشفاعة والمساومة في البيع والشراء .

ثانيهما : ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية كالذي ورد في شؤون الزراعة والطب وطول اللباس وقصره .

ثالثهما : ما سبيله التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة ، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة ، والكمون ، والكر والفر ، واختيار أماكن النزول ، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة .

---

(١) مجلة العربي عدد ٢٢٢ ، (١٩) .

(٢)نفس المرجع ، (٢٠).

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق بــه طالب الفعل أو الترك وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس عمل الرسول صلى الله عليه وسلم فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع [1] .

ونحن لا نعترض على أساس هذا التقسيم في أصله ولكــن إعتراضنا أن يعمم في كل المسائل الشرعية الأصلية ويجعلها مــن باب السنن غير التشريعية دون أن يكون له ضابط شرعي معتبر .

ونحن في نهاية تقرير هذه المسألة نؤكد أن باب التشــكيك في الشريعة وفي النصوص واستخدام الشك المنهجــي المتضــمن التقديم للعقل على النقل هو الذي أدى إلى القول باطراح الشــريعة الإسلامية أو كان عاملاً مساعداً في ذلك على الأقل فــي الجانــب التنظيري التشريعي مع ما سانده في الجوانب العملية مــن ضــعف الأمة وتسلط المستعمر وضعف الوازع الديني والرغبة في تحقــق المصلحة سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة وغيرها من العوامل التي ليس مجال بحثها عندنا هنا .

ب ــ قبول المناهج التشريعية الوافدة :

ان من أهم النتائج التي أفرزها المنهج التشكيكي وخاصة في الجانب التشريعي هو قبول المناهج الحكمية التشريعية الوافــدة على المسلمين من الديانات والحضارات الأخرى وذلك أن الذي يقبل ويتعطش لمنهج تشريعي غير إسلامي وهو من المسلمين يمــارس أعلى درجات الشك والإنكار لصلاحية دينه وشريعته فلجــأ تحــت ضغط هذا الشك إلى قبول المناهج غير الإسلامية.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت ، (١٧) دار الشروق ١٩٩١م .

لهذا فإن بعض المسلمين ممن أشرب هوى بعض المناهج الغربية حاول التوفيق بينها وبين الإسلام وحاول أن يدمج بين نظام الإسلام والنظام الديمقراطي على سبيل المثال دون اطراح للإسلام كلية وهؤلاء لا نستطيع أن نخرجهم من دائرة الإسلام ولكنهم يغفلون ويتجاهلون أصول هذه الديمقراطية التي قامت في الأصل على رفض سلطة الدين والحكم باسم الله في الأرض [1] .

وهؤلاء القوم المنادون بهذه المناهج ينطوي قولهم على تشكيك في حكم ونظام الإسلام الخالد وعدم ثقتهم فيه على إدارة وتسيير أمور العباد وعدم ملائمته لهذا الزمان ويرون في هذا المنهج الديمقراطي منهجاً أفضل وأصلح من المنهج الإسلامي ومن هؤلاء محمد سليم العوا الذي ينادي ويعلن أن " الديمقراطية في هذا العصر هي الوسيلة المثلى لتولية الحكام وعزلهم ، ولم يعرف البشر حتى اليوم نظاماً أفضل من نظام الانتخابات الحر الذي يصوت فيه الجمهور بحرية حقيقية يشهدها الكافة ، لمن يشاء من الناس أن يتولى[2] .

وقد انصبت جهود هؤلاء الكتاب والمنظرون على التبشير بهذه النظم وإحسان الظن بها محاولين تزيينها في أعين الناس والجماهير المسلمة مما أنشأ جيلاً ينادي بالديمقراطية الغربية ويجعلها هدفاً في حد ذاته وينظر إليها على أنها هي الشورى الإسلامية ، وفي هذا من التدليس والخلط الكبير للمفاهيم والأصول الشرعية التي لا تخفى على عاقل ومنصف .

---

(١) انظر : التجديد في الفكر الإسلامي :عدنان محمد أمان ، (٥٧) .

(٢) انظر : إسلامي في طريق التجديد محمد سليم العوا، (٤٩)المكتب الإسلامي ، بيروت ط الثانية.

ج ـ تمييع بعض المسائل والأحكام الشرعية :

إن إدخال النظر العقلي والمذهب الشكي في الجانب التشريعي يؤدي وبلا شك إلى تحريف وتغيير بعض الأصول الشرعية التي استندت في أحكامها وتعلقاتها على النص القرآني والنص النبوي ، حيث إنها أحكام شرعية مصدرها صاحب الشريعة ، ولذا استمر الحال في العمل بها وإعتبارها حتى أتى الجانب التشككي وأسلط سيفه عليها فرأينا كثيراً من الأحكام والأصول الشرعية صارت مداراً للأخذ والرد ، وصار الدخلاء على الحكم الشرعي يشككون فيها ويميعونها ويمارسون عليها أحكام العقل والنظر فظهر التساهل في هذه الأحكام أو التحريف لها أو قصور عن العمل بها أو تبديع واتهام من مارسها أو نادى بها ونادى بالعودة لأصل هذه الأحكام الشرعية ، وسأعرض في هذا المبحث لبعض منها مما عم وطم وشاع بين ظهراني الأمة معرضاَ عن بعض الأحكام الفرعية أو التفصيلات الجزئية التي هي أيضاً مناط خلاف ومدار تساؤلات عند فئام كثيرة من العصرانيين والعقلانيين والتي إن سكتوا عنها حيناً من الدهر إلا أنهم يعودون ويتبادلون الأدوار وينبشونها ويثيرونها بين الحين والآخر ومن أهمها :

أولاً : محاولة إلغاء عقوبة المرتد :

إن عقوبة المرتد من الأحكام التي وضحها الإسلام توضيحاً تاماَ لا مجال فيه للبس أو التشكيك ، فقد نصت الأحاديث على قتله صراحة فقال ــ ﷺ ــ :" من بدل دينه فاقتلوه " [1] وفي الحديث

---

(١)رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير برقم (٢٧٩٤) .

الآخر " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ... وذكـــر منهـــا التارك لدينه المفارق للجماعة " [١] .

ولكن البعض من حاملي راية العقلانية والتمدن ينكـــرون هذه العقوبة ويشككون في ثبوتها تحت ستار الحرية الدينية وخيـــار التدين المفتوح الذي ليس له رقيب ولا حسيب ويتبارون في إنكـــار تأويل الأحاديث الصحيحة والثابتة القطعية الدلالة .

ولو نظرنا إلى موقف أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ نجد أنه طبق هذا الحكم على من ارتـــد مـــن العـــرب وقاتلهم بل إنه عد مانعي الزكاة من المرتـــدين وقـــاتلهم ، وعنـــدما نازعه عمر ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ كان جوابه المشهور : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المـــال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ــ ﷺ ــ لقاتلتهم على منعها " [٢] .

فمن ينكر ويشكك في هذه العقوبة يجعل هـــذه الأحاديـــث منصبة على المرتد الذي يحمل السلاح ويقاتل المســـلمين ويجعـــل خروجه من الدين حركة عصيان مدني تستهدف زعزعـــة الأمـــن والخروج عن الجماعة أما لو عدل عن دينه دون أن يثير أي قتـــال أو حروب فإن ذلك من الحرية الدينية التي كفلها له الإسلام ومـــن هؤلاء الغنوشي ، حيث يجعل قتال أبي بكر الصديق للمرتدين مـــن هذا الباب فيقول : " إن أبا بكر لم يقاتل في المرتدين حركة فكريـــة

---

(١) رواه مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص برقم (٣١٧٥) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الزكاة برقم (١٣١٢) ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٩) .

كان يمكن أن تواجه بمثلها ، وإنما قاتل فيهم حركة مسلحة ضد السلطة التشريعية لغرض التجزئة عوداً إلى الوضع الجاهلي : التجزئة وغياب السلطة السياسية" [١] .

ونحن لا نعلم أين سيذهب الغنوشي بقول أبي بكر الصريح : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " وتصريحه بأن السبب هو عدم تأدية الزكاة وليس لأنهم قاتلوه أو أرادوا الخروج المسلح على السلطة السياسية .

والبعض يتأول أحاديث الردة بأن هذه العقوبة ليست من الحروب الشرعية الواجبة على المسلمين في كل زمان ومكان بل هي عمل مصلحي عمله الرسول ــ ﷺ ــ في زمانه لأنه رأى أنها العقوبة المناسبة في ذلك الوقت ، أما في الزمن الحاضر فهي خاضعة لتقدير الإمام والحاكم إن شاء عملها وإن شاء تركها مع أن الأفضل والأصلح عدم تطبيقها وعدم نشرها حتى يظهر للناس عدل الإسلام وسماحته مع مخالفيه وانه تكفل بحرية الأديان وان من شاء اعتنق الإسلام ، ومن شاء خالفه.

وفي هذا يقول الشيخ يوسف القرضاوي : " إن النبي ــ ﷺ ــ حين قال : " من بدل دينه فاقتلوه ، قالها بوصفه إماماً للأمة ، ورئيساً للدولة أي أن هذا قرار من قرارات السلطة التنفيذية وعمل من أعمال السياسة الشرعية ، وليس فتوى وتبليغاً عن الله ، تلزم به الأمة في كل زمان ومكان وحال " [٢] .

---

(١) محاور إسلامية راشد الغنوشي ، (٦٤) دار اقرأ للطباعة صنعاء ، ١٩٩٢م .

(٢) الخصائص العامة للتشريع الإسلامي:يوسف القرضاوي ، (٤٠)مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٥م.

ويتابع محمد سليم العوا هذا القول فيقول : " العقاب المشروع على جريمة الردة هو عقاب تعزيري " [١] .

وهذه الدعوى من أخطر الدعاوي ، حيث أنها تمثل خطراً عظيماً أن فيها تمييعاً لأصول الدين وفتح الباب لأصحاب الاعتقادات والدعاوى الخارجة عن الدين لنشرها بين المسلمين دون أن يتصدى لهم أهـل الإسلام ويقمعوا باطلهم ويمنعوهم من نشره بين المسلمين

وهذا الأمر من أخطر الأمـور علـى اعتقـادات النـاس واجرأها على انتهاك حرمة الشريعة الإسلامية .

الثالث : أن في ذلك انهزاماً كبير وتخاذلاً عظيماً وعدم اعتزاز بهذا الدين العظيم الذي عم هديه ورحمته أقطار الدنيا وعاش الناس عدله واستقامته ولكن هؤلاء القوم يجارون ويقلدون الغرب الكافر الملحد ويحاولون أن يبرزوا أمامه بصورة المسلم العصري المتساهل فـي دينه المتسامح مع الآخر الذي لا يرى هناك أي مشكلة في التعامـل المفتوح المنعتق من كل ضوابط الدين مع الأخـر حتـى يظهـروا أمامهم في أفضل صورة وينالوا استحسان الغربيين ورضاهم ولكنهم لم يلقوا منهم إلا الاستهجان لأنهم لم ينسلخوا من عقيدتهم ودينهم كما يريد الغرب ولم يسلم لهم اخوانهم المسـلمين الـذين لا يثقـون إلا بالمصادر الشرعية الأصيلة .

ثانياً : التساهل مع الكفار وإبطال الجزية عليهم :

أتى الإسلام حريصاً كل الحرص على حماية المجتمـع المسلم وصيانة أفراده والحرص على وحدته وترابطه وحارب ونبذ

---

(١) الفقة الإسلامي في طريق التجديد :عدنان امامه (٥٥) .

كل دخيل عليه وفي نفس الوقت أعطى المسلم أهميته وفضله على غيره من العالمين فأعطاه الأفضلية داخل مجتمعه وخارجه وبين له كيفية التعامل مع الكفار وأهل الذمة الذين يعيشون بين ظهراني المسلمين فلم يبخسهم حقوقهم ولم يضطهدهم ولكنه في نفس الوقت وضع فروقاً وفواصل شرعية لا يتجاوزها المسلم حين يتعامل مع الذميين أو الكفار عموماً وأتت الآيات والأحاديث تؤكد ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك أشد البيان بسيرته العملية مع من كان يعيش في المدينة أو مع الكفار المعادين للدعوة الإسلامية وكذلك سار من بعده أصحابه وخلفاؤه الراشدون وبهذه الأحكام والتشريعات انضبطت الأمور وسارت على أحسن ما يرام وعرف أهل الذمة والكفار حقوقهم فلم يتجاوزوها وعرف أهل الإسلام أحكام غيرهم فصانوها ، لأن القصد من كل هذا أن يبقى المجتمع الإسلامي مجتمعاً متميزاً مستعلياً بدينه وإسلامه ، لأن المشاركة في الهدي الظاهر ــ الذي أتى الإسلام يحذر منه أشد التحذير ــ تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين وهذا يقود بدوره إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال ، وهذا أمر محسوس ملموس ، ولأن المخالفة في الهدي الظاهر تؤدي إلى مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف على أهل الهدى والرضوان (١) .

ومع وضوح هذه الأحكام وأصالتها إلا أنا نجد أن العصرانيين ومن سار على منهجهم في التشكيك في أحكام الإسلام

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، (١ / ٧٩)، تحقيق : ناصر العقل مكتبة الرشد ط: الثالثة١٤١٢هـ-٢٠٠٠م .

ينادون بعكس هذه الأحكام وينكرونها ويتمادون في مخالفتها وهي معلومة من الدين بالضرورة ، وهذا من ضعف يقينهم وانهزامهم أمام أعدائهم ومحاولتهم استجداءهم والركض الأعمى خلفهم فقد يقول الدكتور/ عدنان محمد " تطور الأمر ببعضهم إلى حد اتهام الفقهاء الذين قسموا العالم إلى دار حرب ودار اسلام بالعنصرية ، ودعوا إلى إبطال أحكام أهل الذمة وعلى رأسها الجزية ، وافساح المجال لكل أصحاب المبادئ والعقائد الفاسدة لنشر فكرها بما تشاء وكيف تشاء ، وتمكينها من الوصول إلى استلام الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانية وتداولها السلطة مع المسلمين"[1] .

وهذا محمد سليم العوا يقول : " لغير المسلمين من المواطنين من الحقوق العامة والخاصة ، ومن حقهم تولي الوظائف مثل ما للمسلمين بلا زيادة ولا نقصان" [2] .

أما فهمي هويدي فلا يرى التعبير الشرعي " أهل الذمة " ويعبر عنه بقوله : أما تعبير أهل الذمة ، فلا نرى وجهاً للالتزام به ، ازاء متغيرات حدثت واذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية ، فإن استخدامه كان من قبيل الوصف ، وليس التعريف ولا يشترط الاصرار عليه دائماً " [3] .

ولم يقتصر الأمر على نفي الجزية في جانبها العملي بل تعدى الأمر بالبعض إلى المطالبة بإلغائها كمصطلح شرعي واستبدالها بأي مصطلح أخر مع أنها وردت في كتاب الله سبحانه

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي ، د . عدنان محمد أمامة ، (٥١٦ ــ ٥١٧).

(٢) الفقه الإسلامي في طريق التجديد ، محمد سليم العوا (٧٦) مكتبة مدبولي ٢٠٠١م .

(٣) مواطنون لا ذميون (١٠٨) ط دار الشروق ١٤٠٥هـ.

وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول البوطي " هل نحن متعبدون بكلمة الجزية هذه ؟ والجواب : ليس ثمة ما يمنع من تسمية مدلول الجزية بأي اسم أخر كرسوم أو حتى صدقة " [(١)] .

ونصوصهم واطروحاتهم في هذا المجال كثيـرة ومتعـددة وقد أشرنا هنا الى ما يؤكد موضوعنا وهو ان اتباع النظر العقلـي وما يحتويه من المنهج الشكي قد جعل هؤلاء الكتاب والمفكـرين لا يعتبرون النص الشرعي في دلالاته ومسمياته الصريحة ويحيـدون عنه الى المنهج العصراني الذي يجعله رائداً ومتحدثاً باسمه حتى لو خالف القضايا الدينية الأصلية المنصوص عليهـا فـي كتـاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لأجل ابراز الجانـب المتسامح للدين الاسلامي حتى لو أدى الى تعطيل بعـض الأحكـام الشرعية والذي يجعلونه ديناً مبنيا على العقل والتفتح الفكري البعيد عن الانغلاق والجمود على النصوص .

وهذا فيه مزلق خطير من حيث هو عبث بالمصـطلحات الشرعية التي جاء هذا الدين يتعبدنا بها نصاً ومدلولاً فالجزية وأهل الذمة مصطلحات شرعية أصلية جاءت في الكتاب والسنة وعمل بها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومن بعده الخلفـاء الراشـدين وسلف الامة رضوان الله عليهم فلا يسوغ العدول عنه .

---

(١) الجهاد في الإسلام (١٣٥) دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٩٩٣م .

الباب الرابع علاج الإسلام للشك والوقاية منه

وفيه تمهيد و ثلاثة فصول :

- تمهيد
- الفصل الأول / تأسيس اليقين.
- الفصل الثاني/ دحض حجج الشكاك.
- الفصل الثالث / حكم الشك في المسائل الإعتقادية.

الفصل الأول : تأسيس اليقين :

تمهيد :

لا شك أن الدين الإسلامي أتى لهداية الناس وإخراجهم من الضلالة إلى الهدى وأتى لينقلهم من ظلمات الجهل والغواية والحيرة إلى نور العلم والهداية واليقين .

وهذا الدين تكمن عظمته في كل شيء فيه وتتضح أكثر وأكثر في مجال المعرفة والاطمئنان القلبي الذي هو مبتغى كل إنسان وهو ضالته التي ينشدها ليصل إلى سعادته وبهجته والتي على ضوئها يقوم الدين وتعم الدنيا بالبناء والمعرفة ويتحقق الهدف الأسمى وهو عبادة الله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة ، ومن ثم عمارة الأرض وصنع الحضارة الإنسانية . عندها فقط يشعر الإنسان وبالأخص المسلم أنه ذو فاعلية وذو وجود إيجابي .

أما الحائرون والشاكون فليس لهم حظ من هذه السعادة ، وليس لهم قبس من نور الله سبحانه وتعالى ويقينه فهم تائهون في ظلمات البعد عن الله سبحانه وتعالى مقيدون بالحيرة والشكوك والمناهج الأرضية القاصرة والعاجزة عن توصيلهم إلى يقين الله والأنس به .

وفي هذا الفصل سأعرض للهداية العظيمة التي جاء بها الإسلام والقواعد اليقينية التي أتى بها وقررها في أصوله وأحكامه التي هي كفيلة بتأسيس اليقين في قلب من عقلها واهتدى بهديها

وسار على هذه الخطوات والمصادر وجعلها هي منهجه وطريقه وبها لا غيرها يصل الإنسان إلى تحصيل علم صحيح [1] ومن أبرزها الوحي والعقل والفطرة الصحيحة والمدركات الحسية وسأعرض لهذه الأمور الأربعة التي هي أهم مصادر المعرفة واليقين عموماً ، التي جاء بها الإسلام وقررها رب العالمين من خلال كتابه ونصوص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ملتزماً جانب الإشارة والإجمال؛ لأن هذه الأمور بابها عظيم وواسع وعليها مدار الدين والدنيا وسنحاول الإشارة لما يهمنا الإشارة إليه دون تجاوز هذا المبتغى بحول الله وقوته .

المبحث الأول: إنزال الوحي وما تضمنه من الهداية والنور :

إن الله سبحانه وتعالى لم ولن يترك عباده يتخبطون في ظلمات التيه والحيرة دون أن يعصمهم بوحيه ونور هدايته التي تجعلهم في قمة المعرفة والبرهان ولذلك أنزل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه هذا الوحي الرباني الذي تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي اشتملت على البراهين واليقينيات وانطوت على القواعد الربانية التي تناسب كل زمان ومكان.

والإنسان في بحثه عن اليقين والمعرفة الصحيحة قبل الوحي أو بعيداً عنه لن يجد من الأدوات أو الوسائل غير الحس والعقل والتي هي و لا شك مصادر صحيحة وضرورية للعقل وهي

---

(١) انظر الاستقامة : ابن تيمية : (٢ / ٢٩). تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط : الاولى ١٤٠٤هـ .

عامة ومشاعة لكل الناس ، لكن هذه المصادر لن تفيد الإنسان في الوصول إلى اليقين الذي أتى به الوحي السماوي.

فهذه المصادر ــ الحس والعقل ــ مهمة جداً وسيأتي مزيد بيان لها وكيف أن الإسلام سخرها واستعملها الاستعمال المناسب ووظفها التوظيف الأمثل لخدمة الإنسان وجعلها عوناً له للوصول إلى اليقين والبرهان الساطع الواضح .

ومع أهمية هذه المصادر إلا أنها وقفت عاجزة وحائرة عن الإجابة على أسئلة ملحة عند الإنسان وذلك أنها توصلت لبعض الحلول والأجوبة الممكنة وذلك فيما يتعلق بالواقع المحسوس المشاهد أو باستنتاج بعض القوانين العقلية وصياغة بعض البراهين الرياضية المرتبطة بالحس والتجربة واستطاع الإنسان أن يوظفها فيما ينفعه ويقدمه في عمارة الأرض وبناء حضارتها .

لكن هذه المصادر وقفت حائرة عاجزة عن الإتيان بجواب مفيد وواضح فيما يتعلق بعالم الغيب وعن أصل الإنسان وخلقه وعن مصيره والحكمة من إيجاده كما أنها لم تستطع أن تبني حياته الدنيوية بناء مقنناً مشرعاً منضبطاً يسيرها ويحدد معالمها بكل وضوح .

ولذلك كله تكفل الدين الإسلامي بالإجابة عن هذه الأسئلة في أجمل عبارة وفي أكمل بيان وذلك كله عن طريق الوحي السماوي الذي أتى ينظم ويساهم في الإجابة المسددة والبراهين المتعددة على عالم الشهادة وفق الآليات المتاحة للإنسان وما كان يمارسه من الاعتماد على الحس والعقل ، ولكنه تفرد بالإجابة

الكاملة والواضحة عن كل ما يتعلق بعالم الغيب غير الملموس وغير المشاهد من قبل الإنسان وأتى بالبراهين الساطعة على صحته في ذاته ثم على ما يدعو إليه وما يشفي غليل الباحث عن الهدى والمعرفة بالله ورسله وحاضره الذي يعيش فيه والعالم الآخر وما يتضمنه من أهوال ونعيم أو جحيم .

وفي هذا المبحث سنشر إلى أهمية هذا الوحي السماوي من الله سبحانه وتعالى من خلال عدة نقاط متسلسلة ومترابطة حول أهميته والمجالات التي طرقها وكيف أنه كان أهم وسيلة وأهم نعمة أنعم الله بها على البشرية لتأسيس اليقين لديها ولنقلها من الظلام إلى النور معرجين على الخطوات والمجالات التي تطرق لها الوحي وتكفل ببيانها وإيضاحها للناس .

أ ــ تكفله بالتدليل على يقينيته في نفسه :

ومن عظمة هذا الوحي أنه جاء ليدلل على نفسه بنفسه ومع أن كل شيء في الوجود يدل على صحته في نفسه ويحمل التأكيدات المتنوعة على صحة ويقين هذا الوحي من الله سبحانه وتعالى ، إلا أن هذا الوحي أتى بأدلة تضمنها في ذاته للدلالة على صدقه وأنه أتى ليؤسس اليقين في قلوب أتباعه .

وفي هذا يقول ابن خلدون : " اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ، ولا يفتقر إلى

دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي   فهو أوضـــح دلالـــة لاتحاد الدليل والمدلول فيه .. "[١] .

وعلى هذا التعبير فالقرآن هو الدليل وهو المدلول في نفس الوقت وهذا يعطيه القوة ويعزز دلالته على اليقين سواء في ذاته أو في ثقة المتلقين لما يأتي به من أوامر أو نواهي أو أخبار أو إجابـــة عن أي تساؤل يأمل المتلقي أن يحصل عليه .

وهذا الأمر في ذاته ــ وهو كونه دليلاً ومدلولاً ــ يؤسس اليقين في قلوب المتبعين لهذا الدين لمن تأمله ونظر إليه بإنصـــاف ليس فقط في زمان النبوة وفي محيطها المكاني بـــل يســـتمر هـــذا الشعور ببث اليقين على مدى العصور والأزمان المختلفة حتى لـــو بعد قرون من انتهاء زمن نبوة نبي هذا الـــدين – عليـــه الصـــلاة والسلام– .

وفي هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى في رده على من عاند واستكبر وكذب بالوحي: {[illegible]} [٢] .

وقـــال ســـبحانه فـــي مـــوطن آخـــر :{[illegible]

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٦٩).

(٢) طه الآية ١٣٣ .

⍰✈⬀❑♦➂⧓☜ ▤❽◆❷⇩▤⧓❶◆❒ ☪❑⬀☺⇧❍◆❷♦☜
.{☜♍❑⬉☪⧓✌⬃♦⬉③}[١]

وقد أثبت القرآن يقينه وأنه منزل من الله بما أتى بـــه مـــن المعجزات التي تعزز اليقين لدى أتباعه وتبرهن لمن كان في قلبـــه تردد أو شك أن هذا الوحي من الله سبحانه وتعالى .

وقد تعددت وسائل الوحي وطرقه في إثبات يقينه سواء عن طريق كلام الله المقدس في ذاته والمتعبد بتلاوته وهو القرآن الكريم أو عن طريق سنة نبية صلى الله عليه وسلم القولية التي هي وحـــي من الله سبحانه وتعالى وإن كنا غير متعبدين بتلاوتها وحروفهـــا أو عن طريق سنته العملية ومواقفه مع أعدائه وسيرته صلى الله عليـــه وسلم التي تعددت وتنوعت في سبيل الوصول إلى اليقين الكامل في الله ومن ثم في قضايا الوجود والمعاد وما بعد الموت ، ولعل مـــن أبرز الوسائل التي نشير إليها إشارة فيما يخدم قضيتنا التي نحن في صدد إثباتها هنا وإلا فالمجال طويل ودلائل النبـــوة بابهـــا واســـع ومبسوط في عدة مؤلفات ومصنفات ليس هنا مجال بسط الكلام فيها من أبرزها إجمالاً ما يلي :

- **إخباره عن الأمم السابقة** بحوادث لا يمكن لهذا النبي الأمي الذي عاش يتيماً لم يغادر مكانه إلا سفراً وحيداً إلى الشـــام وهو صغير فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن تفصيل مـــا حدث للأنبياء السابقين مع أقوامهم وكيف كذبوهم ؟ وكيـــف كانت غلبة الله لأوليائه ولأنبيائه ، وما قصـــة موســـى مـــع فرعون وقومه ، وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه

---

(١) العنكبوت ، الآية (٥١) .

، وقصة لوط ونوح وغيرهم من الأنبياء إلا أكبر دليل على صدقه ويقين ما جاء به ، وأيضاً ما كـــان يبثـــه ذلـــك فـــي أصحابه من اليقين بانتصار الحق وصحة ما يعتقدونه ويثبتهم على ما هم عليه .

- **اخباره بكل جزم وتحد عن أحداث وأمور ستجرى في المستقبل**

وحصلت كما أخبر عنها هذا الوحي الصادق ولعل مـــن أوضح الشواهد على ذلك ما أخبره سبحانه وتعالى عن هزيمة الروم من الفرس وأنهم سينتصرون في بضع سنين وما حصل من تحـــدي أبي بكر الصديق ومراهنته لكفار قريش على هذا الأمر وتحققه في بضع سنين [1] كما أخبر سبحانه بقولـــه : { ✃◉♑✎⚐♐ ⬀⬂⬄

⇧⬀◨⌨♦●☼✈ ✂♐◉❷❾❐⚐⬉ ⬄✖⬄ ✗✇❼☑

❐⑩⬃❄❒❼ ✂♐✿☞❻⬀⬂⬄ ❐◆♎➔☠ ✌♓✈⬀⬏

✈⬃➔⬂⑨✈ ⇧⌧◨■⌛✇♑✇⚐⬄

♋⌧❶◆⬄⬂◨✇⌨⬅❑♍♌ } [2]الآيات .

وقد ورد في الأثر أن المسلمين كانوا يحبـــون أن تظهـــر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبـــون أن تظهر الفرس على الروم لكونهم مثلهم أهل شرك وأوثان وأنها حين ظهرت الروم على الفرس كما ورد في الآيات أسلم عند ذاك كثيـــر من الناس[3]

---

(١) أخرج هذه الحادثة الترمذي في كتـــاب التفســـير (٣١٩١/ ٣١٩٢) واحمـــد (٣٠٤/١) وصـــححها الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٣٠١/٢) .

(٢) الروم آية (١-٢-٣) .

(٣) روى هذا الأثر الترمذي برقم (٢٩٣٥) وقال حسن غريب ، انظر : الإسلام يتحدى ، مدخل علمي الى الإيمان : وحيد الدين خان (١٣٣) ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ومراجعة عبـــد الصـــبور شـــاهين ، دار البحوث العلمية ، ط الثالثة (١٣٩٩هـــ ـــ ١٩٧١م) .

- **إخباره صلى الله وعليه وسلم لأصحابه المستضعفين أنهم سيظهرون على المشركين**

وسيفتحون الأمصار حتى يحفز عزيمتهم ويمنحهم اليقين بالله ومعرفته اليقينية وهم في أشد حالات الضعف وتسلط الأعداء عليهم ، ولعل في قصة سراقة بن مالك أثناء حادثة الهجرة وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كيف بك يا سراقة إذا تسورت سواري كسرى ... " وكيف أنه تسورها ولبسها بعد معركة القادسية [1] .

ومثل هذا ما روى البخاري وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ــ وقول الرسول ــ ﷺ ــ له : " يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ فقلت لم أرها ، وقد أنبئت عنها قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ... ولأن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز .. قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز .. "[2] .

وفي هذا من زرع اليقين في نفوس الأجيال المتتابعة الأثر الكبير الواضح الملموس وهذا ما نراه اليوم من كثرة أتباع هذا الدين

---

(١) روى هذا الأثر البخاري برقم (٣٩٠٦) باب المناقب ، وانظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي (١٢٤/٢) .

(٢) كتاب المناقب (٣٦١٢) .

وتكاثرهم وثباتهم مما يدلنا على مدى هذه الثقة واليقين الذي جاء به هذا الوحي المبارك .

ومن أعظم العوامل التي يغرسها الله سبحانه وتعالى في نفوس المؤمنين والتي تؤكد ربانية هذا الوحي وتعزيز اليقين وتربية في قلوب بني آدم **ما أتى به الوحي من تحد واضح جلي لجنس البشرية جميعاً أن يأتوا بمثله** وإثباته سبحانه وتعالى عجزهم وضعفهم أن يعارضوه فقال سبحانه : {[illegible]} [1] .

وقوله سبحانه : {[illegible]}[2].

يقول الدكتور/ عبدالرحمن الزنيدي: "ولقد نزل هذا الحكم الصارم ، والنفي المؤبد على أناس يتمتعون بأرقى مواصفات

---

(١) الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) البقرة الآيات(٢٣ ــ ٢٤).

المجال الذي وقع فيه التحدي ، وهو الأسلوب أو النظم الكلامي ، وفي فترة بلغت فيه الذروة في إتقان هذا الفن ، حيث كانت في تلك الفترة الأسواق العربية محتدمة بالتنافس بين الخطباء والشعراء والنقاد ، يلتقون فيها للمباريات والمعارضات ، وكان كثير من أبطال هذا الميدان محاربين لهذا الدين وكتابه ورسوله و يلتمسون أوهى الأسباب لتحطيمه والحط من قدره واهانته بين الناس .

ومع هذا كله لم يستطع أحد منهم أن يفعل شيئاً ، بل كانوا ــ كما أثبت التاريخ ــ يشهدون بمقامه العلي ، الذي لا يمكن أن تسموا إليه قدرة البشر [١] .

وأساس تحدي الخلق أن يأتوا بمثل القرآن هو أن القرآن كلام الله تعالى والفرق بين كلام الله وكلام خلقه هو مقتضى الفرق بين الله وخلقه ، وإذا لم يمكن لأحد أن يتصف بما يختص به الله تعالى من الصفات فإنه لا يمكن لمخلوق أن يتكلم بكلام من مثل كلام الله تعالى ، وعلى هذا يكون الفرق بين كلام الله تعالى وكلام خلقه متعلقاً بحقيقة الكلام وجنسه ، فلا يمكن لبشر أن يبلغ كلام الله بإطلاق [٢] .

والمجالات التي تحدى بها القرآن مخالفيه كثيرة ولكنا هنا نكتفي بالإشارة إلى الأثر العجيب على أتباع هذا الدين عندما يرون عجز مخالفيهم عن مجاراة هذا الوحي السماوي فيعظم يقينهم بالله وبما جاءت به هذه الشريعة العظيمة فينعكس هذا على اعتقادهم

---

(١) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزنيدي (١٦٨ ، ١٦٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير : (١/ ٦١).

الراسخ بها وبمنزلها وبرسولها ــ عليه الصلاة والسلام ــ ناهيك عن الأثر العظيم على حياتهم العملية .

ومع أن الوحي جاء بالتشريع والهداية الاعتقادية الا أنه طرق أبواب العلم المحسوس من باب إثبات صدقة ويقينيته وهذه وسيلة مهمة تعزز اعتقاد المسلم في يقينه الوحي وكونه من عند الله سبحانه وتعالى ولأجل أهميتها أفردناها كمبحث مستقل سيأتي ذكره لاحقاً ونبين فيه عناية القرآن للجانب العلمي التجريبي وإثباته لدلائل الحس واهتمامه به كباب عظيم لتعزيز اليقين عند الإنسان وحثه على التأمل في الآفاق وتلمسه للحقائق العلمية التي تثبت وحدانيته سبحانه وشمول شريعته .

ب ــ تفرده بالإجابة عن الأمور الغيبية المحضة :

بما أن الله رحيم بعباده ويريد هدايتهم واطمئنان نفوسهم بصحة الإيمان به سبحانه وبحقيقة هذا الوجود والمعاد فقد أوكل سبحانه كل ما في هذا الوجود ليؤكد هذه الحقيقة ويوضحها أشد توضيح للإنسان وأعطاه الآلات والوسائل التي بها يتوصل إلى هذه الحقيقة .

وحيث قد منح سبحانه لعباده عالم الشهادة بما يحتويه من محسوسات وزادهم نعمة العقل التي ميزهم بها عن بقية المخلوقات ولكن الإنسان لو ركن إلى هاتين الوسيلتين فلن يصل إلى مبتغاه ولن يجد في هاتين الوسيلتين الأجوبة التي يبحث عنها حيث إنها قاصرة عن تصور عالم الغيب الذي تفرد الله سبحانه وتعالى به ولم يكله إلى أحد غيره .

ولا شك أن البشرية في حاجة ملحة إلى معرفة عالم الغيب ومعرفة بداية الكون ومنتهاه ومعرفة هذا العالم المــادي الموجــود وعلاقته بالعالم العقلي ويصور الأستاذ محمد عبــدالله دراز حيــرة الإنسان وتعطشه للحصول على أجوبة مقنعة وينقل عــن هوســرل قوله: " هذا اللغز العظيم التي يستحث عقولنا ، مــا العــالم ؟ مــا الإنسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفــه ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ .

هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة ، أو رديئة مقبولة أو سخيفة "[1].

واستعانت البشرية للإجابة على هذه الأسئلة بوسائل كثيرة فاعتمدت على الخرافة وتفسير ظواهر الطبيعة من خلالها ومن ثــم محاولة التوصل إلى عالم الغيب ولكنهــا بــاءت بالفشــل وزادت البشرية حيرة على حيرتها .

ومن ثم انبرت الفلسفة للإجابة على هذه القضايا العظيمــة على اختلاف مدارسها الحسية والعقلية وتنوعت إجاباتها وتصوراتها وفقاً لمنطلقاتها وأساساتها التي اعتمدت عليها ولكنها إلى هذا الوقت عاجزة وحائرة الوصول إلى إجابات واضحة ومقنعة .

وهذا الجانب بدأ به القرآن صريحا منذ أول الآيات نــزولا على محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث أن أول ما نزل كان قولــه ســـــــــــــبحانه { ✁✍✍🔔⬂❷♦🕮▫✉⚠✍✍☙⇔⚐☞

---

(١) الدين ، محمد عبدالله دراز دار القلم الكويت (٨٣)ط الثانية) ، ١٣٩٠هـ.

} [1] وفـــي هذا إشارة إلى أن عالم الغيب ليس في مقدور الإنســان علمــه أو الوصول إليه إلا عن طريق الله سبحانه فهو الذي سيعلمه وســيتكفل بنقله إلى الإنسان الجاهل به .

وقد تعددت الإشارات في هذه القضية من خلال آيــات الله المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال تعــالى {

} [2] وقـــال تعـــالى {

} [3] .

وهذه الأمور الغيبية المحضة التي هي من صميم علــم الله سبحانه ولا يعلمها إلا هو قد تجرأ على تفسيرها ومحاولــه كشــف كنهها الإنسان في بعض عصوره وبعض مناهجه فلم يصل فيها إلا إلى الحيرة والتيه لأنه أغفل الجانب المهم وهو أنها غيــب عنــه لا يمكن معرفتها أو الوصول إليها إلا عن طريق موجدها وموجد كل هذا الوجود وهو الله سبحانه .

---

(١) العلق آية (١–٥) .

(٢) النمل آية (٦٥) .

(٣) الأنعام آية (٥٩) .

والله سبحانه حريص على عباده فأتى بهذا الوحي المعصوم ليجيب عن هذه المسائل الكونية الكبرى اما اجمالا في كتابه أو تفصيلا على لسان رسوله ولم يتركها عرضة للفلاسفة أو أهل التأويل وبهذا ضمن لمن اتبع هذا الوحي وآمن به واكتفى بتقريراته وقواعده أن يصل إلى اليقين الذي ينشده الباحث عن الحق .

ولو استعرضنا ذلك نجد أن القرآن وحده قد تكفل بالإجابة على كثير من الأسئلة التي هي من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو وأخبرها الإنسان وشرح له تفصيلاتها ومكنوناتها حتى يكون على بينة من ربه ويعبد ربه على بصيرة حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يُسأل عن أمر غيبي يتوقف حتى ينزل عليه الوحي بالجواب الشافي لأنه لا يعلم الغيب .

فمن ناحية **خلق الإنسان وتكوينه** نجد القرآن يقول :{♎➔❑ ✁✍✎⬆🔔♑❽ ⌘⍓◼︎■☽⬧⬀☠ ✌♓♑♊ ⊂♑✓×📖 ⚐➔⚐❍ 🔔⬧✗❁✗✁ 📖❑♉⍓⌧⌖ ☎ ❑◆📖❑♉⍓✍⮘ ✌❿❍❁☺⑦❻ ⬉♑✡⑨⍓■⬅⓵ ☎ ⚐➔⚐❍ 📖❑☼☞⬅⚐⇔ ⬧☺⇧✋◆❸⬅❑♌◆}[1] وقال سبحانه : { ✁✍✎⬆🔔♑❽✓ ☎ ⓵⬅❍⬧☽■◼︎⍓⌘ ⚇⬀⇔✗⌧★ ❑✍⬀✍ ⌘♊❁❍⇧❍❑📖 ❑◆✍⍓⌘⍓⑨◆❑📖❑ ⌘⍓◼︎▫✍◆ ✁✎“☼⬧⬧❍❁⏲♊⬲}[2] وقال سبحانه : { ⊂♑✓×📖✌♑♊ ❑◆♐⬧⑨⬧⇧ ⌘⍓◼︎■☽⇘✡❑✎ ✁✎“☼⬧⬧❍❁⏲♊⌘ ✌♑♊ ⏲❁⏲▫⍓❁⏲✍♐ ✌♓♑♊⇧ ❑⌧☝◆✉💻 ✌❑❍⇔☪☽⬉❑♌⍓ {[3] .

(١) الأنعام الآية (٢) .

(٢) السجدة الآية (٧) .

(٣) الحجر (٢٦) .

وفـــي **الغايـــة مـــن وجـــود الإنســـان** يقـــول ســـبحانه { [illegible] }[1] .

ويقــــــول ســــــبحانه { [illegible] }[2] وقولــــه ســــبحانه وتعــــالى { [illegible] }[3] .

وفي قضية **خلق الكون وتفرده سبحانه بالخلق والتـــدبير** يقـــــول ســـــبحانه { [illegible] }[4] .

وفيما يتعلق **بحياة الإنسان في هذه الدنيا وتعاملــه مــع قوانيهــا ونواميســـــها** يقـــول ســـبحانه { [illegible]

---

(١) المؤمنون الآية (١١٥) .

(٢) الذاريات الآية (٥٦) .

(٣) الملك (٢) .

(٤) الأعراف الآية (٥٤) .

[illegible] .[1]}

أما **مصير هذا العالم ونهايته بما فيه الإنسان** فيقول سبحانه {[illegible]} [2] وقولـــــــه

ســـــــبحانه وتعـــــــالى {[illegible]} .[3]

كما أشار الوحي إلى **عالم الملائكة** وهو العالم المجهول عن الإنسان

فقـــــــال ســـــــبحانه {[illegible]

---

(١) الإسراء الآية(١٢) .

(٢) البقرة الآية (٢٨) .

(٣) الحاقة الآيات (١٣–١٧) .

✍•▦⍂➔⍓➔❑♌♦ }[1] وقــال ســبحانه عــنهم أيضــا {
⇱☠⇗✍⍓☺♦■❒🕮 ♦⇗✐♎⍓♊ ✃•❶⍉☽ ✃⌀□☹⍓❍
🙵♦☪➔⍓←♒↓❻ ←❍⇙☞⅄▫♦❑•✍ ⇑✞⇗❑⍓☺⍂♍🙵✃
❒♦♎➔☠⇗ •• ③⇱▦☒❷♒✼➔❑♌♦}[2] .

وهذه الآيات إنما ذكرناها على سـبيل التمثيـل وإلا فـإن المنهج القرآني يعطي تفصيلا وافيا عن هذه الأمور ويعـزز ذلـك بالسنة العملية والقولية متمثلة في النبي صلى الله عليه وسلم ليشرح المجمل من كلام القرآن ويفسره وهذا بلا شك يعزز ويؤسس اليقين عند المسلم.

كما أن القرآن لكي يعزز اليقين في نفوس عباده كان يحث أتباعه على العمل والتطبيق والتدين بعد ذكر مثل هذه القضـايا لأن ذلك يقوي اليقين في قلوبهم وينفي الشك والإنكار ويطمئن الإنسـان ويجعله يسلم بكل ما يأتي من الله .

وهذا ما ميز الأسلوب القرآني عن المناهج الفلسفية الأخرى يقول الدكتور/ عبدالرحمن الزنيدي " لأن الفلسفة حصرت غايتها من بحوثها الميتافيزيقية في المعرفة فقط ، دون النظـر إلـى الجانـب العملي ، لذا لم تستطع الفلسفة أن تعطي الإنسان سوى فكرة جافـة ترتسم في صورة جامدة وهذا ما جعل مصير الفلسفة الميتافيزيقيـة الانعزال عن حياة الناس والمراوحة بين عقول أصـحابها وكتـبهم دون تأثير فاعل في حياة البشرية"[3] .

---

(١) الانفطار الآيات (١٠-١٢) .

(٢) الأنعام (٦١) .

(٣) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزنيدي (٢٠٧) .

وبهذا نعلم مدى الدور الكبير والأثر المهم الذي أحدثه وحي الله المنزل في تبيين وتوضيح حقائق الغيب للإنسان عموما وبها يثبت اليقين في قلوب أتباعه والمؤمنين به .

المبحث الثاني :الحث على إعمال العقل والوصول عن طريقه إلى اليقين:

الدين حين أنزله الله سبحانه وتعالى أتى ليخاطب أهل العقول وأهل النهى ولذلك فإنه لا يمكن لمن فقد عقله أن يؤمن بالله سبحانه ويستيقن به وهذا العقل الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لبني آدم هو الذي فضلهم به على بقية المخلوقات فأنعم به عليهم وجعله سبباً في تحملهم للتكليف الإلهي .

وقد أتى هذا الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم مؤكداً ومعززاً لدور العقل وأهميته وضرورته لأجل إيصال الإنسان إلى اليقين الكامل بالله سبحانه وتعالى فتعددت الآيات وتنوعت العبارات التي تحث على إعمال العقل واستخدامه كمنهج يسير في ضوء الوحي ويهتدي بهديه ونوره والناظر والمتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى يجد أنه لم يرد فيه كلمة (**العقل**) بالصيغة الاسمية ولكن كل الآيات التي وردت كانت على هيئة مترادفات ومشتقات من هذه الكلمة فجاءت صيغة فجاءت " **نعقل** " وأيضا "**يعقلها** " و " **يعقلون** " و"**تعقلون** "[(1)] "وأكثر هذه المادة يدور بصيغة الفعل المضارع على سبيل الاستفهام ، وكل آية

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٤٦٨) أحمد فؤاد عبد الباقي ط :إحياء التراث العربي ، انظر أيضا: القرآن و النظر العقلي : فاطمة اسماعيل (٦٤)

من هذه الآيات التي تنتهي بهذه الصيغة الفعلية تطرح قضية فكرية معينة" [١] فكأن الله يحث عباده على إعمال هذا العقل وعلى استخدامه وتفعيله كمنهج مسدد يخدم المعرفة الموصلة إلى اليقين التام بالله سبحانه وتعالى والتعبير عن العقل بمشتقاته .

وقد تنوعت الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى التي تدعو إلى إعمال العقل والذهن وتدعو إلى جعل العقل من الأدوات والمناهج المهمة المعينة على فهم النصوص وتعميم الإيمان واليقين عند المسلم

وهذه الآيات أتت متنوعة في أسلوبها وطريقتها فأحيانا نجد أنها تحث على إعمال العقل في **الظواهر والمشاهد المحسوسة** أمامه كقوله تعالى {[illegible]} [٢] .

وقوله تعالى : {[illegible]} [٣] .

---

(١) أسس اليقين في الفكر الدين والفلسفى يوسف محمد (١٧٩) دار الحكمة ط الأولى عام ١٢١٤-١٩٩٣م

(٢) النحل : (١٢) ٠

(٣) الروم (٢٤) .

وأحيانا نجد الآيات تحث على **التفكـر والنظـر والتـدبر والتبصر كوظائف عقلية** تؤدي إلى تعزيز اليقين بالله سبحانه وتعالى كقولـــه :{ [illegible] }[1] .

وقولـــه : { [illegible] }[2] وقولـــه تعـــالى { [illegible] }[3] وقولـــه أيضـــا { [illegible] }[4] .

وأحياناً نجد الآيات تذم الذين **لا يعقلون ولا يتدبرون مـا في الكون** كقوله تعالى : { [illegible]

---

(١) الأعراف (١٨٥) .

(٢) ص (٢٩) .

(٣) السجدة (٢٧) .

(٤) الجاثية (١٣) .

}[1] .

وقولـــه تعـــالى { }[2]

.

كما أن الآيات لم تغفل مرادفات العقل فأشارت إلى إعمال العقل ولكن عن طريق مرادفاته **كـالنهى** فـي قولـه تعـالى : { }[3] **والحلم** مفرد أحلام في قوله تعـالى : { }[4] . **واللب** مفرد ألباب في قوله تعالى : { }[5] . **والقلب** أتى أيضـاً بمعنـــى العقـــل كقولـــه تعـــالى : {

(١) الأنعام (٣٢) .

(٢) القصص (٦٠) .

(٣) طه (٥٤) .

(٤) الطور (٣٢) .

(٥) البقرة (١٧٩).

وأخيراً **الحِجْر** في قولـه تعـالى : { ⬀⚹⬚⚐⬎ ⌨✁☐❀✎ }[1]
✗⦰❼ ❶♦◷⚈ɣ⦰⌨⬚ ⚐♦❸✿☹⮜ ✎❀⦰⚐⦰❽ ☐✐♑⬂❷⚹
}[2] .

وبعد هذا نجد أن هذة الآيات القرأنية فيهـا دعـوة جـادة وصريحة لإعمال العقل في هذا الكون وفي آياته الكونية والقرآنيـة لأجل الإيمان واليقين الكامل بالله سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم عندما اتى يخبر عن عالم الغيب وأسـراره ويجيب عن الأسئلة الكونية الكبرى جعل للعقل مجالاً كبيراً ومنهجاً منضبطاً للتحقق منها والوصول عن طريقه إلى الاعتقـاد واليقـين الكامل فيها فأتى القرآن الكريم مستخدماً بعض الأدلة العقلية البحتة لأجل الاستدلال بها على القضايا الكبرى المتعلقة بأصـول الـدين وبالذات على القضية الكبرى وهي وجوده سبحانه وتعالى وتفـرده بالأمر والملك ، وسأعرض في هذا المبحث لبعض الأدلـة العقليـة القرآنية ومن أهمها :-

أولاً : دليل الخلق والاختراع

وهذا الدليل يعتبر من أقوى الأدلة على وجـوده سـبحانه ووحدانيته وقد تعددت الآيات التي تشير إلى هذا الدليل العجيب ومن أهمها قولـه تعـالى : { 🕮❒⚐⬀ ⌘↗⬛⦰☽➔❑✃☎ ✌⦰♊⇳
➘⊠❷⬀❸⦰ ★⊠⦰⇔↗⦶ 🕮❒⚐⬀ ⚐➔☠↖

---

(١) الحج (٤٦).

(٢) الفجر (٥).

⬀⚐❒🕮 ⬖⌧⌦⬀ ⬂♍❑→◗⌦◘◴◸②⬂⬁⬂⬂⬳
⌫☠◷◆❑◴◸☺○○⬁⬂⬂⬳ ☎⬳❑→◗■◘◸⌘
❒◆⬳⬂⬂☞❻⬀⬂◆ 🗐 ⬂◆⬂ ⬩⬩ ③⬉❑⬂⌫⬂⬉❑♌◆ }[1] .

فهؤلاء المنكرون لوجوده سبحانه وتعالى تحاصرهم مثـــل هذه الآية ونجد أنها تعطيهم عدة خيـــارات لـــيس لهـــا إجابـــة إلا الاعتراف به سبحانه وتعالى ، فهذه الآية تقول لهم : أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ وهذا ولاشك ممتنع في بداهة العقول أم هـــم خلقـــوا أنفسهم ؟ وهذا أشد امتناعاً ولا تبقى إلا الحقيقة وهي أن لهم خالقا لا يشاركه أحد في الخلق وهو **الله** سبحانه وتعالى وهذه الآية تناقشـــهم بصيغة استفهام الإنكار ليبين الله لهم أن هذه القضية التي استدل بها " فطرية بديهية " مستقرة في النفوس لا يمكن لأحد إنكارها ، فـــلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه ولا يمكن أن يقول هو أحدث نفسه [2] .

وفي آية أخـــرى { ✞⬩◆⬂⌶← ⌘◸◘■◗⬂✡❑◴▤⬈☠⬀
⬖⌦⌀⬀ ◆♌❑➔♎⌫♎⑨✾◴➔✍ ⬩⬩⬀❑■◘⬩▫
⬖⌦⌫⬀ ◆♌❑⬉⬂⇳☺➔✍ ⬂❑✎ ☹⬈⬇⬀③◆⬈◆❷⬩▫❒🕮
⬀⚐❒🕮 ▦◴←○◆☼❑→◗➔◘⬂③❒✎ ⬄⚐←☞☼❒🕮◆⬈
☼◆⬩⬄⌶← ⬳⬂⬂💻⬂③⬩◴◘⌦◗→❑♌◆} [3] .

وجميعها تؤكد على هذا الأمر الجوهري الخطير ألا وهـــو تفرد الله بالخلق وحصر هذا الجانب فيه وحده ســـبحانه لأنهـــم لـــم يُخلقوا من العدم ولم يخلقوا أنفسهم فلم يتبق إلا خالقهم الله ســـبحانه وتعالى .

---

(١) الطور (٣٥ ــ ٣٦).

(٢) انظر : الرد على المنطقيين : ابن تيمية (٢٥٢) .

(٣) الواقعة (٥٧ ــ ٥٩) .

ثانيا: دليل العناية

وهذا الدليل يعتمد على فكرة عقلية خالصـــة وهـــي أن الله سبحانه خلق هذا الكون ورتبه ترتيبا دقيقا وجعله يسير بنظام متكامل وخلق عجيب منضبط ليس للصدفة فيه مكان فهو يسير وفق نظـــام كامل منضبط وكل هذا يدل على أن له فاعلاً وخالقاً حقيقياً وهو الله سبحانه وتعالى : وهذا النظام الكوني هو ما يعرف بالسنن الكونية ، فقد بنى الله الكون على سنن إلهية لا تختلف إلا إذا أراد الله

وقد تعددت الآيات الدالـــة عليـــه مثـــل قولـــه تعـــالى :

{[illegible]} [1] .

وأيضـــا قولـــه تعـــالى : {[illegible]} [2]

---

(١) الرعد (٤) .

(٢) النحل الآيات (١٠-١١) .

وعن هذا الدليل يقول ابن رشد " إن المصنوع يدل من جهة الترتيب الذي في أجزائه ، ومن جهة موافقتها جميعها للمنفعة المقصودة بذلك المصنوع وأنه لم يحدث من صانع هو الطبيعة ، وإنما حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية على الغاية فوجب أن يكون عالما به ، مثال ذلك : أن الإنسان إذا نظر إلى البيت فأدرك أن الأساس إنما صنع من أجل الحائط وأن الحائط من أجل السقف تبين أن البيت إنما وجد من عالم بصناعة البناء "[١] .

ثالثا : دليل التمانع

وهذا الدليل يقصد به التدليل على انتظام الكون وسلامته من الاختلال وأنه قائم على التوازن والتدبير المحكم وهذا الدليل يمثله عدة آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى منها قوله ([illegible])[٢] فلو أن في الكون ألهه غير الله لاختل نظام الكون.

وقوله سبحانه وتعالى : { [illegible] }[٣]

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة : ابن رشد (٧٧) ، تصحيح : مصطفى عبدالجواد ط : المحمودية القاهرة ١٩٦٨م .

(٢) الأنبياء (٢٢) .

(٣) المؤمنون (٩١) .

رابعا : الاستدلال العقلي على البعث والنشور

وهو إحدى القضايا التي تنوعت الآيات والأحاديــث فيهــا والتي تدلل على وقوعه وتعزز الأمر فيه وأنه ليس هنــاك مجــال للإنكار والمجادلة فقد تقرر ثبوته بالشرع وأيضا بالعقل . ومن أبرز الأساليب التي استخدمها القرآن للدلالة على الغيب الآتي .

- **الاستدلال بالنشأة الأولى على الثانية**

كقولــــــه تعــــــالى :{ ▫⬧○✿⑩◆➐→❑⬀↗❑♌⧫♓⧫♊
❽⧓🕭⅄✎🙞✃ ⬀✍➔🕭 ☎ 🙞⧫☼←⑨⓿⧓➔⬉③
▫⬧➲⬧❷⧫♓⧫✌❑❒❑🕮 ⬀☠↗✍⧫❷▪❑▭ }[1]

- **الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم**

كقولــــــه تعــــــالى : {❒◆⚖➔❑ ✃🙞✎⅄🕭⧓❽
⬀✍⬂⓿⅄♌🙞🙞⧄✍ ☠➔⌛♌⅄▫◆❑⧫☝⧫③
⚐←☞⇳❍⧫❷⮹♉ 🙞⧫♓ ⬉☠■⍈⬃➔⧫③◆❒
⬀☠➔⌛➔⌖⮹➔⬀⌨⧫③ ▪☠➔⚐ ⌀❻🙞❑⅋❑☸♌🙞🙞⧄✍
❻⬧☺✿❍❿♓ ⮘✍⮹♉❑🕮 ✃⌀✿⌀⬂➐⬉⓿⧓♌ ⧓❍⑩⧓▫
▪☠➔⚐ ⬀☠↗▤⬉➔⬁♉⬄❹⧫♓ ⧓❍⬂⓿⬧♌⧄➐ ❍⚐➔⚐ ☎
⬃☹↗⬇☪↗⬂ 🙞⮹☺⧄✍ ☠↗▤⬉⊙⧄❍▭❑✡⬉③
✍⬧➔⬃☺⮹⍈➔❑♌⧫ }[2] فالآية تدل بكل وضوح أنــه ســبحانه القادر على إرجاع الروح للجسد بعد مفارقتها له عند النــوم قــادر على بعث الأجساد وبحث الأرواح فيها من جديد .

- **الاستدلال بخروج الشيء من ضده**

---

(١) الإسراء (٥١) .

(٢) الأنعام (٦٠) .

كقولــــــــه تعــــــــالى {☽☒♌☐ ✁✍✏⅄ ▫⧫◦✍ ◉♑♋✉←
✁✍💻⬂⧫☐◘♌✆ ❐◆✁✍♑☪☐☐◆❾📄 ☎
⑥➚③⬂❷⌘●← ✁✍💻⬂⧫☐❻❍ ✌♋♊⌘
✁✍♑☺⬂☺⌧⓿♒✆💣♋ ☐◆👍➔③⬂❷⌘●←
✁✍♑☺⬂☺⌧⓿♒✆💣♋ ✌♋♊⌘ ✁✍♑☺⬂☪⌧❻♍♇ 🗐
❶◆⏲♑♋⬚⬚↖☠➚ ✁✍✏✦ ☎ ▫⧫🕯☐❄❉❼🗐

✍➔◆⬀◘⧫⬚➚☐♌◆ }[1] وقولـــــــه تعـــــــالى :{ ✁✍✏⅄🔔♋❽
♉⌧➔⌧◦✍ ♑◦⬚➚✉ ✌♓♊⌘ ✁✍♑⌖⊙➶⌧❷⌘
✁✍❀☞⌘⬀➢✿❸☒ ☼⧫✍❻✡✁ } فالآيتين تدل علـــى أنـــه

سبحانه وتعالى كما خلق الحي من الميت والميت من الحي وكـــذلك

جعل النار من الشجر الأخضر قادرُ على بعث الناس بعد موتهم .

• الإستدلال بإحياء الأرض الميتة

كقولــــــــه تعــــــــالى : {☐◆♋♊⇳ ➚◆✁③◆⌚✌♋❍♋⌚▦
📖❐☼❉🖮⌧ ✍◆❷◆❽ ✁✍❀☞❻⬁⮟◆ ⌘⌧⌚⌖♋➔⌧☐☪
◦☒✉⬚❶◦✁✏ 📖❐☼❽◆♑⬂☪◆✍ ⬊◆⬛■❸⬁♋☐✍
✁✍♑☺⌧✍✏➚◆ ✁✍♎⬀✋◆❾☐☠⇳
❐◆❻◆✉♋◆⇳ 🗐 ☽☒♌☐ ✁✍✏⅄🔔♋❽✓
📖❐❍⇳⓿◆✍♎⌧✍ ♑◦☺←◆⇔❻♇
✁✍♑☺⌧❐⬁✌◆❼✁ 🗐 ☽☒☼❉❍←⏀ ↖◆✍■❼🗐
.{[2]➘❷③♋⑨◦🔔 📖➚⇔⌧☒★ ⇏♏✍➚✉}

وهذا التنوع في الأدلة يعطي العقل كافة المجلات والطرق

للاقتناع بهذا الأصل العظيم من أصول الدين الذي تبرز أهميته لأنه

يأتي على خلاف العادة البشرية .

---

(١) الأنعام (٩٥) .

(٢) فصلت (٣٩) .

المبحث الثالث: دلالة الفطرة على اليقين بالله والمعارف الضرورية

وحديثنا عن الفطرة يأتي مؤكداً ومكملاً للوحي السـماوي والدلالات العقلية التي جاءت لهداية الإنسان وجعله على بصيرة من دينه وعلى بصيرة من حقيقة وجوده وما يتعلق بـه مـن القضـايا الأساسية التي يجب أن يعلمها ويعرف الحق والهداية فيها.

فجنس الإنسان عموما هو عبد لله ومخلـوق لله سـبحانه وتعالى والله سبحانه رحيم رؤوف بعباده وخلوقاته ومن كمال رحمته وعدله أن خلق الإنسان على الفطرة الإلهية وجعله مفطـوراً فـي أساسه ومنشئة على أن يكون مؤمناً موحداً مهتدياً إلى الله سـبحانه وإذا تحقق له الإيمان والتوحيد المطلوب كان مهتدياً في بقية الأمور الأخرى المتعلقة بحياته وتفكيره ومعرفته ويترتب على كـل هـذا نجاته واستحقاقه لرحمة الله ونعيمه في الآخرة بعد مشيئته سـبحانه وتعالى.

وسنبين في هذا المبحث دلالات النصوص الشرعية علـى أن الإنسان مفطور على التوحيد والمعرفة الربانية الصـحيحة وأن هذه الفطرة ضرورية وبديهية لدى الإنسان .

ولو أعملنا النظر في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لوجدناها مؤكدة لهذه القضية ومعززة لها ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يلي :

(١) قوله تعـالى : {🔔➔✍ ☜ℯ𝓇⚮☺⌂♊⛯ ✂✍☜❀☞❻⬀✓❶
❐◆✌♦♊▫⚮⑩♑⌂✍✎ ☽⚮♌ 🗎→☪☜←⚐⬄

[illegible] } [1]

فهذه الآيات واضحة الدلالـــة أن المشـــركين والمعانـــدين يعرفون في قرارة أنفسهم أن الله موجود وأن بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى وعلى هذا فهذه المعرفة والفطرة لـــديهم ضـــرورية ومترسخة في عقولهم وأذهانهم وأساس فطرتهم ولذلك فهم يقولـــون إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون أو منحرفون بوجه من الوجوه في إيمانهم بالله تعالى ، وما نزلت الأديان قط لإثبات وجـــود الله ، وإنما نزلت لتصحيح الاعتقاد في الله ، ولتصحيح طريقة التوحيد .[2]

ولذلك ذكر ابن القيم " أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النار ، ومن لم يجد ذلـــك فـــي عقلـــه وفطرتـــه فليتهمهما" [3] .

---

(١) المؤمنون (٨٤-٨٩) .

(٢) انظر : الإسلام والعقل : :صلاح الدين المنجد (١٤٤) دار الكتاب الجديـــدة بـــيروت، ط الثانيـــة ، ١٩٧٦م

(٣) مدارج السالكين في منازل اياك نعبد واياك نستعين : ابن القيم (١/٦٠) تحقيق : محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

(٢) قولـــــه تعـــــالى :{ ⇔⚐←♑➔🖬←♋↓❻ ⇧💣☼⧫♏◉🙰⧫🕭
⚶❷⚖⬅🙰⧫▫✌⌨☒⮝ ★✎🙰✁ ❼⚟×❒🕮
✁🙰♏○○☺⮹⏲❑◆⏲☠⚖ ❒◆✁🙰❀☞❻⬀⮛⮘ }[1].

وهذا استفهام انكاري موجه من أنبياء الله سبحانه وتعـــالى لمن شك في الله وفي تفسيرها يقول ابن كثير " أي : أفـــي وجـــوده شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده ، ومجبولة على الإقرار به ، فـــإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر الموصل إلى وجوده ، ولهـــذا قالت لهم الرسل ، ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه { فاطر السموات والأرض } الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال ســـابق ، فـــإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما ، فلا بد لهـــا مـــن صانع ، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه "[2] .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول : " فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها ، وكل ما استدل به على الصانع ، فالعلم بوجوده أظهر من دلالته، ولهذا قالت الرسل لأممهم " أفي الله شك " فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شـــك في وجود الله سبحانه ، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته ، وصفات كماله ، الأدلة على اختلاف أنواعها ، ولا يطيق حصـــرها إلا الله ، ثم ركّز ذلك في الفطرة ، ووضعها في العقل جملة ، ثـــم بعث الرسل مذكرين بها"[3] .

---

(١) إبراهيم (١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢١٥) .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والارادة : ابن القيم (٢-٣٤٨) دار نجد للنشر والتوزيع ، الريـــاض ، ١٤٠٢-١٩٨٢م .

(٣) قولـــــه تعـــــالى: { [illegible] }[١] .

وهذه الآية من أصرح الأدلة على أن الإنسان مفطور على الدين الصحيح وأن الفطرة هي مقتضى التوحيد وأن الله كتب ذلـك وسنة لكافة البشر .[٢]

وفي هذه الآية يقول الإمام ابن جرير في تفسيره " أي فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته ، وهـي دين الإسلام حنيفا مستقيما لدينه وطاعته : ونصبت " فطرة " علـى المصدر من قوله " فأقم وجهك للدين حنيفا " وذلك أن معنى ذلـك : فطر الله الناس على ذلك فطرةً "[٣] .

ولذلك فإن أبا هريرة عندما يروي حديث الفطرة والذي سـنذكره لاحقا يقول : واقرأوا إن شئتم : { فطـرة الله التـي فطـر النـاس عليها}[٤]

(٤) قولـــه تعـــالى { و [illegible]

---

(١) الروم آية (٣٠) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٨/٣٧٦) .

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن : (١١/٤٠)دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥- ١٩٨٤م .

(٤) رواه البخاري – كتاب الجنائز برقم (١٣٥٧) .

وقد ذكر الإمام ابن تيمية كلاماً نفيساً عن هذه الآية نورده بطوله فيقول " هذا الإشهاد من لوازم الإنسان ، فكل إنسان قد جعله الله مقراً بربوبيته ، شاهداً على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه ، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم ، وهـذا أمـر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق وهذا مما خلقوا عليه وجبلوا عليه ، وجُعل علماً ضرورياً لهم لا يمكن أحدا جحده ... ثم بـين قولـه تعالى " أن تقولوا " أي : كراهة أن تقولوا ، ولئلا تقولوا " إنا كنـا عن هذا غافلين " عن الإقرار لله بالربوبية ، وعلى أنفسنا بالعبودية ، فإنهم ما كانوا غافلين عن هذا ، بل كان هذا من العلوم الضـرورية اللازمة لهم التي لم يخل منها بشر قط.. وقوله " أو تقولـوا إنمـا أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون " وهم آباؤهم المشركون ، وتعاقبنا بذنوب غيرنا ؟ وذلك لأنـه لـو قدر أنهم لو يكونوا عارفين بأن الله ربهم ووجدوا آباءهم مشـركين وهم ذرية من بعدهم قالوا نحن معذورون وآباؤنا هم الذين أشـركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم ، اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة ، ولم يكن عندنا ما يبين خطأهم ، فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به مـن

---

(١) الأعراف الآيات (١٧٢-١٧٣) .

أن الله وحده هو ربهم ، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك ، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم ، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية " [١]

(٥) قوله " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه [٢] .

قال ابن حجر[٣] " على الفطرة أي : "على الدين القويم"[٤] .

وقال الإمام النووي[٥] " قوله: على الفطرة : أي على الإسلام[٦] .

وقال الإمام ابن عبد البر[٧] " وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل"[٨] .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل :(٤٨٨/٨-٤٩٠) .

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز (١٣٨٥) ومسلم كتاب القدر (٢٦٠٨) .

(٣) احمد بن علي بن محمد العسقلاني ولد عام ٧٧٣هـ في القاهرة فقيه محدث من أهم مصنفاته (شرح صحيح البخاري) وغيرها توفي عام ٨٥٢هـ انظر الأعلام : الزركلي (١٢٤/٧) .

(٤) فتح الباري (١١١/١١) .

(٥) يحي بن شرف بن مري النووي الشافعي ولد بقرية نوى من قرى حوران فقيه محدث من اهم مؤلفاته (شرح صحيح مسلم ، رياض الصالحين) وغيرها توفي عام ٦٧٦هـ انظر الأعلام : الزركلي (١٤٩/٨) .

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٤-٨٤)دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ .

(٧)يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري ، ولد بقرطبة ٣٦٨ هـ ، حافظ المغرب برز في علوم كثيرة في الحديث والفقه والتاريخ والأدب ،ومن مؤلفاته : (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد ، جامع بيان العلم و فضله) وغيرها انظر سير أعلام النبلاء للذهبي(١٥٣/١٨).

(٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧٢/١٨) ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب

والفطرة في الحديث المقصود منها الفطرة بمعناها الشرعي وهو الإسلام كما بينا من كلام أهل العلم وليس المقصود مجرد المعنى اللغوي الذي يدل على الخلقة التي يولد عليها كل مولود ، لأن القول بأن كل مولود يولد على الفطرة التي هي الخلقة لا يفيد لذاته معنى محدداً ما لم توصف تلك الخلقة بما يقطع النزاع في معناها ، ولا يمكن ذلك إلا إذا فسرت الفطرة على معناها الشرعي ومن الدلائل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بالفطرة ما يقتضي التوحيد أنه ذكر التهويد والتنصير والتمجيس في مقابلة الفطرة[١]

وبهذه الأدلة نعلم أن الله سبحانه تكفل بهداية الإنسان وإرشاده في أصل فطرته على الدين وما يحصل من تحول للإنسان إنما هو راجع إلى المؤثرات الخارجية التي تطرأ عليه أثناء حياته .

والله عندما جعل الإنسان مفطوراً على التوحيد نعلم يقيناً أنه لن يولد وهو مدرك للإسلام وكل متعلقاته وإنما نعني مولوده على الفطرة : **أنه يولد على خلقه وجبلة مقتضية للتوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى إذا ميز وعقل وسلم من الصوارف** وفي هذا يقول شيخ الاسلام "ومعلوم أن قوله كل مولود يولد على الفطرة ، ليس المراد به أنه حين ولدته أمه يكون عارفا بالله موحداً له بحيث يعقل ذلك ، فإن الله يقول " ❒◆✁✍✐ ✦ 🕮❒⌘✍❷♦♉⍓▤➚☠ ✍✂♓♊✍ ⇦➲❏➚♌✍ ⇧🕮✋❏♑⍓🕑☞♌▤➚☠✍ •• ✍♦➔✍🖬■☺⇦❏♍✍ ⅄☒❶⊠★ॐ✍ "[٢] ونحن نعلم

---

(١) انظر : المعرفة في الإسلام : للدكتور عبدالله القرني (٢٢٨ –٢٣٠) .

(٢) النحل: الآية (٧٨).

بالإضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضي ذلك ...[1]

ويعلق الإمام الخطابي بعد إيراد هذا الحديث بقوله : " حاصل المعنى من هذا الحديث إنما هو الثناء على هذا الدين ، والإخبار عن محله من العقول موقعه من النفوس ، وليس من إيجاب حكم الإيمان للمولود بسبيل " [2] .

وقبل أن نختم مبحث الفطرة نحتاج أن نؤكد نقطتين مهمتين

الأولى : أن الفطرة ضرورية عند الإنسان

وهذه المسألة من الأمور التي لا يسوغ إنكارها أوالتشكيك فيها ويؤكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :" إن النفس لا تخلو من الشعور والإرادة ، بل هذا الخلو ممتنع فيها ، فإن الشعور والإرادة من لوازم حقيقتها ، ولا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرة مريدة ، ولا يجوز أن يقال : إنها قد تخلو في حق الخالق تعالى من الشعور بوجوده وعدمه ، وعن محبته وعدم محبته ، وحينئذ فلا يكون الإقرار به ومحبته من لوازم وجودها ، ولو لم يكن لها معارض ، بل هذا باطل ، وذلك أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها ، وكونها مريدة من لوازم ذاتها ، ولا يتصور أن تكون نفس الإنسان غير مريدة ، وإذا كان كذلك فلا بد لكل مريد من مراد ، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره ، والمراد لغيره

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٨/٤٦٠) .

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١-٧١٦) تحقيق د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، طبع معهد البحوث واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط : الأولى ١٤٠٩- ١٩٨٨م .

لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه ، فيمتنع أن تكون جميع المرادات مرادات لغيرها ، فإن هذا تسلسل في العلل الغائية ، وهو ممتنع كامتناع التسلسل في العلل الفاعلية بل أولى .

وإذا كان لابد للإنسان من مراد لنفسه ، فهذا هو الإله الذي يألهه القلب فإذاً لابد لكل عبد من إله ، فعلم أن العبد مفطور على أن يحب الهه.

...فإن قلت : ما ذكرته سابقاً يستلزم أنه لابد لكل حي من اله، أو لكل إنسان من اله ، لكن لم لا يجوز أن يكون مطلوب النفس مطلق المألوه لا مألوها معينا ، وجنس المراد لا مرادًا معينا ؟

قيل : **هذا ممتنع** ، فإن المراد إما أن يراد لنوعه أو لعينه ، والمراد لذاته لا يكون نوعاً ، لأن أحد المعينين ليس هو الآخر ، فلو كان هذا مراداً لذاته للزم ألا يكون الآخر مراداً لذاته ، وإذا كان المراد لذاته هو القدر المشترك بينها لزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مراداً لذاته .

والكلي لا وجود له في الأعيان إلا معينا ، فإذا لم يكن في المعينات ما هو مراد لذاته ، لم يكن في الموجودات الخارجية ما هو مراد لذاته ، فلا يكون فيها ما يجب أن يألهه أحد فضلاً عما يجب أن يألهه كل أحد .

فتبين أنه لابد من إله معين ، وهو المحبوب لذاته من كل وجه ، ومن الممتنع أن يكون هذا غير الله ، فلزم أن يكون هو **الله** "[1]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٤٦٤/٨) .

ويؤكد رحمه الله في موطن آخر نفس المعنى فيقول عن الفطرة " فإنها من العلوم الضرورية اللازمة للخلق التي لم يخل منها بشر قط " [١]

الثانية : أن الفطرة لا تقتضي وجود الله فقط بل كمال توحيده سبحانه

وهذه المسألة من أهم المسائل التي يجب تقريرها وتوكيدها فقد قال البعض[٢] إن الفطرة لا تقتضي تحقيق التوحيد بل هي مجرد **القابلية للتوحيد** والفرق بين هذا القول والقول بأن الفطرة مقتضية للتوحيد ، أن الفطرة إذا كانت مجرد القابلية للتوحيد كان تحقق التوحيد للإنسان من الممكنات التي قد تحصل وقد لا تحصل، بخلاف ما إذا كانت الفطرة مقتضية للتوحيد، فإن تحققه لا يكون ممكناً بل واجباً مع وجود شروطه وانتفاء موانعة . [٣]

ولا شك أن هذا القول مجانب للصواب ومخالف لمفهوم النصوص القرآنية وكلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه سابقاً وفي هذا يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : هذا القائل إن :" أراد بهذا القول أنهم خلقوا خالين من المعرفة والإمكان ، من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر ، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر – وهذا الذي يشعر به ظاهر الكلام – فهذا قول فاسد ، لأنه حينئذ لا

---

(١) المرجع السابق (٤٨٩/٨) .

(٢) وأشهر من قال بهذا الإمام ابن عبد البر ونقله عن جماعة من أهل العلم والنظر ، ولم يسم أحدا انظر : التمهيد (٦٨/١٨-٧٠)

(٣) المعرفة في الإسلام : الدكتور عبد الله القرني (٢٤٢) .

فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار ، والتهويد والتنصير والإسلام ، وإنما ذلك بحسب الأسباب " [1] .

ويؤكد تلميذه ابن القيم نفس المعنى بقوله " لا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة ، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه والله سبحانه له الكمال المطلق التام في كل وجــه ، الــذي لا يعتريه توهم نقص أصلا ، ومَن هذا شأنه فإن القلوب لا يكون شيء أحب اليها منه ما دامت فطرها وعقولها سليمة ، وهذا الباعث أكمل بواعث العبودية وأقواها " [2] .

وبعد هذا التقرير للفطرة نجد أن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان نعمة جليلة كفيلة بهدايته ونجاته إذا سلمت من الصــوارف التي تصرفها عن أصلها وهدفها الذي وجــدت مــن أجلــه وهــو الوصول إلى اليقين التام وتوحيد الله سبحانه وتعالى وخلو القلب مما يعكر صفو يقينه واعتقاده بالله سبحانه وتعالى .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٨/٤٤٤) .

(٢) مفتاح دار السعادة : ابن القيم (٢/٤٩) .

البحث الرابع : دلالة الحواس على اليقين بالله سبحانه وتعـالى

واستكمالا لما بدأناه في هذا الفصل فإننا نختم بهذا المبحث الـذي نبين فيه مدى أهمية الحواس كمصدر رئيسي للمعرفة واليقين وكيف أن الدين الإسلامي أتى منبهاً على أهمية المعطيات والمعلومات التي تقدمها لنا الحواس البشرية وذلك أن الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعـالى فـي أحسن تقويم ومتعه بأفضل النعم وأجلها ومن ضمن هذه النعم أن جعل له الحواس التي بها يستقيم له العيش والاعتقاد الصحيح وهـذه المـدركات الحسية التي يحصل عليها الإنسان هي من أهم الدعائم الأساسية لحصوله على المعرفة الصحيحة واليقين المطمئن وذلك أن دورها لا يقتصر على تسيير أمور الحياة الاعتيادية بل هي أداة مهمة وتعطى نتـائج يجـب أن يوليها المفكر اهتمامه وأن يراقبها ويراقب مـا تعطيـه مـن مـدركات ويربطها مع الوسائل الأخرى التي أنعم الله بها عليه وهي الوحي والعقل والفطرة فإنه إن ضمها جميعاً ووظف كل واحد منها التوظيف الأمثل ولم يتجاوز في استخدام وسيله على حساب الوسائل الأخرى فإنه سيحصـل على المعرفة الصحيحة واليقين المنشود لأنها جميعاً مكملة لبعض وتخدم كل واحدة منها الأخرى .

وسنعرض في هذا المبحث للمعرفة الحسـية وعنايـة الله سبحانه بها وتوجيهه المؤمنين إلى مراعاتهـا وتفعيلهـا وتوظيفهـا التوظيف الأمثل بالإضافة إلى ربطها مع العقل وما تشكله من قـوة عظيمة إذا أعملت معه ويمكن أن نشير إلى أهمية الحواس والمعرفة الناتجة منها من خلال النقاط التالية :

١) اهتمام الإسلام بالمعرفة الحسية

لقد أولى الإسلام الحواس وما ينتج عنها من معـارف عنايـة خاصة وأبرز ذلك من خلال الإشارة إلى عمل كل حاسـة وتنـوع الإشارة وتكرير التنبيه إلى أهميتها ويمكن أن نبرز اهتمام القـرآن بالحواس من خلال الإشارة إلى مسألتين مهمتين : ـ

(أ) الاهتمام الخاص بحاستي السمع والبصر

والقرآن عندما يبرز أهمية هاتين الحاستين لا يعني أنه لا يوجد غيرها من الحواس ولكن ذلك يرجع الى أنه أهم حاستين للمعرفة .

فقد ذكر السمع بلفظ السمع ومشتقاته في القرآن في مائـة وتسعة وثلاثين موضعاً وذكر حاسة البصر وآلتها وما يتعلق بها في مائتين وأربعة وستين موضعاً [١] .

ولا شك أن اعطاء مزيد من الاهتمام لهاتين الحاستين دون بقية الحواس له دلالته المهمة والمعتبرة وذلك كونها أهم أداتين من أدوات الإدراك ويترتب على النظر في معطياتهما معرفة الله سبحانه وتعالى ولا شك أن الإنسان تصعب عليه المعرفـة بـدون السـمع والبصر ويمكن أن يستغنى عن بقية الحواس في الجملة وذلك مـن الناحية المعرفية وليس من الناحية الجسدية النفسية وذلك أن تعطـل حاسة السمع والبصر يؤدي إلى تعطل الإدراك وإمكانيـة التفـاهم وتلقي العلوم واللغة ولذلك كان التنبيه القرآني في محله إلى أهميـة

---

(١) انظر : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح الكردي (٥٤٩) .

هاتين الحاستين وما يؤدي إليه فقدهما من تعطل للمعرفة الحسية فقال سبحان " [illegible] " [1] .

والسمع له تعلق كبير بباب المعرفة أكثر من البصر ولذلك نجد أن الأغلب تقديم السمع على البصر في مواقف المعرفة في القرآن الكريم.

وذلك أن السمع أهم في إقامة الحجة على الخلق ، إذ إن البصر لا يعدو أن يكون وسيلة لإدراك المعجزة وقت مشاهدتها ، ولمن شاهدها فحسب أما السمع فطريقته أعم وأشمل وأطول في مداه وزمانه وذلك انبثاقا من طبيعة الدين نفسه وهي العموم والخلود [2] ولذلك يقول الرازي " فسر الإهتمام بالسمع أنه سبب لاستكمال العقل بالمعارف ، والبصر لا يوقفك إلا على المحسوسات " [3] .

وهاتان الحاستان في العموم تكادان أن تكونا الأداتين الوحيدتين التي ركز عليها القرآن واعتنى بها وفعّل من أدوارها مع عدم إغفاله البقية ولكنه لم يعطها مثل ما أعطى هاتين الحاستين من الأهمية وما رتبه عليهما من المعرفة الحسية .

(ب) توجيه الحواس نحو الكون والتفكر فيه

---

(١) الأنعام الآية (٤٦) .

(٢) انظر : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة : راجح الكردي (٥٥٣) .

(٣) مفاتيح الغيب : الرازي(١/١٨٦) المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٧هـ .

وقد تعددت الآيات والتوجيهات القرآنية التي تحث الإنسان على توجيه حواسه في كل ما في الكون من حوله ومحاولة الوصول من خلال هذه المدركات والمعطيات إلى المعرفة واليقين به سبحانه وتعالى وجعلها وسيلة أصيلة لتقوية إيمانه والقضاء على أي تساؤل قد يدور في ذهنه ويؤدي به إلى الحيرة أو الضـــلالة ومـــن هـــذه الآيات:

قولـــــه تعـــــالى :{ [illegible]

. [1]}

وقولـــــــــه :{ ...

. [2]}

وقولــــــه ســــــبحانه وتعـــــالى { ...

. [3]}

وقولــــــه ســــــبحانه : {إن ...

(١) الأنعام الآية (٩٥-٩٩) .

(٢) الغاشية الآيات (١٧-٢٠) .

(٣) الروم الآية (٢٣) .

⍓✝③♦🕔💣▭ ✆𝓮𝓻&✆⬩❑⬀✈🗄 ③♦➔⬃✆⬂🖫➔❑♌♦{[1]

والآيات في هذا المجال كثيرة ومتنوعة ولا يمكن حصرها ويكفينـــا الإشارة فقط إلى بعضها .

فهذا مثل ضربه سبحانه لمن يعطل ويلغى دور الحـــواس ويمنع منافذ الهداية أمام البصيرة والحق بمثل الذي انطفأت ناره فتاه في الظلمات " لأن من وقع في أرض فلاة في ليلة مظلمة وفقد فيها جميع حواسه لا يمكنه أن يسمع صوتا يهتدي به ، ولا يرى بارقـــاً يؤمه ويقصده ، فهو لا يرجع من تيهه ، بل يظل يتيه في الظلمـــات "[2]

وبهذا نعلم توجيه القرآن الكريم وحثه على اعمال الحواس فيما حولنا من آياته ومخلوقاته حتى نزداد يقينا به سبحانه وتعـــالى وتتكامل لدينا الأركان الأساسية للمعرفة واليقين التام .

٢) الربط بين المعرفة الحسية وبين العقل

سبق وأن أشرنا كثيراً إلى أن الحواس لا يمكـــن أبـــداً أن تستقل بالمعرفة لوحدها وإن كانت تشكل مصـــدراً ورافـــداً كبيـــراً للمعرفة في عمومها ولكن إفرادها كمصدر وحيد يؤدي إلى نتـــائج مضطربة وناقصه مهما توالت مدركاتها ومعطياتها الحســـية لأنهـــا لوحدها قاصرة وبالعقل والوحي والفطرة تستكمل المعرفة ويتوصل إلى اليقين .

---

(١) البقرة الآية (١٦٤) .

(٢) تفسيرالقران العظيم الشهير بـــ"تفسير المنار" محمد رشيد رضا (١٧٢/١) مكتبة القـــاهرة ، مصـــر ، ط: الأولى

ولذلك فقد سبق القرآن الى تأكيد هذه القضية وتعرض لها بإشارات واضحة لمن تكاملت لديه الرؤية ولم يقتصر على طـــرف واحد ونظرة متجزأة لهذه المسألة ويقرر شيخ الاسلام هذه النظـــرة الدينية الشمولية بقوله : " والصحيح أنه لولا العلم بما يدرك بالحوس لما صح أن يعلم الإنسان سائر الأمور ، لكنه لا يعنى أنها مستغنية عن علوم العقل ، بل هو أصل لها ويجب على هذا أن يكون العقـــل قاضياً على صحة العلم بالمدركات لأن به تعلم صحتها ، ولولاه لما علم "(١) .

" والإسلام جعل الإدراكات الحسية أساســـا تقـــوم عليـــه المعارف ، ولكن الحواس لا تحقق وحدها المعرفة المطلوبـــة ، لأن هذه مهمة العقل من خلال مبادئه الفطرية ، فـــالعلم فـــي المـــنهج الإسلامي يتم بتفاعل ثنائي بين الحواس ، والعقل ، فهي بمحصولها من الادراكات والعقل بما فيه من مبادئ أولية يوظفها في تلك المادة الحسية" (٢)

ولذلك فإن الحواس والعقل إذا اتحدا قدما معرفة صـــحيحة في المجال الذي يخصهما "فالحواس تؤدى دورها في تقـــديم مـــادة للعقل ، الذي يقف وراءها ويجعل من هذه الإحساســـات إدراكـــات ومعارف حقيقية " (٣)

وحتى نؤكد اهتمام القرآن بهذه المسألة نجد أنه اتبع عـــدة أساليب في الإشارة إلى ذلك منها :

---

(١) الرد على المنطقيين : ابن تيمية (٩٢).

(٢) مصادر المعرفة : عبد الرحمن الزنيدي (٤٩٩) .

(٣) طريق الإيمان : سميح الزين (١٣) دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

(١) الربط بين عماية القلب والعقل وبين تعطيل الحواس

كقوله سبحانه وتعالى : { [illegible] }[١] وقوله سبحانه : { [illegible] }[٢] .

(٢) ورود العقل والحواس متلازمين في أكثر من موطن

ومنها قوله سبحانه وتعالى { [illegible] }[٣]

وقول سبحانه: { [illegible] }[٤]

(٣) وأخيرا تعقيب الله في آياته في الآفاق وفي النفس مما يدرك بالحواس بألفاظ :

"**يتفكرون** "، "**يعقلون**" ونحوها كقوله سبحانه :

{ [illegible] "

---

(١) الحج الآية (٤٦) .

(٢) الملك الآية (١٠) .

(٣) النحل الآية (٧٨) .

(٤) الإسراء الآية (٣٦) .

[illegible] }[1] وقولـــه تعـــالى : { [illegible] }[2] .

والآيات في هذا كثيرة ومتعددة وإنمـــا اكتفينـــا بالإشـــارة الموجزة هنا لنبرهن على اهتمام الإسلام بـــالربط بـــين الوســـائل المتعددة للمعرفة التي توصل الى اليقين .

ونختم هذا المبحث بالإشارة إلى أن الإسلام فـــي اهتمامـــه بالمعرفة الحسية وتوظيفها في محلها كمصدر يقيني للمعرفة قد سبق الفلاسفة باختلافهم الذين غالوا إما في الجانب العقلـــي واطرحـــوا الحواس وما تشمله من معارف أو اتجهوا إلى الحـــواس وجعلوهـــا مصدراً وحيداً وشككوا فيما وراءها من علوم وقوانين ربانية وعقلية وفي هذا يقول محمد اقبال[3] :" أنه لأمر عظيم حقا أن يوقظ القرآن تلك الروح التجريبية في عصر كان يرفض عالم المرئيات بوصـــفه قليل الغناء في بحث الإنسان" [4]

وفي نهاية هذا الفصل نعلم أن المسلم بمراعاته هذه الوسائل الأربع سيصل إلى معرفة صحيحة ويتأسس لديه يقين كامل وهداية

---

(١) النحل الآية (١٢) .

(٢) آل عمران الآية (١٩٠) .

(٣) شاعر وفيلسوف هندي مسلم توفى عام ١٩٣٨ انظر الموسوعة العربية الميسرة (١٨٣) .

(٤) نقلا عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي : محمد البهي (٤٤٦) .

صحيحة لأنها راعت كل المصادر ووظفتها التوظيف الذي يناسبها بعكس من اقتصر على جانب دون الجوانب الأخرى

ونختم بإشارات من كلام شيخ الإسلام رحمة الله يبـــرهن فيه على صحة أسلوب القرآن والدين عموماً وكونها أفضل وأحكـــم في تأسيس اليقين فيقول : " وأدلة القرآن لا تشتمل الا على حق يقين ، لا تشتمل على ما تمتاز به الخطابة والجدل من أن البرهان يكون مقدمة مشهورة ، أو مسلمة غير يقينية ، بل إذا ضـــرب الله مـــثلا مشتملا على مقدمة مشهورة أو مسلمة فلابد وأن تكون يقينيـــة .... وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال ، من الكفـــار المتفلســـفة وبعض المتكلمة من أن القرآن جاء بالطريقة الخطابية ، وعري عن البرهانية ، أو اشتمل على قليل منها ، بل جميع ما اشـــتمل عليـــه القرآن هو الطريقة البرهانية ، وتكون تارة خطابية ، وتارة جدليـــة مع كونها برهانية ، ولهذا اشتمل القرآن علـــى خلاصـــة الطـــرق الصحيحة ، التي توجد في كـــلام جميـــع العقـــلاء مـــن المتكلمـــة والمتفلسفة وغيرهم ، ونزهه الله عما يوجد في كلامهم من الطـــرق الفاسدة ، ويوجد فيها من الطرق الصحيحة ما لا يوجد فـــي كـــلام البشر بحال".[1]

وفي موطن أخر يذكر أن طريقة الفلاسفة والمتكلمين فيها فســـاد كثير من جهة الوسائل والمقاصد :

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٤٦-٤٧)

" أما **المقاصد** فإن حاصلها خير قليل فهي لحم جمل غث ، على رأس جبل لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ، ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط .

وأما **الوسائل** : فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات ، ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول ، ومقدماتها في الغالب : إما مشتبهه يقع النزاع فيها ، وإما خفية ، لا يدركها إلا الأذكياء . ولهذا لا يتفق منهم اثنان على جميع مقدمات دليل إلا نادرا "[١]

---

(١) المرجع السابق (٢٢/٢) وانظر : إغاثة اللهفان : ابن القيم (٤٤/١-٤٥)

الفصل الثاني دحض حجج الشكاك

وفيه تمهيد و ثلاثة مباحث

- تمهيد .
- المبحث الأول / الشك الهادم.
- المبحث الثاني / تقييم الشك المنهجي .
- المبحث الثالث / مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموما .

تمهيد :

سبق وأن عرضنا حجج الشكاك والطريقة والمنهجية التي ساروا عليها في سبيل الشك أو الدعوة إليه وجعله منهجاً يطالبون بتطبيقه وتعميمه في المعرفة الإنسانية وكان ذكرنا لهذه الحجج اما مجتمعة أو متناثرة أثناء تناولنا كل قضية على حدة من القضايا التي تعرضوا لها.

وسأتناول في هذا الفصل الجانب النقدي لهذه الحجج محاولاً إجراء تقييم عقلي وشرعي لهذه المنهجية في التفكير ومدى صحتها ومطابقتها مع الضرورات العقلية المعتبرة والمنهج الشرعي الإلهي ونحاول ان نقدم النقد الصحيح والمتزن لهذا الحجج والدعاوى ،وسيكون تناولنا لها في هذه المباحث التالية :-

المبحث الأول : الشك المطلق (الهادم)

وهذه الظاهرة هي من أعجب الظواهر الفكرية الإنسانية فهي تقوم على نفي الحقائق في الأصل أو التشكيك فيها وفي وجودها أو جعلها نسبية خاصة بكل فرد على حدة . وقد سبق تفصيل هذا عند ذكرنا لأنواع الشك .

وهذا النوع من الشك بهذه الصورة السلبية الساذجة يكاد يكون معدوماً ومنقرضاً ، بل نستطيع أن نقول إنه منبوذا ومهمشا منذ بدايته اللهم إلا ما حصل من مقاومة شديدة لهذا المذهب حين

ظهوره الأول على يد السوفطائية ومحاولتهم التدليس ونفي الحقائق وقلبها على الناس فاستلزم من فلاسفة ذلك العصر الوقوف الجازم تجاه هذا التيار .

أما ما يتعلق بالفكر الإسلامي وموقفه من هذا التيار الشكي فإنا نجد إهمالاً شديداً لمناقشته أو عرض آرائه بل نجد أن البعض من مفكري الإسلام يحث على عدم مناقشة الشكاك وعدم والتعرض لهم والإعراض عن ذكرهم لأنه لا فائدة من مناقشة هؤلاء الشكاك الذين ينكرون حقيقة الأشياء ويشككون فيها يقول الإيجي " والمناظرة معهم قد منعها المحققون لأنها لإفادة المجهول بالمعلوم ولا يتصور في الضروريات كونها مجهولة ، والخصم لا يعترف بمعلوم حتى يثبت به مجهول ، فالاشتغال به التزام لمذاهبهم ، بل الطريقة معهم أن تعد عليهم أموراً لابد لهم من الاعتراف بثبوتها ، حتى يظهر عنادهم ، مثل : أنك هل تميز بين الألم واللذة أو بين دخول النار والماء ، أو بين مذهبك وما يناقضه ، فإن أبوا إلا الإصرار ، أوجعوا ضرباً وأصلوا ناراً ، أو يعترفوا بالألم وهو من الحسيات وبالفرق بينه وبين اللذة وهو من البديهيات " [١].

وهذا الإعراض من قبل علماء ومفكري الإسلام عن التوسع والتشعب في مناقشتهم ليس عن عجز وهروب وضعف في الحجة وقصور عن نصرة الحق والدفاع عنه بل يرجع بالدرجة الأولى إلى أن هذا من إضاعة الجهد والوقت في مسائل معلوم بطلانها بالضرورة وأصحابها قد لفظهم الزمان ولم يعد يذكرهم

---

(١) المواقف : الايجي (٤٣) .

وهم يواجهون بهذه الأقوال المسلمات العقلية والحسية والأديان السماوية فكان هذا أدعى إلى نبذ الناس لهم ولمعتقدهم الباطل وطي سيرتهم من أن تناقش وتفرد بالذكر . ولو أفردت أو ذكرت تحت أي تبرير أو حاجة لذلك كانت في مقام النبذ والتحقير لا في مقام الذكر الحسن والمعرفة الصحيحة .

وفي هذا المبحث سنحاول أن نرد على بعض الحجج التي ذكروها وشغّبوا بها على الناس معتبرين أنا في مقام البحث العلمي وقد سبق أن عرضنا طرفاً من هذه الحجج فبقي أن نشير إلى الردود عليها وبيان حقيقة تهافتها وسقوطها أمام نور الحقيقة وحقيقة المعرفة التي قامت مع بداية ظهور الإنسان واستخلافه في الأرض وعمارتها.

أولاً : يزعم الشكاك بداية ((أنه لا حقيقة للأشياء)).

وهذا القول في حد ذاته نفي للشك المطلق نفسه لأن استحالة المعرفة والحقيقة في ذاتها استحالة للشك المطلق بالدرجة الأولى ولا يتم على ذلك تحقق للشك إذ كيف يتم هذا الشك ويتصور وأصلاً ليس لدينا معرفة لنشك فيها.

وهذا الشك المطلق لو كان موجوداً وصحيحاً فمعناه إلغاء المعرفة الإنسانية جملة وتفصيلاً وعلى ضوئها تلغى الحياة البشرية كلها وينكر الوجود كله بما فيه وجود الشاك نفسه.

وفي هذا يقول ابن حزم رحمه الله في رده المقتضب على منكرة الحقائق (يقال لهم " قولكم إنه لا حقيقة للأشياء" أحق هو أم باطل؟.

فإن قالوا " هو حق" أثبتوا حقيقة ما ، وإن قالوا" ليس هــو حقاً " أقروا ببطلان قولهم، وكفوا خصومهم أمرهم) [1].

وهذا الإلزام الذي أورده ابن حزم رحمه الله وســائر مــن تعرض لمناقشتهم من أقوى الأدلة في الردّ عليهم فإنه لــو أجــاب بالإثبات وأراد أن ينظم حجة وبرهاناً له فإنه ولابد سيقدم بمقــدمات معينة وهذا يناقض قوله ولو أجاب بالنفي كان فيها ابطــال لقــولهم وفيها أيضاً أنهم وصلوا إلى جواب قطعي أنه لا حقيقة لقولهم وهذا فيه إثبات حقيقة ولهذا فطن " بيرون " اللا أدري للأمر فكان يسكت دائماً.

ويجب أن نشير أيضاً إلى أن الشــك لا يمكــن أن يكــون واقعياً أبداً فحتى هؤلاء الشكاك الذين يجاهرون بالشك ويدعون إليه نجد أنهم مضطرون في واقع الحياة إلى ممارسة دورهم الاجتماعي والمعيشي والتكيف مع الحاجات الضرورية للبقاء وعلى هذا فهــم يدعون الشك جانباً ويمارسون الحياة على حسب معرفتهم بها ، ولا ريب أنهم يعترفون بأن هذه المعرفة معرفة صادقة . خاصــة وأن الإنسان منذ مولده يتلقى انطباعات كثيرة ويكون ارتباطات كليــة ، وعلى هذه المعرفة يباشر شئون حياته وينظم علاقاته بالمجتمع على أسس معرفية وحقائق لا يمكنه أن يتجاهلها أو يشكك فيها [2].

ثانياً: اعتماد الشكاك في شكوكهم على مبدأ خداع الحواس وأنهــا غير دقيقة وتنشئ الأوهام لعدم دقتها وخداعها المستمر .

---

(١) الفصل :ابن حزم (١/ ١٩).

(٢) انظر : مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحمن ، (١٨٣ /١٨٤) .

وهذا ولا شك أقبح الأدلة ويمكن الرد عليه من خلال النقاط التالية :

أ- أن الأصل في الحواس الإصابة وصحة ما تنقل إلينا من مدركات ومعارف واتهامهم لها بالخداع معناه أنها تخطئ وهذا دليل على أنها تصيب وهو الأصل الذي يجب أن نقرره أولاً.

ب- أن هذا الاختلاف الذي يشير إليه الشكاك من ناحية المدركات التي تصلنا من خلال الحواس أو الصور التي نراها على غير الواقع واختلاف الحكم والتصور عليها من شخص لآخر كل هذا إنما هو نابع عن آفة في الحاسة المستخدمة وليس في المحسوس وهذا الشاك ينتقل مباشرة إلى الحكم على المحسوس ويترك الحاسة [(١)].

وقد يكون ذلك الاختلاف الذي تقدمه الحواس من باب التمايز والتنوع وليس من باب التناقض والاختلاف الذي يشكك في معطيات الحواس .

ج- الإنسان في إصداره لحكم لا يعتمد على الانطباع الأولي الذي يأتي من الحواس بل هو ملزم بعرضه على عقله ومدركاته الأولية وخبراته في حياته مع المعارف التي اكتسبها في حياته وعلى هذا فهو لا يصدر أي حكم متعجل بل هو يعتمد على الحواس مبدئياً ثم يقوم هذه المعرفة القادمة منها ويصدر حكماً صحيحاً منضبطاً[(٢)]. وهذا هو الترتيب المنطقي الصحيح أن المعرفة والحكمة الصادرة عن التصورات الحسية المبدأية لابد وأن تعرض

---

(١) انظر : الفصل : ابن حزم ، (١ / ١٨) .

(٢) انظر : الله في الفلسفة الحديثة : جيمس كولنز ، (٧٩).

على العقل بما يحتويه من تراكمات الحياة والخبرة والمعارف الأولية وهؤلاء الشكاك عندما يقتصرون في الحكم على ما تصدره الحواس فقط هو مغالطة ينطلقون منها وهي تتبع الهفوات والقصور في بعض الحواس وتعميمها على المبدأ الحسي عموماً وهذا لا يصح من الناحية المنطقية السليمة .

ثالثا : ويعتمد الشكاك في حججهم على نفي الحقائق عموماً وخاصة المعرفة العقلية وأننا حين نثبت المعرفة العقلية نعتمد على العقل ذاته وبراهينه العقلية وهذا العقل الذي نحتج به يحتاج إلى دليل وبرهان على صحة قيامه بعمله وهذا يوقعنا في الدور العقلي الممتنع.

ويمكن تلخيص الرد عليهم من خلال هاتين النقطتين :

أ- ليس صحيحاً أن كل المعارف بحاجة إلى برهان ودليل حتى نعرف صدقها من كذبها بل هناك قضايا كلية وبديهيات مسلم بها لا تحتاج إلى اعمال ذهن ولا إلى دليل لمعرفة صحتها بل هي مطلقة معروفة بالضرورة مثل معرفة أن الكل أكبر من الجزء ومثل علمنا بعدم اجتماع النقيضين وغيرها من الأمور البديهية . وفي هذا يقول ابن حزم " وهذه هي البديهيات التي لا يجوز أن يطلب عليها برهان إذ لو طُلب على كل برهان برهان لأقتضى ذلك وجود موجودات لا نهاية لها ، ووجود أشياء لا نهاية لها وهذا محال لا سبيل إليه"[(١)].

---

(١) الفصل : ابن حزم ، (١ / ٢٠).

ب- أما قولهم أن هذا يستلزم (الدور) فهذه القاعدة في حد ذاتها هي قاعدة عقلية لا يصح لهم الاحتجاج بها لأنهم ينفون المعرفة العقلية ثم يستخدمونها وهذا في قمة التناقض . [١] .

ثم نقول لهم أن هذه المبادئ التي نعتمد عليها هي بينة بذاتها وواضحة في نفسها وهي لا تستند إلى مبادئ أو أساسيات أخرى ولو قلنا غير هذا وأحوجناها إلى دليل لصدقوا في دعوى الدور وزادوا عليها التسلسل الذي لا آخر له ولكننا ننفي هذا ونثبت مبادئ أولية لا نحتاج إلى براهين أو أدلة .

وقد غفل أفلاطون وأرسطو عن هذا الأمر عند مناقشتهم للشكاك فلم يستندوا إلى هذه المبادئ الفطرية الضرورية وكان يكفيهم اللجوء إلى هذه الحجة وإلزام الشكاك بنفي الضروريات كافية في الرد عليهم وليس هذا مجال الاستطراد فيها ولكن الذي يعنينا هنا أن هؤلاء لو أثبتوا الأوليات الضرورية العقلية لسلموا من التشتيت واللوازم الباطلة .

رابعاً : يعتمد الشكاك أيضاً على الاختلاف في الآراء والأحكام والأنظمة والعقائد الذي يكون بين الأمم والشعوب وأن كل جماعة أو ديانة تعتقد أنها على حق وصواب وأن غيرهم على خطأ وهذا عندهم دليل على أن الحق معدوم وغير معلوم وإلا فمن الذي على حق ومن الذي على صواب .

---

(١) الفصل : ابن حزم ، (١ / ١٨).

والرد عليهم من جهتين :

أ- أن الحق واحد لا يتعدد مهما تعـــددت الأقــوال والاختلافـــات فالحقيقة

واحدة والآراء تختلف بحسب البعد والقرب من هــذه الحقيقـــة وبحسب الزاوية والمنطلق الذي ينطلق منـــه صـــاحب الـــرأي وقاصد الحق وكثرة الآراء وتنوعها لا يلغي وجود حق واحـــد غير متعدد وهو الصواب .

ب- أن الناس عندما اختلفوا لم يختلفوا في المبادئ الفطرية والقواعد الضرورية بل هم في الأصل متفقين علـــى الحقـــائق العقليـــة الضرورية ومتفقون في الأصل على المعبود الواحد الـــذي لا شريك له وهم في الأصل متفقهون على حب الخير والدعوة إليه وكره الشر والتحذير منه وغيرها من الأمور العامة الضرورية عند الأصحاء من بني آدم ولا عبرة لمن غير وبـــدل فطرتـــه ومعرفته لأهداف وأغراض تزول معها هذه الفكرة والاعتقـــاد بزوال الهدف الذي قيلت لأجله.

خامساً : ويحتج الشكاك بأن المعرفة عن شـــيء بعينـــه ليست مستقلة بذاتها بل حتى نصل للحق يجب أن نحيط بكـــل مـــا تتعلق به من أشياء أخرى وبما أن هذا الأمـــر غيـــر ممكـــن لأن العلاقات بين الأشياء لا نهاية لها فعلى هذا فلن نستطيع معرفة هذا الشيء المطلوب.

وهذه الحجة من أوهن الحجج ويكفي في الرد عليها أن نعلم أن حياة الإنسان كلها لا تكفي لمعرفة كل ما يتعلق بشيء واحد فقط ناهيك عن معركة كل ما يتعلق بكل شيء في الحياة.

وقول الشكاك هذا يخالف واقع الحياة فيكفي أن نعلم هـذا الشيء لوحده حتى أقول أني عرفته أما ما يتصل به فهـذه معرفـة زائدة قد أعرفها كلها أو بعضها أو أجهلها وجهلي بما يتصل به هذا الشيء لا يعني جهلي به .

وبعد استعراضنا لهذه الحجج نجد أن فيهـا الكثيـر مـن المغالطات الواضحة فهؤلاء الشكاك يجتهـدون ويصـيحون بعـدم إمكانية الحصول على المعرفة وهم في نفس الوقت يضمنون كلامهم اعترافاً بأن ثمة معرفة ولكن لا يمكن الحصول عليها وهذا ينطوي على معرفة بحد ذاته وهو يتمادى في إنكارها .

يقول عبدالمجيد الرحيم" كما أن استعمال هـذه الألفـاظ " معرفة – استحالة " دليل عليهم فهم القائل لها وهذا الفهم نوع مـن المعرفة ، فالإنسان يستعمل ألفاظاً يعرف أنها تدل على معان معينة ، وهي معان اكتسبها الإنسان بالمعرفة "[١].

وهذا ما أدى بهذه الظـاهرة الشـكية إلـى الاضـمحلال والانقراض فلم تعد موجودة إلا كتاريخ وكحركة هادمـة للمعرفـة نرصدها لمعرفة أسبابها وآثارها دون التعويل على إنتاجها الذي كان سلبياً يهدم ولا يبني ويحطم الأسـس العلميـة للمعرفـة الصـادقة الجـادة.

---

(١) مدخل إلى الفلسفة : عبد المجيد عبد الرحيم (١٩١).

المبحث الثاني : تقييم الشك المنهجي :

وهذا النوع من الشك كما أنه يحتوي علـــى إيجابيــات لا يمكن تغافلها فإنه ينطوي على بعض القصور في المنهج التكــاملي المعرفي كما سنشير لذلك في مبحثنا هذا مسـلطين الضـوء علــى الجانب السلبي والجانب الإيجابي لهذا النوع من المنهجيــة الشـكية للوصول إلى اليقين.

أولاً: وجوب اقتصــاره علــى الأمــور التجريبيــة دون القطعيات الشرعية والعقلية هذا النوع من الشك إذا كان في العلوم الكسبية النظرية التي تكون عن طريق التجربة والاســتنتاج وتعــدد الاختيارات فهو **مستحب ومشروع** ومطالب به الباحث الذي يريــد معرفة يقينية علمية صحيحة لأن في التجريب وتعدد قياس الخيارات والنتائج والمعارف القبلية طريق آمن وصحيح للوصول إلى غايــة البحث وهو اليقين والاطمئنان فعلى هذا يكون الشك مقبــولاً مــن الباحث لأن الأسس والمعطيات التي مارس الشك فيها ليســت مــن المسلمات والأصول التي لا تقبل النظر والشك وتعدد الاحتمــالات، وهذا يقودنا لبيان النوع الآخر من العلوم والمبادئ التي لا يقبل فيها ممارسة هذا النوع من الشك أبداً ألا وهي المبادئ الفطرية والأسس العقلية إضافة إلى الأصول الشرعية الثابتة التي أنزلهــا الله علــى أنبيائه ورسوله . فكل هذه الأصول هي من الجوانب اليقينية الكبرى والتي أعطيت للإنسان بداهة وجبلة أو وحياً غيــر قابلــة للجانــب الاحتمالي الظني الذي يسمح بفرضية التعدد أو الخيارات المتعــددة التي تقبل الاستبعاد ومجرد أن يتطرق الشك إليها عند الإنسان يهتز

عنده الجانب المعارفي من أصوله ويسيطر عليه الشك الهادم والحيرة القاتلة ، ولعل في تجربة الإمام الغزالي خير برهان بصدق هذا الكلام فقد رأينا أنه عندما بدأ الشك في المبادئ الفطرية بداية بالحواس وخداعها ومن ثم انتقل إلى العقل وضرورياته ومثل عليها بالأحلام وبعد هذا انتهى إلى أنه صار يعاد في فراشه لمدة شهرين وصار على حال أهل السفسطة تماماً ورأينا كيف أن علته برأت وصلح حاله بعد أن عاد إلى هذه المبادئ الفطرية الضرورية " حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمر يقين[١]"

وديكارت رأى في تجربته الشكية الافتراضية "أنه لا يشك في أنه يشك ، ولأنه يشك فهو يفكر، وما دام يفكر فهو اذن موجود " [٢].

فهو رجع إلى التفكير وجعله هو الوجود الذي ينطلق منه ويعرف به أنه موجود.

وهذا الجانب من الشك المنهجي مهم جداً وخطير في نفس الوقت فقد يمارس البعض الشك والتشكيك في الجوانب النظرية المتاح الشك فيها والتي تكون دون القطعيات والضروريات لكنه يغلو ويشتد حتى ينتقل تدريجياً إلى هذه المبادئ الفطرية التي لا يقبل المساس بها وهنا ينشأ النوع الهادم المتطرف من الشك الذي يجتث المعرفة من أصولها وقواعدها.

---

(١) المنقذ من الضلال ، (٨٥) .

(٢) التأملات: ديكارت (١١٤) .

ثانياً: عدم إشتراط الإسلام لهذا النوع من الشك هذا النوع من الشك لم يشترطه ولم يطلبه الإسلام بل لم يحفل به كثيراً فالله سبحانه وتعالى عندما أوجد الإنسان في هذه الدنيا أوجد له كل المقومات التي تعينه على المعرفة الصادقة فزود الإنسان بهذة الأداة العظيمة وهي العقل ثم جعله على الفطرة السوية وهي المبادئ والأسس البديهية ثم أعطاه الحواس وما تنقل إليه من أنواع المعارف والمدركات ثم أتبعها بالشريعة والوحي السماوي وجعل دخول الإنسان في هذا الدين يمر بمرحلة سلسلة سهلة في غاية البساطة والوضوح ولا تستلزم إعادة النظر والشك في المعارف السابقة حتى يدخل الإنسان في اليقين بل كان عليه الصلاة والسلام يقبل كل من أراد الدخول في هذا الدين ولا يلزمه بهذه الطريقة الطويلة التي تهدم ما بناه الإنسان وتجعل الوصول إلى الحقائق بعيداً وطويلاً وشاقاً وهادماً لهذه المبادئ الفطرية المغروسة في الإنسان.

ولو افترضنا أنه لا يتطرق لها فإنه ولا شك فيه تضييع لوقت الإنسان حيث يسلك فيه طرقاً عقلية معقدة وطويلة ليرجع آخر الأمر إلى الإيمان الفطري المطلوب بداهة وتلقائياً ولا يحتاج إلى كل هذا التعقيد والتطويل اللفظي والمنهجي .

ثالثاً:لا يسمح به مطلقاً في المسائل العقائدية والشرعية هذا النوع من الشك غير متوافق مع الفطرة البشرية إذا استخدم في المجال التشريعي العقائدي فهو يجعل ممارسة يمر بمراحل من التعقيدات والمعتركات الفلسفية لا يجيدها كل الناس ولا يستطيع خوضها أي أحد من الناس.

فإن الممارس لهذا النوع من الشك في المجال الاعتقـــادي يبذل جهداً كبيراً لأجل أن يوضح أمراً هو واضح بداهـــة وابتـــداء فيضيع الوقت والجهد فيما لا طائلة من ورائه ومن ثم يصعب الأمر على كافة الناس ويجعل الإيمان البسيط إيمانـــاً ناقصـــاً والإيمـــان الفلسفي هو الإيمان الكامل ثم لما تتضح الأمور وينكشـــف الغطـــاء يرجع صاحب هذا الطريق الفلسفي الطويل إلى الإيمـــان الفطـــري البسيط كما أشرنا الى ذلك في الباب الثاني من بحثنا .

ويمكننا القول بعد هذه النقـــاط القصـــيرة أن الشـــك المنهجي وبكل اختصار مرفـــوض تمامـــاً فـــي البـــديهيات والمسلمات التي فرضها العقل والأديـــان الســـماوية وهـــو مطلوب مرغوب في العلوم التجريبية حتى تستبعد الفرضيات الخاطئة لأجل الوصول للإجابة والمعرفة الصحيحة .

المبحث الثالث : مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموما

سبق وأن ذكرنا في ثنايا هذا البحث بعض القضايا والمسائل المتفرقة التي حصل فيها نوع من الشك والإنكار وسنحاول في هذا المبحث أن نفـــرد أهم المسائل التي اثيرت من قبل الشكاك ونحاول بيان الحق فيهـــا مـــن خلال مناقشة الشكاك فيها ومن أهمها ما يلي :-

أولا : الرد على المتكلمين في نفيهم فطرية المعرفـــة ووجـــود الله سبحانه وتعالى

سبق أن قررنا في المباحث السابقة الأدلة مـــن كتـــاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي تجعل توحيد الله واعتقاد الكمال المطلق له من الضروريات التي تـــدل عليهـــا الفطرة الربانية وما كان أمراً ضـــروريا كهـــذا فإنـــه لا يمكـــن الاستدلال عليه .

ولكنهم عند نفيهم لبداهة وفطرية المعرفة والتوحيد التزمـــوا بإيجاب النظر على المكلف حتى يكون موحداً والبعض منهم التزم الشك وجعله هو أول الواجبات على المكلف وقد سبق بيان كل هذا وسنحاول هنا أن نبرهن على خطأ هذا المنهج ألا وهـــو إيجـــاب النظر على المكلف ونبين أن دلالة النصوص الشرعية والمقتضيات العقلية على خلاف ذلك أما أن نستدل على أن التوحيد و الفطـــرة ضرورية فقد بينا استحالة التدليل على ذلك.

فنحن عندما ننظر في النصوص الشرعية وفي منهج النبي في دعوته الناس إلى الإسلام عندما يقبل الداخل في الإسلام نجد أنه

لم يشترط للداخل في هذا الدين " **النظر** " ولم يشترط عليه " **الشك** " فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما بعث معاذاً إلى اليمن قـــال " إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " وفي رواية أخرى " فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله"[١] .

وكذلك قوله " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله ......"[٢] .

وفي هذه النصوص لم يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أكثر من الشهادتين حتى يدخلوا في الإسلام وتعصم بها دماؤهم وأعراضهم وفي هذا يؤكد شيخ الاسلام ابن تيمية أن النظـــر غيـــر مطلوب فيقول " فهذا لا يجب على الصبي أن يفعله – أي النظر – عقب البلوغ ، ولاسيما إذا كان النظر المطلـــوب مســـتلزما للشـــك المنافي لما حصل له من المعرفة والإيمان ، فيكون التقدير : اكفر ، ثم آمن ، واجهل ثم اعرف ، وهذا كما أنه محرم في الشرع ، فهـــو ممتنع في العقل ، فإن تكليف العالم الجهل مما لا يقدر عليه " [٣] .

وقد ادعى بعض المتكلمين أن النظر في معرفة الله واجب إجماعا[٤] وهذا من أقبح الأقوال فقد ذكر الحافظ ابن حجر" اطبـــاق

---

(١) رواه البخاري (١٠٩/٢) ومسلم كتاب الإيمان (١٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٦/٨) .

(٤) المواقف : الإيجي (٢٨) .

أهل العصر الأول على قبول الإسلام ممن دخل فيه من غير تنقيب " [١] .

بل إن بعض أهل الكلام خالفهم في ذلك ومنهم الشهرستاني الذي قرر أن وجود الله سبحانه تعالى ضروري وفطري وقال عـن هذه المسألة " ما عادت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليهـا برهان ، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم قادر عليم " [٢] .

يقول الدكتور/ الزنيدي " والقرآن في دعوة النـاس إلـى العقيدة الصحيحة ، أوقظ في الناس تلك المبادئ الضرورية ليزنـوا بها ما هم عليه من عقائد وما دعاهم إليه ليصـلوا إلـى المعرفـة الصحيحة ، بدون حالة توقف يطالب فيها من الشخص أن يشك في كل شيء ويفرغ عقله ليبدأ من جديد منشئاً معارفه دون هاد أو معين " [٣] .

وبهذا يتبين لنا أن معرفتنا وتوحيدنا بالله سـبحانه وتعـالى ضروري بديهي وأنه لا يصح أبداً أن نشترط على المسلم أن ينظر أو أن يشك حتى يصح إيمانه ويقبل، وأن هذه التزامات عقليـة لـم يأمر بها الشرع ولم يحث عليها وبهذا تنتفي هذه الحجة ويثبت الحق بأمر الله .

---

(١) فتح الباري : ابن حجر (٧/١) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية (٣٩٦/٧) .

(٣) مصادر المعرفة : الزنيدي (٨١) .

ثانيا : الرد على الشكاك في نفيهم الاستقراء واطراد نتائجه

علمنا حينما استعرضنا أنواع الشك أن هناك من الشكاك من يرفض الاستقراء جملة أو يقبله كمنهج ولا يعتبر الاطراد فيه يقيناً بل يعتبر النتائج الموصلة مجرد احتمال لا يرقى لليقين أبداً .

ونحن هنا يمكن أن نجمل الرد عليهم في النقاط التالية :

١- أن الاستقراء منهج رباني مطرد النتائج في الكون كله بمشيئة الله سبحانه وتعالى وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله " قد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع، والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار " والاعتبار" أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه "[١].

ويقول رحمه الله في موطن آخر " لا ريب أن الحس يدرك المعينات أولاً ثم ينتقل منها إلى القضايا العامة ، فإن الإنسان يرى هذا الإنسان وهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ، ويرى أنه حساس متحرك بالإرادة ناطق، وهذا كذا، وهذا كذا، فيقضي قضاءً عاما، أن كل انسان حساس متحرك بالإرادة ناطق "[٢].

٢- إننا حين نحكم باطراد الاستقراء ويقينه نرى أن هذه ضرورة قادتنا إليها الضرورة العقلية لاستفاضة نتائج الاستقراء وشهرتها وعلى هذا فنحكم بيقينيتها في العموم ليقينية جزئياتها

---

(١) الرد على المنطقين (٢ / ١٠٦) ، تحقيق رفيق العجم بيروت دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م .

(٢) مجموعة التوحيد (١ / ٤٨) ، نشر إدارة البحوث الإسلامية ، الرياض . بلا تاريخ .

ويؤكد هذا شيخ الإسلام بقوله عن القضايا الاستقرائية المشـــهورة " من حيث هي مشهورة تفيد التصديق والإقناع والاعتقاد ..." [١].

وعلى هذا فمن ينكرها يلزمه إما أن يعتقد ضروريتها كما اعتقدناها أو يحكم بأنها صدفة ولا يمكنه ذلك جزماً فإن الصـــدفة لا يمكن أن تطرد في كل شيء وعلى هذا فليس لهم مفر سوى الإذعان لنتائج واطرادات الاستقراء واعتبار يقينها .

٣- ولا تصح أبداً الدعوى التي أتى بها الـــبعض حينمـــا أثبت الاستقراء وجعل مستنده الحس والتجربة لأن ذلك يفضي وبلا شك إلى الدور الباطل حيث يكون أساس الاستقراء محتاجـــاً إلـــى استقراء آخر وهذا باطل.

والصحيح أن الاستقراء مبني على مبدأ العلة من حيث هو مبدأ فطري ضروري وهو أن لكل حادثة إذا وجدت فلابد أن يكون لها سبب وفي هذا يقول ابن تيمية " والعلم بأن المثلـــين ســـواء وأن الأكثر والأكبر والأعظم يعلم ببديهة العقل "[٢].

٤- والشكاك في نفيهم الاستقراء ونتائجـــه يقعـــون فـــي تناقض شديد فهم يجتهدون في نفي الاطراد الناتج عـــن الاســـتقراء وعلى هذا فلا يمكنهم القول بأي قـــوانين علميّـــة يقينيـــة فيلجـــأون للاعتراف به دون قناعة منهم به يقول هيوم "انني مثلك علـــى أتـــم اقتناع بأن خبرة المستقبل يمكن قياسها على خبرة الماضي ، لكنني مقتنع بذلك باعتباري إنساناً مثلك يسلك ليعيش ، وأمـــا باعتبـــاري

(١)الرد على المنطقين (٢ / ١٠٨) .

(٢) نقض المنطق (٢٠٦)، تصحيح محمد حامد الفقي بيروت المكتبة العلمية ، بلا تاريخ.

فيلسوفاً له نصيب من التطلع – ولا أقوى من التشكك – فإني أبحث عن هذا الأساس ما هو "[1].

٥- ولا يصح استدلالهم بأنه من الممكن عقليـاً أن تـأتي نفس الحادثة التي عملنا عليها الاستقراء في المستقبل بنتيجة مغايرة لأننا لابد أن نعلم أن حقيقة الشيء هي بخصائصه المميزة له عـن غيره فإذا اختلفت هذه الخصائص فإنه يكون شيئاً آخر غيـر الأول الذي اعتمدنا عليه أثناء الاستقراء لكنه ما دام ذاته بخصائصه الثابتة فإننا نجزم يقيناً بصحة نتائج الاستقراء التي توصلنا إليها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " إذا اثبت أن الوصف المشترك مستلزم للحكم كان هذا دليلاً في جميع العلوم"[2] ، ويقول أيضاً " إن القياس حيث قام الدليل على أن الجامع مناط الحكم، أو على إلقاء الفـارق بين الأصل والفرع، فهو قياس صحيح، ودليل صحيح في شيء كان "[3].

---

(١) دايفد هيوم، لزكي نجيب محمود ، (٧٧).

(٢) الرد على المنطقين ، (١ /١٢٩) .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .

ثالثا: الرد على الشكاك في إنكار مبدأ السببية أو العلية :

كما أشرنا في الباب الأول من هذا البحث أن الشـــكاك ينكـــرون السببية ويمكن مناقشتهم كالآتي :

١- سنقرر الموقف الإسلامي من السببية فقد جاء القرآن الكريم يوضح أن الله سبحانه وتعالى خلق ما في الكون كله وهـــو المبدع له سبحانه وتعالى بنظام دقيق وحكمة بالغة ونحـــن نشـــاهد تتابع الزمان ودقة صنع الله سبحانه وتعالى وهذا الارتباط المتناسق في الكون لم يأت عبثاً وإنما هو ارتباط سببي يعطينا دلالة واضحة على أن لكل شيء مسببات جعلها الله سبحانه وتعالى بعلمه وبمشيئته وقدرته ليسير هذا الكون بكل انسجام وانظر لقوله سبحانه وتعالى :

⌀🖎♏⬀❽⬉③ ⅄✐🙥✃ ◻♌❒🕮 ♦❷⬩✍ ⬄🏱⬩♐◉❒🕮}
←✃🙞🙠♐◉☒⬩⬉③ ▪☠➔🏱 🙥ॐ🖅🙥❑♦☒⬝
⌚⬉🕮🡅✃⍄➔⬂♑⬩⑥ ▪☠➔🏱 ⌚←❍◆☪⬀❹♦🖅
🙟✠⇳⑩♦❑⬂♐🙥✃ ❽◆❸♦✋⬩▫ 🙥✡✌🕭☒🖎↓❻
⑥⬩③⬂❷⬉●← ✌🙞♊⇳ ⌘🖎◼■⌚✃🙧🕮🙞🕗}[1] ، فقد رتـــب وجود المطر على السحاب كعلاقة سبب ومســـبب بـــل إن الآيـــات الأخرى تأتي فيها باء السببية لتؤكد هذا المعنى كما في قوله سبحانه وتعـــــــــالى : { ❍⍄☹◻⌀✃ ◑🙧❶⬩✃✐ 🕮❒🕭⬩◘❋☼💣⇳
←❍⌚◻✡⬂◑←♒ ☪⬩🙥⬩◑🙞🏱 🙥ॐ🖅🙥⍄⬩⍄♒
🙥◆☪⬂♐♦❽☼❒🕯⬩▫ 🖃💣⌀♒⓿◻✌ 🖮🙥⬩✃♦⌛🙞♐
🙥◻✡⇳♉♦❷⬀⌘❒🕯⬩▫ ◆⬈✐🙥⍄☺⬂♐🙥✃ 🙞❍🙧🖅
🖅🙧❍🙞🕗 ✌🙞♊ 🖎⬈✍♏✍ ✃🙥♐✞◻☺⍄❷♦⌚☠🙞 }[2]

، وقد علق شيخ الإسلام - رحمه الله- على هذه الآية بقوله " ومن

---

(١) النور ، آية (٤٣).

(٢) الأعراف ، آية (٥٧).

قال إنه يفعل عندها لا بها ، فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع "[١].

٢- لا يمكن أبداً أن نورد أي مناقشة تفصيلية لأدلتهم لمن ينكرها لأنه أنكر مبدأ فطرياً ضرورياً لا يمكن الاستدلال عليه وإنما يستدل به وتأكيداً لهذا فقد بين شيخ الإسلام – رحمه الله- أنه لا يمكن الاستدلال على مبدأ السببية وبين أن ذلك يناقض طبيعة العقل الفطرية وبين أن من ادعى ذلك فقد خالف الضروريات فلا يمكن حينئذ الرد عليه، لأن قبوله للحجة أو ردها لابد أن يستند إلى المبادئ الفطرية فإذا كان قد نفاها لم يكن له أن يناقش ، وإنما يبين وجه تناقضه ومخالفته لتلك المبادئ الفطرية[٢].

٣- كما نشير إلى أن كثيراً من الفلاسفة التجريبيين قد تولوا بأنفسهم الرد على من أنكر العلية من التجريبيين أنفسهم ومن أمثلة من ردّ عليهم أنشتاين[٣]الذي يقول " إن نتائج ميكانيكا الكم هي تعميم عقلي للعلية في أشد صورها كمالاً "[٤].

٤- بل إن المنكرين للسببية مقرون بها ضمناً، ومعتمدون عليها في بحوثهم وإن غيروا الأسماء أو حتى أنكروها[٥] وأصدق

---

(١) العقدية التدمرية : ابن تيمية (١٣١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل:ابن تيمية (٣ / ٣١٠) ، الرد على المنطقين : ابن تيمية (١٢٧/١).

(٣) عالم أمريكي أسمه ألبرت انشتاين درس العلوم الطبيعية واشتهر بنظرية النسبية ونال جائزة نوبل عام ١٩٢١م ، انظر : دائرة المعارف الحديثة (١ / ٢٣٥).

(٤) انظر : مصادر المعرفة للزنيدي (٥٤٩)وانظر أيضاً مبدأ العلة لمارتن هذغر (٥)وما بعدها ، ترجمة نظير جاهل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٢هـ ٢٠٠١م.

(٥) انظر : مدخل جديد للفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، (١١٠)، وكالة المطبوعات الكويتية الطبعة الثانية ، الكويت .

مثال على ذلك أن هيوم عندما يجعل السببية راجعة إلى العادة وهذا يستلزم فكرة السببية وفي هذا يقول جان قـال (١٨٨٨-١٩٧٤) [١] عن هيوم: " لقد اعترف هيوم بطريقة ضمنية بصحة مبـدأ العليـة، لأن العادة والتوقع هما علتا فكرتنا عن العلية "[٢].

٥- أما الذين أثبتوا السببية من التجـريبيين وأرجعوها للاستقراء والتجربة" فقد وقع في التناقض ، إذ جعل مبـدأ السـببية متوقفاً على الاستقراء، لكنه جعل الاستقراء مع ذلك متوقفـا علـى السببية، وهذا دور ممتنع معلوم البطلان بالضرورة، وذلك أنـه إذا جعل تحقق مبدأ السببية متوقفاً على الاستقراء فلا يمكن أن يدل مبدأ السببية على الضرورة، وإنما يدل حينئـذ علـى مجـرد الإمكـان والاحتمال ، فلا يمكن أن يكون أساساً للاستقراء " [٣].

٦- وأخيراً فإن من يتهم من يثبت السببية بأنه مشـرك أو مبتدع فلا شك أن هذا ناتج من سوء الفهم وذلـك" أن إرادة العبـد وقدرته إذا اعتقد كونها سبباً في وجود فعله لم يكن في ذلك تعارض مع كون الفعل مخلوقاً لله تعـالى ، لأن الله هـو خـالق الأسـباب والمسببات وتقدير الله ألا يوجد الفعل إلا بقدره وإرادة جازمة مـن العبد لا ينافي ذلك، بل هو مقتضى التكليف، بحيـث يكـون للعبـد مشيئة الفعل أو الترك"[٤].

---

(١) فيلسوف فرنسي معاصر من أبرز كتبه ((بحث في الميتافيزقيـا)) انظـر : أعـلام الفلسـفة :روني الفـا (١٣١/١).

(٢) طريق الفيلسوف (١٨٧) ، ترجمة أحمد حمدي محمود مطابع سجل العرب القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد الله القرني (٤٣٧).

(٤) المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد الله القرني (٤٨٤).

ويؤكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله " إن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القـدرة المحدثة، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة ، كما خلق النبات بالمـاء، وكمـا خلق الغيث بالسحاب ، وكما خلق جميـع المسـببات والمخلوقـات بوسائط وأسباب فهذا حق ، وهذا شأن جميع الأسباب والمسـببات، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً وإلا فيكـون إثبات جميع الأسباب شركاً" [١].

(١) مجموع الفتاوى (٨ /٣٨٩- ٣٩٠).

رابعا : الرد على الشكاك في نفيهم للواقع الخارجي للأشياء :

وذلك أنهم أنكروا أمر ضرورياً ويقينياً وتناقضوا مع الفطر السليمة وأهم القواعد الحسية المعتبرة فهم يزعمون أن وجود الشيء لا يعني إلا كونه مدركاً فقط ولا يمكننا أن نقول عن الشيء إلا أنـــه مدرك فقط دون التجاوز إلى الحكم بوجوده وهذا الشيء غير ممكن وغير معقول البتة لأنه لا يمكن أبداً الفصـــل بـــين الشـــيء وبـــين معطياته الحسية إذ هما حقيقة واحدة لا حقيقتان مختلفتان وإلا فكيف يمكن تصور معطيات حسية موجودة لذاتها لا ترتبط بحقيقـــة لهـــا وجود مستقل [١].

وهم عندما يفرقون بين وجود الأشياء وإدراكهـــا ينكـــرون أمراً ضرورياً لا سبيل إلى إنكاره أو الاستدلال عليه فلا يمكننـــا أن نقيم لهم دليلاً على خطأهم ونسرد أدلة على أن الشيء موجود بنـــاء على الإدراكات المعطاه لنا لأننا هنا نستدل على أمـــر ضـــروري والقضايا الضرورية والبديهية لا يمكن الاستدلال عليها كما بينا ذلك مراراً ولأن في ذلك نوع عبث واتعاباً للذهن فيمـــا لا طائـــل مـــن ورائه.

ولا شك أن جعلهم عجزنا عن الاســـتدلال لهـــذا الوجـــود الخارجي هو قمة الجهل والمغالطة ولذلك يقـــول تومـــاس ريـــن[٢] (١٧١٠-١٧٩٦م) :

---

(١) انظر : المعرفة في الإسلام ، د/ عبد الله القرني (٣٥٣) .

(٢) فيلسوف اسكتلندي من أهم كتبه " محاولات في القوى الفاعلية " انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة : يوســـف كرم (١٨١) ، دار المعارف بدون تاريخ .

" محال أن نفسر السبب الذي من أجله نـــوقن بمـــدركات حواسنا، إن هذا اليقين قاهر، إنه صوت الطبيعة ، وعبثـــاً نحـــاول معارضته، وإذا أردنا أن ننفذ إلى أبعد منه ونطلب إلى قوة من قوانا السبب الذي يبرر ثقتنا بها، وأن نعلق هذه الثقـــة إلـــى أن تبديـــه، فيخشى أن تسوقنا هذه الحكمة المسرفة إلى الجنون "[1].

وقبل هذا فقد بين شيخ الإسلام ابـــن تيميـــة – رحمـــه الله– أن المسائل الضرورية لا يستدل لها ولا يمكن الشك فيها "[2].

ومما يثير العجب أن هيوم وهو من أهم من أنكر الواقـــع الخارجي الأشياء هو ممن ينادي بأن الحواس هي المصدر الوحيـــد للمعرفة كما نقلنا عنه كثيراً من هذه النقولات أثناء هذا البحـــث ولا يستقيم أبداً جعله الحواس مصدراً وحيداً للمعرفة وإنكـــاره للواقـــع الخارجي وجعله الوجود هو الإدراك مع أن وسيلة الإدراك الأساسية هي الحواس .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم (١٨١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٣١٠) .

الفصل الثالث : حكم الشك في المسائل الاعتقادية

وفيه تمهيد و مبحثان

- **تمهيد .**
- **المبحث الأول / ضوابط يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم على المسلم .**
- **المبحث الثاني / المسائل التي دخلها الشك والحكم فيها.**

تمهيد :

وفي هذا الفصل سنبين حكم الإسلام فيمن شك أو أنكر شيئاً من الأمور اللاعتقادية وسنحاول قبل أن نعرض للأحكام الشـــرعية التي ترتبت على الشك أو الإنكار لبعض مسائل الـــدين أن نوضـــح بعض الأمور التي يجب مراعاتها وأخذها بالاعتبار قبـــل إصـــدار الأحكام على الناس وقد رأيت أن أضع هذه الأمور والضوابط فـــي مبحث مستقل يكون كالتمهيد والتوطئة والإيضاح للأحكام التفصيلية التي ستأتي بعده ومن ثم سأشرع في تبيين بعـــض المســـائل التـــي حصل فيها شك أو إنكار فيما له علاقة ببحثنا وموضوعنا وســـأبين حكم الإسلام فيها وكلام أهل العلم من أهل السنة والجماعـــة وقـــد اعتمدت كثيراً على آراء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما له من القدم الراسخة في هذا الباب ولما حصل في عهده من نزاع وافتراق ومناظرات متعددة بالإضافة لاستقرار الفرق على مذاهبها وآرائهـــا في القرون المتقدمة عنه فكانت الرؤية لديه واضحة فيمـــا يتعلـــق بآرائهم ومعتقداتهم وقد جعلت هذه المسائل في مبحث مستقل وبينت الحكم فيها وهو المقصود بيانه والعناية به في هذا الفصل .

المبحث الأول : ضوابط يجب مراعاتها قبل إصـــدار الحكـــم على المسلم

في هذا المبحث رأيت أنه لابد من الإشارة السريعة لبعض المسائل التي يجب أن نراعيها ونضبطها حتى يكون حكمنا منصـــفاً وصواباً على المخالف وذلك وفق الضوابط والأصول الشرعية التي جاءت بها الشريعة وقررها علماء أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع المخالفين ويجب أن نؤكد أنهم قد وضـــعوا ضـــوابط مؤصـــلة ومتعددة في الحكم على المخالف ولن نستقصيها في هذا المبحث لأن ذلك ليس موضوع بحثنا ولكنا سنعرج على ما يتعلـــق بموضـــوعنا بإشارة والماحة سريعة ستكون كافية إن شاء الله سبحانه وتعالى في بيان المقصود وتقرير المسائل المتعلقة بموضوعنا الذي نحن بصدد تقريره . ومن أهم المسائل التي يجب أن نراعيها ما يلي:

أولاً : التفريق بين الحكم العام وبين الحكم على المعين .

والحكم العام : هو الحكم على القول أو الفعـــل بـــالكفر أو عدمه على وجه العموم والإطلاق بدون تسمية شخص معـــين أمـــا الحكم على المعين فيعني : الحكم على المعين نفسه بالكفر أو عدمه بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع في حقه .

وهذه المسألة : هي من صميم العدل والإنصاف الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى بمراعاته مع المسلمين ومع غيـــرهم فقـــد قـــال ســــــبحانه وتعـــــــالى { ❐◆•• ③♦↗⇳❷▩✎♦☪☐⌛→☠⬀
⅄☒✡☐★♦☙♌↖ ♧•❑⬀✈✎ ↖♦✍■❼✁ 🕮❐•·

◆❑➔♎ ☎✁❑⬀♐♋⑨⇧⬉☞✁ 🗐 ☎✁❑⬀♐♋⑨⬃➔⬧✍
. [1]{ 🗏❽◆❑⬂◑✸☝🖬♋♐ ⮊⊗♦❷⬂♎❑🕮

وهذا التفريق مأثور بين سلف الأمة وعلمائها[2] وخاصة الإمام أحمد بن حنبل الذي ابتلي وامتحن من قبل المعتزلة وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "ولهذا أطلق الأئمة القول بالتكفير، مع أنهم لم يحكموا في عين كل قائل بحكم الكفار،بل الذين امتحنوهم وأمروهم بالقول بخلق القرآن، وعاقبوا من لم يقل بذلك ،إما بالحبس والضرب، أوالإخافة وقطع الأرزاق، بل بالتكفير أيضاً ، لم يكفروا كل واحد منهم ، وأشهر الأئمة بذلك الإمام أحمد ، وكلامه في تكفير الجهمية، مع معاملته مع الذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف"[3]

ويقول في موطن آخر " وكنت أبين لهم ـ أي مخالفيه ـ أن ما نقل لهم عن السلف والأئمة من اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق ، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين .... وكذلك سائر ما ورد : من فعل كذا فله كذا . فإن هذه مطلقة عامة ، وهي بمنزلة قول من قال من السلف "من قال كذا فهو كذا ،

---

(١) المائدة آية (٨) .

(٢) انظر : ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة : د/ عبدالله القرني دار عالم الفوائد ط: عالم الفوائد ط: الثانية ١٤٢٠هـ .

(٣) بغية المرتاد : ابن تيمية (٣٥٤ـ انظر : شرح الطحاوية : ابن أبي العز (٣٦٦/١) .

ـ انظر أيضاً : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : هبة بن الحسن اللالكائي (١٦٢/١) تحقيق : د/ أحمد سعد حمدان الغامدي دار طيبة للنشر والتوزيع ط: الأولى : ١٤٠٩هـ .

ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيــه : بتوبــة ، أو حســنات ماحية ، أو مصائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة " [١] .

ثانياً : ثبوت قيام الحجة على المعين .

وهذه المسألة من أهم المسائل التي يجب مراعاتهــا فقــد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لإقامة الحجة على الناس كمــا قــال ســـبحانه : {♦×✓⧄✉☞ℯ❶⊠➔⇖✌ ☜□☪↗✍ ☜♦✌◆❒ ❍⊠☹✹✓⌧▤ ☼♦⧗⇗➔⊠❅⊠ ❻◆♎⇐❑⬩☪} [٢] وكمــا قـــال ســـبحانه أيضـــاً {▫⬩❶⊠✍ℯ♎❷⬀ ☽⧄♌ ☼❅▦⊠➔⊠☀● ♎ ✃☜✐⚐♏♎✍⬂❷♦❽▤} [٣] قال الحسن البصـــري " تـــذكره للمؤمن أو حجة على الكافر " [٤] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" ويراعى في المسلم اختلاف أحوال الناس ، من حيث قرب عهدهم بالإسلام أو قدمهم فيه ، ومن حيث انتشار العلم في بلدانهم ، أو قصوره عنها ، كما يراعي حــال السنة التي جحدها الجاحد من حيث ظهورها وخفاؤها ، فإن كانــت السنة خافية ، أو البلد ينتشر فيه الجهل ، أو كان الشــخص قريــب عهد بإسلام ، أو لم يبلغه العلم بالسنة،

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٣/٢٣٠ – ٢٣١) .

(٢) الأعلى آية (٩) .

(٣) الإسراء آية (١٥) .

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/٢٠) .

اشترط فيه قيام الحجة ، وإلا ينظر هل تعلقت بجحده شـبهه أو لا "[1].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " ولـيس لأحدٍ أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط ، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنـه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة ، وإزالة الشبهة "[2] .

وقال أيضاً بعد أن ذكر أقوال الجهمية في نفي الصـفات " وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف والأئمة تكفيراً مطلقـاً ، وإن كان الواحد المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها " [3]

ثالثاً : عدم الحكم على لازم القول ومقتضاه .

وهذه المسألة من أدق المسائل وأهمهـا حيـث أن بعـض المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة والمصـادمين لكثيـر مـن القواعد الشرعية يلزم على قولهم عـدة لـوازم كفريـة لكـنهم لا يلتزمونها ونحن لا نكفرهم على هذه اللوازم ولا نلزمهم بها حتـى يلتزموها فإن التزموها فيمكن الحكم على القول بالكفر دون صاحبه ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمـه الله " فالصـواب أن مـذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه ، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت إضافته إليه كذباً عليه .... ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم

---

(١) منهج ابن تيمية في مسألة التفكير : عبدالمجيد المشعي (٢١٣/١) مكتبـة أضـواء السـلف ط : الأولى ١٤١٨ـــ ١٩٩٧م .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤٦٦/١٢) .

(٣) المرجع السابق (٣٥٢/٢) .

تكفير كل من قال عن الاستواء أو غيره من الصفات إنه مجاز ليس بحقيقه ، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة ، وكل من لم يثبت بين الاسمين قدراً مشتركاً لزم أن لا يكون شيء من الإيمان بالله ومعرفته والإقرار به في الآخر ، ولازم قول هؤلاء يستلزم قول غلاة الملاحدة المعطلين ، الذين هم أكفر من اليهود والنصارى لكن نعلم أن كثيراً ممن ينفي ذلك لا يعلم لوازم قوله "[١] .

رابعاً : اعتبار العذر الشرعي للمخالف .

ومن يخالف مذهب أهل السنة الذي نعتقد جزماً أنه مذهب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإننا لا نحكم عليه أبداً بكفر أو فسق أو بأي حكم حتى ننظر للعذر الذي لديه وقال بهذا القول لأجله .

وهذا ولا شك مذهب رباني أقامه النبي صلى الله عليه وسلم عملياً في تعامله مع أصحابه ومع مخالفيه والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى وسنذكر طرفاً منها عند ذكرنا لأهم الأعذار المعتبرة شرعاً ومنها :

(أ) ـ الجهل :

والجهل بالحكم الشرعي أو بأصل المسألة وأدلتها من أهم الأمور التي يجب مراعاتها واعتبارها وقد قال سبحانه وتعالى : ♦×⇦✎❻✐⓿✡⇖✁◆❒ ♦×⇦✍❸✎♏⌑♦⌛❿✁ ⌖☒←ꝏ❿❻ }

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٢٠/٢١٧- ٢١٨) .

❼■✍♦⇖ ✌□✍□☪◘♋♑ ♦♌❑➚▤♦③ ·☒⍓◎♋♑
▤ ✍✍←♋❾❷♑✍✂ ⍓⑨⇙➔♦✍ ✌◘⊙➚⇖❍ ★✐✍✂
✍✞☺⑩✍▤⍓❍ ✂◷❽③♋❿♦⇖ ✦✐✍✂ ♦♌♎☒✍♦❒
{ [1] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت النبي " مهما يكتم الناس يعلمه الله ؟" [2] ويعلق على هذا الحديث شيخ الإسلام بقوله " فهذه عائشة رضي الله عنها سألت النبي هل يعلم الله كل ما يكتم الناس ؟ فقال لها النبي : نعم ، وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك ، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة..."[3].

ويقول في حكايته لبعض من ناظره من مخالفيه " ولهذا كنت أقول للجهمية ، من الحلولية ، والنفاه ،الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش ، لما وقعت محنتهم : أنا لو وافقتكم كنت كافراً ، لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال . وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم ، وشيوخهم وأمرائهم ، وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في القصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له "[4] .

(ب)- التأول:

---

(١) النساء (١٦٥) .

(٢) رواه مسلم (٦٤/٣) كتاب الجنائز .

(٣) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤١٢/١١) .

(٤) الرد على البكري وهو تلخيص لكتاب الاستقامة : ابن تيمية (٢٥٩) الدار العلمية للطباعة والنشر ط : ١٤٠٥هـ .

وهو من أهم الأعذار التي يعتذر بها لمن خـــالف أهـــل الســـنة والجماعة فهؤلاء المخالفين يتأولون الكثيـــر مـــن الأمـــور الاعتقاديـــة والشرعية عموماً.

والعذر بالتأول له أصل شرعي كما قـــال ســـبحانه وتعـــالى "
❑◆⬧⑩⇘▪“ ⇙◆◘■❶⇘⌛→☠⇗ ♉⇖☪◆◊⌧⌀◻⚗❶☺⌧◊✍
🕮❑⌘⬀⬩◘☐✍➔⚐ ⬩⬩❍❍⌚ ❑◆⬧⬩⏲≣⬳♊ ✌☐◊
✍⬧➔⌧☺❍⌧⑨⌧☠⇳ ♁➔◘➔☐⬩←≣⬈☠⬀ 🗐 "[1] ، وفي هذا يقـــوم ابن تيمية " وعلى هذا فالمتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية ، وإن كان في قوله بدعه يخالف بها نصاً ، أو إجماعاً قديماً ، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه ، كمـــا يخطـــئ المفتـــي ، والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده ، يكون أيضاً مثاباً من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى ، غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه وإن كان معفواً عنه "[2] .

(ج)- الخطأ:

وهو من الأعذار المعتبرة التي راعتها الشريعة الإسلامية كما قال سبحانه "
❑◆⬧⑩⇘▪“ ⇙◆◘■❶⇘⌛→☠⇗ ♉⇖☪◆◊⌧⌀◻⚗❶☺⌧◊✍
🕮❑⌘⬀⬩◘☐✍➔⚐ ⬩⬩❍❍⌚ ❑◆⬧⬩⏲≣⬳♊ ✌☐◊
✍⬧➔⌧☺❍⌧⑨⌧☠⇳ ♁➔◘➔☐⬩←≣⬈☠⬀ 🗐 " [3]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[4] ،

وهذا الخطأ يشترط فيه ثلاثة شروط :-

---

(١) آية الاحزاب (٥) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٧٢/١٩) .

(٣) آية الاحزاب (٥) .

(٤) رواه الترمذي (٢١٦٧) كتاب الفتن وقال حديث غريب .

- **الأول: أن يكون قصده متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **الثاني: أن يكون استفرغ وسعه في طلب الحق.**
- **الثالث: أن يكون متبعاً دليلاً شرعياً.**

ويقرر العذر بالخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله " وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفقد الحق فالخطأ لا يكفره بل يغفر له خطؤه ، ومن تبين له ما جاء به الرسول ، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ، ومن اتبع هواه ، وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ، ثم قد يكون فاسقاً ، ثم قد تكون له حسنات ترجح على سيئاته"[١].

ونحن هنا لم نتتبع كل الأعذار والضوابط في الحكم على المخالف بل أردت أن أشير إلى أمور وقواعد عامه حتى يتضح بها الكلام حين نحكم على بعض المسائل التي أنكرت أو شك فيها

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤٥/٨) .

المبحث الثاني

المسائل التي دخلها الشك وحكم من شك فيها

تمهيد :-

وقبل أن نبين هذه المسائل وحكم الإسلام فيهـا أنبـه إلـى أن المسائل التي حصل فيها الشك أو الإنكار في الدين كثيرة ومتنوعة ولكني سأقتصر في هذا البحث على المسائل المتعلقة بموضوعنا والتي أشـرت إليها أثناء البحث ، مراعياً المسائل الكلية بعمومهـا دون الـدخول فـي تفصيلها وما يلزم من الإنكار أو الشك فيها لأن هذا باب واسـع كبيـر ويكفينا الإشارة فقط إلى حكم الإسلام فيها وما قرره علماؤنا وسلفنا بمـا ورثوه من علم ونور القرآن والسنة ، وسيكون مـدار بحثنـا هنـا فـي المسائل التي خولف فيها الشرع والدين دون الإشارة إلى حكم الإسـلام فيمن أنكر وجود المعرفة والحقيقة في ذاتها لأن هذا قول لا يلتفت له ولم يعره القرآن ولا السنة ولا علماء الأمة أدنى اهتمام لمخالفته للمعلوم في العقل والدين بالضرورة ، ونحن عندما نحكم في هذه المسائل يجـب أن نراعي الضوابط والأصول التي قررناها في المبحث السـابق لترابطهـا ولأن الجمع يكمل المعنى ويؤدي للمقصود بعون الله سبحانه وتعالى.

أولاً: حكم من شك فيما ثبت بالكتاب والسنة:-

وهذا الرد لما ثبت في القرآن والسنة ليس على درجة واحدة بل هو على درجات ومراتب متفاوته بين أهل العلم ، وبينوا هــذا مــرارا وأكدوا عليه فالرد يمكن جعله على المراتب التالية:-

المرتبة الأولى:-

من رد شيئاً منها ولكنه غير متصور للرسالة والدين ولم تبلغه الدعوة وهذا بلا شك يدخل في عموم من لم تبلغه الحجة والدين ، وفيــه يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " والكفر المعذب عليه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة[1] ".

المرتبة الثانية: -

أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة معرضاً وهو متصــور لهما ولكنه انصرف عنه فهذا كفر ولا شك في ذلك وفي ذلك يقــول الله تعـــــــــــالى " ❒◆◗⚲❶•✁ ♎⚯⑩✍• ▭❍●←☠⬀
✍•➔⍄✍◙⤷•❑⬀✁☎ ◗⚲🖫■❼🗐 ✌◆✍✎ 🕮❒☼❽◆✌◆
✁✍◙⤷❷▪♒←❑✌☞ ❻◆🕮❒③⬃☀💣✿ ✦❒◆◗⚲🖫■❼ ✁
✁✍◙⤷⊠☺←☪◆🕔▦⚯◗☞✓×◆ ③◆🕔⍝⑨❻❒♌◆ ⬉◆☪①✿
🕒←⑨←❒⑩✡✁ [2] " ، ويقـــــول ســـــبحانه أيضـــــــاً "
❒◆✁✍✎⤭⚯⇦×◆ ☝☞⊠▦⊠❷⬉❒✁☎ ⬉◆☺❍✍✎
🕮⬆☼⓿☞❻⬇❒✁☎ ✌⬉➔⬃❷⨷⇛➔❑♌◆ [3] ".

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٧٨/٢) .

(٢) النساء (٦١).

(٣) الأحقاف (٣) .

المرتبة الثالثة :-

أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة متصوراً لها ولكنه ليس معرضاً عنها بل هو في ريب وشك فهذا كفر أيضاً كما قال سبحانه وتعالى " [illegible] "(١) .

المرتبة الرابعة :-

أن يكون الراد لما ثبت بالكتاب والسنة مؤمناً ببعضها كافراً بالبعض الآخر وهذا كفر أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان متلازماً وكفر الله هذا النوع بقوله سبحانه وتعالى " [illegible] (٢) "

ويقول سبحانه أيضاً " [illegible]

(١) التوبة آية (٤٥).

(٢) النساء آية (١٥٠-١٥١).

" (١)"

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك " كما أن من آمن بشيء من الكتب المنزلة ، وكذب ببعضها كان كافراً خارجاً عن دين الإسلام ، فإن دين الإسلام يتضمن الإيمان بجميع الكتب ، وجميع الرسل ، وجميع ما أخبرت به الرسل[٢] "

كما ذكر رحمه الله أن الرهبان مع زهدهم وعبادتهم وإيمانهم بكثير مما جاء به الرسل ، بل جمهورهم يعظمون الرسل ويعظمون أتباعهم ، لكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به ، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض فصاروا بذلك كافرين[٣].

ثانياً :- حكم من شك في المتواتر والإجماع :-

والإجماع الذي نعنيه هنا هو الإجماع القطعي الموافق للنص المعلوم بالتواتر عن سلف الأمة من الصحابة أو القرون المفضلة[٤] ، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه ، كما يكفر مخالف النص بتركه ، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به ، وأما العلم بثبوت الإجماع في مسألة لا

---

(١)البقرة آية (٨٥) .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٩٣/٣) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية (١٧١/١١).

(٤) المرجع السابق (٢٦٧/١٩) ، (١٠/٢٠) .

وانظر أيضاً مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات لابن حزم (٧) دار الكتب – بيروت – بدون تاريخ .

نص فيها فهذا لا يقع ، وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره ، وحينئذ فالإجماع مع النص دليلا كالكتاب والسنة " [1] .

وقد قال سبحانه وتعالى " ❒◆✌♦♊ ④🡐♦⌖✍◆♉🔔♎📪🖉 ✂♐♍♏❷▪♏❑🡐♏✌♦ ✌♎♊🖎 🖅➔⇗⑨♎ ✌◆♐ ✍⬩✌♦✓❑×♦ ✎⬩📖⇖ ✂♐♍♏⇘♑🡐⑨⏶❽▤ ❒◆③♦☞✸♌♋➚⇳ ⬊⊠❷⇗❸◆ ♏⊠♌♑⓿✍⇗ ✂♐♍♏⇘☺🡐⬩⇗✌♎♌♎♓✓×♦ ☼🡐❑◆✐♐♏♎♉ ✌◆♐ ✍⬩❑◆🖫✸❼🗐 ❒◆☼🡐⚫⇔✂♌♉♎⚫ ♉♌⊠♑⊠✡☐☠⌘ ☎ ❒◆♏⊠✐♐⇗◆☠⇳ ✌◆⚪⬁❷❸⚪✂"[2].

وعن هذه الآية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " وهذه الآية تدل على إن إجماع المؤمنين حجة وأن مخالفتهم مستلزمه لمخالفة الرسول ، وإن كل ما أجمعوا على فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول ، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانهما مما بين الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص البين [3]"

ولما بلغ الإمام أحمد أن رجلاً يقول : إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة ، غضب غضباً شديداً ، ثم قال : من قال : إن الله عز وجل لا يرى فهو كافر وماذا يصنع في قول الله جل ذكره :" ❒⇖♉⇖❑■⋖ ③◆❑⇗✌♦⬦✐⓿🖮 ☼✸♏♎⬁❸◆❑⬊ ✍✂✂⭍ ♐♌🖫■❼🗐 ❻◆🖩♒✐✐❑♏ ☼◆♏🡐♎❷◆❑⋖ [4] " وقال عز وجل " ✍⊠⊠🖎 ♌♐☐✠♐⇙☠⇗ ⇖◆♊ ❻▪🖩♒✐✐☠⇗

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٧٠/١٩) .

(٢) النساء (١١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٩/٧).

(٤) القيامة (٢٢-٢٣) .

③♦❑⬀✌❑♦⬧⬥♦⬧✍⓿⌨ ✈⌗☼◘⬩⬄⬀→❑⬅❑ℌ♦ [1] ". وهذا دليل على أن المؤمنين يرون الله عز وجل[2].

ثالثاً : حكم من شك أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة .

والمعلوم من الدين بالضرورة هو ما لا يسع أحداً من المسلمين إنكاره أو الشك والتشكيك فيه لأنه بإسقاطه أو إنزاله من مرتبته التي وضعها الله ورسوله له لا يبقى شيء من الدين ويكون سقوط ما دونه في المرتبة الشرعية أولى .

ولا شك أن من أنكر أو شك في شيء من ذلك فهو كافر بلا نزاع عند المسلمين ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكفر كل من أنكر صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه أو أنكر الملائكة وجعلها هي العقول العشرة وأن العقل رب ما سواه أو نفى علم الله وقدرته ومشيئته وجعل وجود العالم فيض فاض عن العقل الفعال المدبر وكذلك من يسقط التكليف من الصوم والصلاة والحج والزكاة ويستبيح ما حرمه الله وكذلك من عطل النبوة والرسالة ولم يقر بها ومن جعلها فيضاً فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره وكذلك من وصف النبوة والأنبياء بما لا يليق كمن جوز على النبي الكذب او فاضل بينه وبين غيره وكذلك من أنكر معاد الأبدان وجعل العذاب او النعيم على الروح فقط[3] .

وقد مررنا على هذه الأقوال ونسبناها لقائليها في أثناء هذا البحث بما لا داعي من إعادتها هنا ولكن يكفينا أن نعلم ان كل هذه

---

(١) المطففين (١٥) .

(٢) الشريعة : محمد بن حسين الآجري (٢٥٤) تحقيق : محمد حامد الفقي ١٣٦٩هـ.

(٣) انظر الفتاوى (١٧/٤٤٧-٤٤٨) (٢٧/٤٦٣-٤٦٤) الصفدية : ابن تيمية (٢/٢٨٧-٢٨٨) تحقيق : محمد رشاد سالم مكتبة ابن تيمية ط : الثانية ١٣٩٦هـ .

الامور مما هي كفر مخرج من الملة وأنها من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يسوغ لأحد انكارها أو التشكيك فيها .

رابعاً :- حكم من شك في الأسماء والصفات :-

والإيمان بأسماء الله وصفاته مما هو معلوم من الدين بالضرورة ومذهب السلف في الأسماء والصفات هو اثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم ونفي ما نفوه عنه سبحانه وتعالى كما قال الله في كتابه " ⊠⑩⬩♐⊠⑩▪“ ◆❑➔♎◆❒ ☎ ⌧➚⇦⑥⌧★ 🕗♉❍♒⬛⬃⧫♉☺⌧🖎 ✂🙦♐⧄⑩♉☺❍❍♐🙦✂ ➔❸❷⬀🕐⧫🖮⊠♐🙦✂ "[1]".

وهم يحكمون أن من نفاها عن الله سبحانه وتعالى فهو كافر[2].وتكفير من ينفي الصفات مأثور من السلف والصحابة فإن الصحابة لما سمعوا عمن ينفى القدر وينفي علم الله سبحانه تبرؤا من هذه المقالة وردوا عليها .

كما أن الأئمة مالكاً والشافعي وأحمد وغيرهم قد نصوا على كفر هؤلاء[3].

وفي هذا يقول الامام أحمد :" من زعم أن علم الله تعالى واسماءه مخلوقة فقد كفر بقول الله " ⌑⬩☺◳⌶⇳ ■⧫♎✐♉▪🖮◳ ⌑♉⓿❍♉♒♉⌶🖎 🖃➔⧫⬀⑨♉♒⧫🙦 ⌶◳♎✐➚⧫🖰⌧

---

(١) الشورى آية (١١).

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة الأهل السنة : اسماعيل بن محمد التميمي (٢/٤٠٤) تحقيق الجزء الأول د: محمد ربيع المدخلي الجزء الثاني : د/ محمد بن محمود ابو رحيم دار الراية ط : الأولى .

(٣)انظر: السنة : عبدالله بن أحمد (٨/٢٨٨-٤٣٠) تحقيق محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ،ط : الأولى ١٤٠٦هـ

✌♋♊⌘ ✃♐♏♌⚐➔♋⚑◘▫⚐✍ (١) " أفليس هو القرآن ؟ ومن زعم أن علم الله تعالى واسماءه وصفاته مخلوقة فهو كافر ، ولا شك في ذلك ، اذا اعتقد ذلك وكان رأيه ومذهبه ديناً يتدين به كان عندنا كافراً" (٢) .

وفي تقرير ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " فمن قال : إن ما علم الله كعلمي أو قدرته كقدرتي ، أو كلامه مثـــل كلامـــي ،او ارادتـــه ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضـــبي ، او استواؤه على العرش كاستوائي او نزوله كنزولي ، او إتيانه كإتيـــاني ، ونحو ذلك ، فهذا قد شبه الله ومثله بخلقه تعالى عما يقولون ، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر ومن قال : إن الله ليس له علم ، ولا قـــدرة ، ولا كلام ، ولا مشيئة ، ولا سمع ولا بصر ، ولا محبـــة ولا رضـــى ، ولا استواء ، ولا إتيان ولا نزول فقد عطل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وألحد في أسماء الله وأياته وهو ضال خبيث مبطل بل كافر(٣) "

خامساً :- حكم من شك في كفر اليهود والنصارى .

وكفر اليهود والنصارى معلوم بالضرورة الشرعية كمـــا قـــال ســـبحانه عـــن اليهـــود " ❒◆✍☼⇦❑✃☎ ✌♋♊ ♎⌛⬀✍⇖
⓷○⬄✌◆▦⬂☞♋⬖⬅❑♍♒⇖◆✍■❼ ✃♐✎⚠♎♋⇦✕◆
♐❑✌ ☠➔♎◆⬈✎♐⬔♉ ♐○☺■◘⬧▫ ☎✃❒⇖❷☒▦☒✍
⇖◆❷◆▫➔❑✃☎ 🗎⬧▦☒❷⇖❒✃☎ ✉♋❍♋⌚ 🗐
▫⬧◘■➔⬀☪◆❑➔ ✃♐✎★ ⇖◆✍■❼

[illegible] "[1] . وقال سبحانه عـن النصـارى " [illegible] [2].

ولا شك أنه لا يقبل من أحد ديناً غير دين الاسـلام كمـا قـال سـبحانه " [illegible] "[3] وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هـذه الامـة يهـودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كـان مـن أصـحاب النار[4] .

ويقرر شيخ الاسلام هذه المسألة بقوله " كما أن الفلاسفة ومـن سلك سبيلهم من القرامطة والإتحادية ونحوهم يجوز عنـدهم أن يتـدين الرجل بدين المسلمين واليهود والنصارى ، ومعلوم أن هذا كلـه كفـر باتفاق المسلمين فمن لم يقر باطناً وظاهراً بأن الله لا يقبل دينـاً سـوى الاسلام فليس بمسلم ومن لم يقر بأنه بعد مبعث محمد صـلى الله عليـه وسلم لن يكون مسلماً الا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً فليس بمسلم . ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه صلى الله عليـه وسـلم بـدين اليهـود

---

(١) البقرة آية (٨٩) .

(٢) المائدة آية (٧٣) .

(٣) ال عمران (٨٥).

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان (١٣٩) .

والنصارى ، بل من لم يكفرهم وبعضهم ، فليس بمسلم باتفاق المســـلمين "[1] .

سادساً :-حكم من جعل الشك هو أول الواجبات على المكلف :-

وهذا من أقبح المسائل التي أتى بها أهل الكلام وقد سبق أن بينا أن هذا لم يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عن الصحابة ولا عن أحد من سلف الامة واشـــتراط هذا الأمر ولا شك كفر واضح وقد نقل الحافظ ابن حجر " عن القرطبي قوله " لو لم يكن في علم الكلام الا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقـــاً بالذم :-

أحدهما : قول بعض منهم إن أول واجب هو الشك اذ هو اللازم لوجوب النظر أو القصد الى النظر.

الثانية : قول جماعة منهم : من لم يعرف الله بالطرق التي رتبها أهـــل الكلام لم يصح ايمانه .

والقائل بهاتين المسألتين كافر ، لجعله الشك في الله تعالى واجباً ومعظم المسلمين كفاراً وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة[2].

خاتمة البحث :

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية (٤٦٣/٢٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٤٥/٥) .

انتهيت من دراستي للشك وآثاره واسبابه وعلاج الإسلام له وقد توصلت في نهاية البحث الى النتائج التالية :-

١- عظم أهمية تناول هذا الموضوع وخطورتـــه علـــى المعرفـــة عموماً وعلى الجوانب الإعتقادية خصوصاً حيث انـــه يـــرتبط بأساس المعرفة والتدين ووجود كل ذلك من عدمه .

٢- الجناية العظيمة التي جنتها الفلسفة وعلم الكلام على موضـــوع المعرفة والجوانب الإعتقادية حيث أنها أقحمـــت نفســـها فـــي مجالات دينية وشرعية ليست من إختصاصها .

٣- تبين لي الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة اليونانية علـــى وجـــه الخصوص في الفكر الإسلامي حيث فتن بها مجموعة كبيـــرة من أهل الكلام والمذاهب الإسلامية الآخرى وجعلوها بديلة أو مساوية للأصول الإسلامية الصحيحة .

٤- فضل منهج أهل السنة والجماعة وموافقته لأصـــول المعرفـــة العقلية والحسية وتأصيله لجانب الفطرة وثماره المتعددة علـــى الفرد والمجتمع .

٥- ان الفرق الكلامية الاسلامية عند نفيها لكثيـــر مـــن الأصـــول الشرعية تنطلق من منطلقات فلسفية وعقليـــة وتفـــرض علـــى منهجها وطريقتها قواطع وأقيسه عقليه تعارض بها النصـــوص الشرعية والمسلمات العقدية .

٦- أن الشك بأقسامه قد أدى الى آثـــار واخطـــار عظيمـــة علـــى المستوى المعرفي عموماً وعلى المعتقدات الدينيـــة خصوصـــاً ويظهر ذلك جلياً عند الفرق الكلامية والفلســـفية حيـــث بنـــت

منهجها على هذه الأصول والقت بآثارها على معتقداهتم ورودوهم على أهل السنة والجماعة .

٧- أن الفلسفة والاصول الكلاميه هي السبب في ورود الشك في الثقافة الإسلامية حيث أن الأصول القرآنية والأحاديث النبوية ترفض هذه الطريقة من التفكير وتأصل اليقين بالأسلوب القرآني الذي يجعل حياة الإنسان الخاصة والعامة في طمأنينة ووضوح سواءً على المستوى المعرفي أو النفسي .

٨- التناقض عند أهل الفلسفة وعلم الكلام فما يثبتونه في موضع ينفونه في موضع آخر ولذلك كثرت ردودهم فيما بينهم وأدى بهم ذلك إلى الحيرة والإضطراب ورجوع كثير منهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

٩- لم يقتصر تأثير الشك على الجانب المعرفي والإعتقادي فقط بل تعداه إلى الجوانب التشريعية والأحكام الدينية فألقى بآثاره عليها وأدى إلى المنادا بتعطيل تحكيم الشريعة وإذابة الفوارق الأصلية بين المسلمين وغيرهم .

١٠- أن الأصول والحجج التي قام عليها الشك عموماً هي حجج ضعيفة لا ترتقي إلى هز وزعزعة الأصول اليقينية التي وهبها الله للإنسان سواءً الشرعية منها أو العقلية أو الحسية .

فهرس الآيات

الاية	السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
[illegible]	إبراهيم	١٠	٢٤٨

الاسراء	٨٨	٢٢٨
الاسراء	١٢	٢٣٤
الاسراء	٣٦	٢٦٤
الإسراء	٥١	٢٤٣
الإسراء	١٥	٢٩٨
الاعراف	٥٤	٢٣٤
الاعراف	١٧٢-١٧٣	٢٥٠

الاعراف	٥٧	٢٨٩
الأعراف	١٥٨	٢٣٨
الأعلى	٩	٢٩٨
آل عمران	١٩٠	٢٦٥
آل عمران	٦١	٣٠٩
الانبياء	٢٢	٢٤٣
الانعام	٥٩	٢٣٢

الانعام	٢	٢٣٣
الانعام	٦١	٢٣٥
الانعام	٣٢	٢٣٨
الانعام	٤٦	٢٥٩
الانعام	٩٥-٩٩	٢٦١

الأنعام ٦٠ ٢٤٤

الأنعام ٩٥ ٢٤٤

الانفطار ١٢ـ١٢ ٢٣٥

ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ

البقرة ٢ ٤

البقرة ٤٦ ١١

البقرة ٢٣ـ٢٤ ٢٢٨

كيف

البقرة ٢٨ ٢٣٤

البقرة ١٧٩ ٢٣٩

ان فـــــــي

البقرة ١٦٤ ٢٦١

البقرة ١٧-١٨ ٢٦٢

البقرة ٨٥ ٣٠٥

التكاثر ٥ ١٢

التكاثر ٧ ١٢

التكاثر ٥ ١٣

التكاثر ٥ ١٤

التوبة ٤٥ ٣٠٥

الجاثية ١٣ ٢٣٨

الحاقة ٥٠ ١٢

الحاقة ٥١ ١٤

الحاقة ١٢-١٧ ٢٣٥

الحج ٤٦ ٢٣٩

السورة	الآية	الصفحة
الحج	٤٦	٢٦٤
الحجر	٩٩	١٣
الحجر	٩٩	١٣
الحجر	٢٦	٢٣٣
الذاريات	٢٠	١٣
الذاريات	٥٦	٢٣٤
الرعد	٤	٢٤٢
الروم	١-٢-٣	٢٢٦
الروم	٢٤	٢٣٧
الروم	٣٠	٢٤٩

الروم ٢٣ ٢٦١

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ

السجدة ١٨ ٢١٥

السجدة ٧ ٢٣٣

السجدة ٢٧ ٢٣٨

الشورى ١١ ٣٠٩

ص ٢٩ ٢٣٨

طه ١٣٣ ٢٢٤

طه ٥٤ ٢٣٩

طه ١٢٤ ٣٠٤

الطور ٣٢ ٢٣٩

النص	السورة	الآية	الصفحة
[illegible]	الطور	٣٥-٣٦	٢٤٠
[illegible]	العلق	١-٥	٢٣٢
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ	العنكبوت	٢٠	١٥٠
[illegible]	العنكبوت	٥١	٢٢٥
[illegible]	الغاشية	١٧-٢٠	٢٦١
[illegible]	الغافر	٥٧	٢٤٤
[illegible]	الفجر	٥	٢٣٩
[illegible]	فصلت	٣٩	٢٤٥

القصص ٦٠ ٢٣٨

القيامة ٢٢ـ٢٣ ٣٠٧

المؤمنون ١١٥ ٢٣٣

المؤمنون ٩١ ٢٤٣

المؤمنون ٨٤ـ٨٩ ٢٤٧

المائدة ٨ ٢٩٧

المطففين ١٥ ٣٠٧

الملك ٢ ٢٣٤

الملك	١٠	٢٦٤
النجم	٢٧-٢٩	٨٧
النحل	١٢	٢٣٧
النحل	١٠-١١	٢٤٢
النحل	٧٨	٢٥٢
النحل	٧٨	٢٦٤
النحل	١٢	٢٦٥

النساء ١٥٧ ١٤

النساء ١٦٥ ٣٠٠

النساء ٦١ ٣٠٤

النساء ١٥٠-١٥١ ٣٠٥

النساء ١١٥ ٣٠٦

[illegible]	النمل	٦٥	٢٣٢
[illegible]	النور	٤٣	٢٨٩
[illegible]	الواقعة	٩٥	١٤
[illegible]	الواقعة	٥٩-٥٧	٢٤١
قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِـــي الآيَـــاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ	يونس	١٠١	١٥٠
[illegible]	يونس	٩٤	٤

فهرس الأحاديث

طرف الحديث **الصفحة**

نحن أحق بالشك من ابراهيم	١٢
ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة	١٠٠
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	٢٠٠
من بدل دينه فاقتلوه	٢١٢
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث	٢١٢
والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة	٢١٢
يا عدي هل رأيت الحيرة	٢٢٧
كيف بك يا سراقة إذا تسورت سواري كسرى	٢٢٧
يا عدي هل رأيت الحيرة ؟	٢٧٧
مهما يكتم الناس يعلمه الله	٢٩٧
" إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب	٢٧٦
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله	٢٧٦
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة	٣٠٥

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	الصفحة
ابن فارس	١
ابن العربي	١٣٨
ابن خلدون	٢٢٤
ابن عربي	١١٢
أبو جعفر السمناني	١٦٧
أبو علي الجبائي	٩٤
أبو هذيل العلاف	١٠١
أبو هشام الجبائي	٩٤
أرسطو	٢٧
أفلاطون	٢٧
أكسيلاس	٣٠
أكسينوفان	١٦
أناسيداموس	٣٢
أنشتاين	٢٨٧
أوغسطين	٤٠
الإيجي	١٥٨
آير	٧٦
باركلي	٤٨
بارميندس	١٧
برتراندراسل	٥١
بروتاجوراس	٢٠
توماس رين	٢٩٠

توماس رين	
توماس هوبز	٤٧
الجاحظ	٣٩

جان ٢٨٨
الجرجاني ٥
جوجياس ٢٢
جون لوك ٤٦
الجويني ٦
الحلاج ١١٨
دحلان ٨٢
ديفيد هيوم ٤٨
الرازي ١٠
سبينوزا ٤٨
سقراط ٢٦
السنوسي ١٦١
شارون ٤١
الشاطبي ١٤٤
الشهرستاني ١٠٧
عمرو بن عبيد ١٠٠
الغزالي ٣٩
الفارابي ١٥٠
فرانسيس بيكون ٦١
فولتير ٧٤
القاضي عبدالجبار ٩٤
كارنب ٧٦
كارينارس ٣١
كانت ٥١

مالبرانش
محمد رشيد رضا ١٢٤
محمد عبده ١٢١
مونتاني ٤٠

ميرسين ٤٥
ميلسيوس ١٨
النظام ٣٩
نلزبور ٢٨٧
نيتشه ٥٢
هملتون ٥٥
هوسرل ٦٥
هيراقليطس ١٦
وليم جيمس ٧٥

الطوائف والفرق

المصطلح	رقم الصفحة
الوضعية المنطقية الحديثة	٧٥
إخوان الصفا	١١٧
العصرانية	١٢٠

فهرس المراجع

- ابن تيمية والتصوف : مصطفى حلمي دار الدعوة ط : الثانية
- أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده – مهرجان الغزالي في دمشق مارس ١٩٦١ – بحث بعنوان رجوع الغزالي إلى اليقين .
- اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر : حمد صادق الجمال دار عالم الكتب ط : الأولى ١٤١٤-١٩٩٤م
- أثر السوفسطائية على بعض شكاك أوروبا في العصر الحديث ". رسالة مقدمة من دعاء وجدي محمد فهيم للحصول على درجة الماجستير في الآداب عين شمس (مصر) تخصص فلسفة إشراف : سعد عبد العزيز حباتر ، ١٩٩٥م .
- الاجتهاد والحكم الإسلامي ، محمد احمد خلف الله ، مجلة العربي ، عدد ٣٠٧ ، رمضان ١٤٠٤هـ .
- احياء علوم الدين : الغزالي دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ
- أخبار الحلاج : لويس ماسينيون باريس ١٩٣٦م .
- الأخلاق عند كانت : عبدالرحمن بدوي وكالة المطبوعات ، الكويت
- آراء أهل المدينة الفاضلة : مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الإرشاد الى قواطع الادلة في أصول الإعتقاد : ابو المعالي الجويني تحقيق محمد يوسف موسى ، علي عبدالحميد ، مكتبة الخانجي ، مصر ، بدون تاريخ .
- أساس التقديس : تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، مكتبة

الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـــ ـــ ١٩٨٦م .

- الاستقامة : ابن تيمية : تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط : الاولى ١٤٠٤هـــ .
- الاستقامة : ابن تيمية :. تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط : الاولى ١٤٠٤هـــ .
- الاستقراء والمنهج العلمي : محمود فهمي زيدان دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط : الأولى ، ٢٠٠٢م.
- أسس الفلسفة: السيد عبد الرحمن ، دار الحكمة ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٢م
- الأسس المنطقية للاستقراء :محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة.
- أسس اليقين في الفكر الدين والفلسفي يوسف محمد دار الحكمة ط الأولى عام ١٢١٤-١٩٩٣م
- الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت دار الشروق ١٩٩١م .
- الإسلام والعقل : لصلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديدة بيروت، ط الثانية ، ١٩٧٦م
- الإسلام يتحدى ، مدخل علمي إلى الإيمان : وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ومراجعة عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، ط الثالثة (١٣٩٩هـــ ـــ ١٩٧١م) .
- إسلامي في طريق التجديد محمد سليم العوا، المكتب الإسلامي ، بيروت ط الثانية.
- الإشارات والتنبيهات : ابن سينا بشرح الطوسي تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ،ط : الثالثة

- أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ، مطبعة التأليف بمصر ، ط : الأولى ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٨م .
- إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ محمد عبده د / محمد صالح السيد دار قباء ١٩٩٨ م .
- الاعتصام للشاطبي المكتبة التجارية الكبرى ، مصر
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :فخر الدين الرازي،تعليق:محمد المعتصم بالله البغدادي الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الاولى١٤٠٩-١٩٨٨م .
- الاعلام : خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت ، ط السادسة ١٩٨٤م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري تحقيق د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، طبع معهد البحوث واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط : الأولى ١٤٠٩- ١٩٨٨م
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : ابن القيم تحقيق: مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الاقتصاد في الاعتقاد : الغزالي، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، المكتبة الحديثة.
- الاقتصاد في الاعتقاد :الغزالي دار الكتب العلمية بيروت ، ط : الأولى ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م
- اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ، تحقيق : ناصر العقل مكتبة الرشد ط: الثالثة١٤١٢هـ_٢٠٠٠م .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل :أبو بكر الباقلاني ، تحقيق / عماد الدين حيدر ط : الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ،

١٤٠٧هـ ــ ١٩٩٧م .

- أين الخطأ : عبدالله العلايلي دار الجديد بيروت ، ١٩٩٢م .
- باركلي : يحيى هويدي، دار المعارف – مصر .
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد تحقيق موسى بن سليمان الدرويش مكتبة العلوم والحكم ط: الأولى ١٤٠٨هـ .
- تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا : مطبعة المنار، مصر بدون تاريخ .
- تاريخ العلم : جورج سارتون ترجمة توفيق الطويل وآخرين : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد علي أبو ريان دار المعارف الجامعية الاسكندرية ط الرابعة ١٩٨٥م .
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م.
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م
- تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم دار المعارف ، ط الخامسة .
- تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم ، دار المعارف بدون تاريخ
- تاريخ الفلسفة الغربية : برتراندرسل ، ترجمة : زكي نجيب محمود ومراجعة أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط الثالثة ، ١٩٧٨م .

- تاريخ الفلسفة اليونانية : ماجد فخري دار العلم للملاين ط : الأولى ١٩٩١م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ، طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنسية : محمد عبد الرحمن مرحبا. مؤسسة عز الدين ، ط الأولى ، ١٩٩٣م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي : مصطفى النشار دار قباء ، ١٩٩٨م .
- تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق أمانويل كانت ، ترجمة :عبد الغفار مكاوي منشورات دار الجمل
- التأملات في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت ترجمة عثمان ، أمين مكتبة القاهرة الحديثة ، ط :الثانية ، ١٩٥٦م .
- تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترابي ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .
- التجديد في الفكر الإسلامي : عدنان محمد أمامة دار ابن الجوزي ، ط : الأولى١٤٢٤هـ
- تحرير القواعد المنطقية : قطب الدين الرازي دار إحياء الكتب العربية طباعة عيسى البابي الحلبي ، مصر
- التدمرية :ابن تيمية تحقيق : محمد السعوي ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥هـ
- التراث والتجديد : حسن حنفي القاهرة ١٩٨٠م .
- التصوف المنشأ والمصدر : احسان الهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور ط :الأولى بدون تاريخ .
- التصوف والمنشأ : احسان الهي ظهير إدارة ترجمان السنة،

لاهور بدون تاريخ .

- التعريفات : الجرجاني تحقيق إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي
- تفسيرالقران العظيم الشهير بـــ"تفسير المنار" محمد رشيد رضا مكتبة القاهرة ، مصر ، ط: الأولى
- تفسيرالقران العظيم المشهوربـــ (المنار) دار الفكر بيروت ط : الثانية ١٩٧٣م .
- التفكير الفلسفي في الإسلام : الدكتور سليمان دنيا مكتبة الخانجي ، مصر ط: الثالثة ١٣٨٧هــ-١٩٦٧م
- التفكير الفلسفي في الإسلام : سليمان دنيا ، مكتبة الخانجي ، ط : الأولى ١٣٧٨هــ ــ ١٩٦٧م .
- تمهيد للفلسفة : محمود زقزوق ، دار المعارف ، ط الخامسة ، ١٩٩٤م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب
- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة: عفاف مختار مكتبة الرشد ١٤٢١ ــ ٢٠٠٠م
- تهافت الفلاسفة للغزالي تقديم وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان بدون تاريخ
- جامع البيان عن تأويل آي القران : دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥- ١٩٨٤م
- الجامع في تاريخ الأدب العربي : حنا فاخوري دار النهضة العربية ١٩٩٠م
- الجبائيان أبو علي وأبو هشام : علي فهمي ط : الأولى طرابلس –

ليبيا – بدون تاريخ .
- الجهاد في الإسلام : البوطي دار الفكر المعاصر بيروت ط الأولى ١٩٩٣م .
- جهم بن صفوان لخالد العسلي بغداد ، مطبعة الإرشاد ١٩٦٥م .
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة الأهل السنة : اسماعيل بن محمد التميمي تحقيق الجزء الأول د: محمد ربيع المدخلي الجزء الثاني : د/ محمد بن محمود ابو رحيم دار الراية ط : الأولى .
- الحريات العامة في الإسلام ، راشد الغنوشي مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط : الأولى ، عام ١٩٩٣م .
- الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي د / سامي نصر لطف. مكتبة الحرية الحديثة بلا تاريخ
- الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي : سامي نصر لطف مكتبة الحرية الحديثة بدون تاريخ .
- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ، تأليف عبد الرحيم السلمي ، دار المعلمة للنشر والتوزيع ط : الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠١م
- الحقيقة في نظر الغزالي : سليمان دنيا ، دار المعارف ، ط : الخامسة ، بدون تاريخ .
- الحيوان : الجاحظ ، تحقيق : أبو العلاء عفيفي ، بإشراف : طه حسين ومراجعة إبراهيم مدكور ، ط : دار الكتب ، ١٩٦٧م .
- خريف الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م
- خصائص التصور الإسلامي : سيد قطب دار إحياء الكتب العلمية،

ط : الثانية القاهرة ١٩٦٥

- الخصائص العامة للتشريع الإسلامي:يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٥م
- الخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون : محمد غلاب الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢م.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ
- دراسات في الفرق ، صابر طعيمة ، مكتبة المعارف ،بدون تاريخ
- دراسات في الفلسفة المعاصرة : د . زكريا إبراهيم مكتبة مصر بدون تاريخ .
- دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية : عبد القادر صوفي ، دار أضواء السلف ، ط الأولى ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .
- الدرر السنية في الرد على الوهابية أحمد دحلان ، ط : الخامسة ، ١٤٠٥هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- ديفيد هيوم : زكي نجيب محمود مكتبة المعرفة ١٩٨٦.
- ديكارت :عثمان أمين : دار المعرفة الجامعية – القاهرة – ١٩٩٤م
- ديكارت والفلسفة العقلية: راوية عبد المنعم . دار المعرفة الجامعية بدون تاريخ.
- الدين ، محمد عبدالله دراوز دار القلم الكويت ط الثانية، ١٣٩٠هـ.
- الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين : أبكار السقاف دار الإنتشار العربي لبنان ، ط : الأولى ٢٠٠٤م.

- رائد الفكر المصري الأمام محمد عبده . د / عثمان أمين مكتبة الانجلو المصرية ط الثانية ١٩٦٥م.
- الرد على البكري وهو تلخيص لكتاب الاستقامة الدار العلمية للطباعة والنشر ط : ١٤٠٥هـ .
- الرد على المنطقين ، تحقيق رفيق العجم بيروت دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م.
- الرد على المنطقين : ابن تيمية إدارة ترجمان السنة، لاهور ط: الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٢٦م.
- رسالة التوحيد : الشيخ محمد عبده ، دار النصر للطباعة القاهرة ، ١٩٦٩م .
- رسالة في إثبات الاستواء والفوقية " لأبي محمد الجويني ضمن مجموعة " الرسائل المنبرية.
- السنة : عبدالله بن أحمد تحقيق محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ،ط : الأولى ١٤٠٦هـ.
- السنة بين الوحي والعقل للمستشار سالم البهنساوي ، دار الوفاء ، ط : الأولى ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م .
- سيكولوجية الشك : يوسف ميخائيل دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي المكتب التجاري ، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي الحنبلي دار المسيرة بيروت ، ط : الثانية ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : هبة بن الحسن اللالكائي

تحقيق : د/ أحمد سعد حمدان الغامدي دار طيبة للنشر والتوزيع ط: الأولى : ١٤٠٩هـ .

- شرح السنوسية الكبرى للسنوسي : تحقيق عبد الفتاح عبدالله بركه ، دار القلم ، بيروت ط : الأولى ١٤٠٢هـ .
- شرح الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي تحقيق : عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ط:السادسة ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م
- شرح المواقف : للقاضي عضد الدين لايجي : للسيد الشريف الجرجاني: تحقيق محمود الدمياطي ، دار الكتاب العلمية لبنان ، ط : الأولى ، ١٤١٩هـ .
- شرح صحيح مسلم : النووي دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ.
- الشريعة : محمد بن حسين الأجري تحقيق : محمد حامد الفقي ١٣٦٩هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ابن القيم . دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ.
- الصفدية : ابن تيمة : تحقيق : محمد رشاد سالم مكتبة ابن تيمية ط : الثانية ١٣٩٦هـ .
- الصلة بين التصوف والتشيع : كامل الشيبي دار المعارف مصر ط الثانية.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم تحقيق : علي محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ط:الثالثة ١٤١٨-١٩٩٨
- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة : د/ عبدالله القرني دار عالم الفوائد ط: عالم الفوائد ط: الثانية ١٤٢٠هـ

- طائفة الدروز : حمد كامل حسين دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٦٨م .
- طبقات الأولياء ، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري الملقن، تعقيب : نور الدين شربيه ، دار المعرفة ، بيروت ط:الثانية ،١٩٦٨ م.
- طبقات الشافعية : تاج الدين السبكي تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٣٨هـ - ١٩٦٤م .
- طريق الإيمان : سميح الزين دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ
- طريق الفيلسوف : ترجمة أحمد حمدي محمود مطابع سجل العرب القاهرة ، بدون تاريخ.
- ظهر الإسلام : أحمد أمين دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨
- العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، الدكتور ، عبدالرحمن الزنيدي، دار المسلم ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب ، محمد حامد الناصر مكتبة الكوثر ، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ،
- عقيدة الإيمان بالبعث : إسماعيل جودة ، دار الطيف للمطبوعات ط : الأولى ، عام ١٩٨٨/١٤٠٨هـ ،
- العقيدة والشريعة في الإسلام ، كولدزيهر الترجمة العربية ط الثانية ١٩٥٩م.
- علم الكلام عرض ونقد : عامر النجار ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .

- العواصم من القواصم : لابن العربي ، المكتبة العلمية بيروت ، لبنان.
- غرائب القرآن :النيسابوري، تحقيق / إبراهيم عطوة عوض طبعة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ -١٩٦٢ م .
- غرائب القرآن : تحقيق الأستاذ / إبراهيم عطوة ،عوض طبعة الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ -١٩٦٢ م .
- غمز عيون الصبائر شرح كتاب الأشباه والنظائر : احمد بن محمد الحنفي . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥
- الفتوحات المكية بيروت دار صادر بلا تاريخ .
- الفروق اللغوية : ابن العربي ضبط وتحقيق : حسام الدين القدسي ،دار الكتب العلمية:بيروت١٤٠٩ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل :للإمام علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري : ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- فضائح الباطنية :الغزالي اعتنى به : محمد علي القطب المكتبة العصرية ، بيروت.
- فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- الفقه الإسلامي في طريق التجديد ، محمد سليم العوا مكتبة مدبولي ٢٠٠١.
- فقه السيرة دار القلم ، دمشق ، ط : الثانية ١٩٩٦م
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي : محمد البهي دار الفكر بيروت : ط السادسة .

- الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ.
- الفلسفة الإغريقية : محمد غلاب مطبعة البيت الأخضر ، ط١ ، سنة ١٩٣٨م.
- الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار الكتاب المصري ، ١٩٤٦م.
- الفلسفة الحديثة عرض ونقد :أحمد السيد رمضان مكتبة الإيمان ، المنصورة ، بدون تاريخ .
- الفلسفة الحديثة عرض ونقد أحمد السيد رمضان ، مكتبة الإيمان المنصورة.
- الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها : توفيق الطويل ، دار النهضة العربية ،، ط الثانية القاهرة ، ١٩٦٧م .
- فلسفة الشك ، أطروحات العقل الفينومينولوجي وشواهدها في الفكر العربي المعاصر : محمد بن سعود البشر ، دار عالم الكتب ، ط الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية : حربي عباس عطيتو ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م.
- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها : أميرة حلمي، دار قباء ، ١٩٩٨م.
- الفلسفة اليونانية عرض ونقد : أحمد السيد رمضان ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م.
- الفلسفة اليونانية وبعض مشكلاتها: عزت قرني دار قباء للطباعة والنشر ١٩٨١م .

- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها تأليف / هنترين، ترجمة :فؤاد زكريا مكتبة مصر ١٩٦٩م .
- فلسفة ديكارت ومنهجه : مهدي فضل الله ، دار الطليعة ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٩٩٦م.
- فلسفة كانط : أميل بوترم، ترجمة د / عثمان أمين.
- الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف ، مطابع الخليج ، ١٩٧٤م
- الفلسفة ومشكلاتها : محمد جلال شرف دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ .
- الفلسفة ومشكلة الشك : حمدي زقزوق دار المعارف ط : الخامسة ١٩٩٤م.
- في الفكر المصري الحديث : عزت قرني الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٥ م.
- القرآن والنظر العقلي ، فاطمة إسماعيل المعهد العالي للفكر الاسلامي ط : الثانية ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م.
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن : نديم الجسر ، دار الأمد البحيري إخوان طرابلس ١٩٦١م.
- قصة الفلسفة : ول ديورانت مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٥- ١٩٨٥.
- قصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ط الثامنة، مكتبة النهضة المصرية .
- القضاء والقدر في الإسلام : فاروق الدسوقي ط : المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ ـ ١٩٩٦م

- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة : عبدالرحمن المحمود دار النشر الدولي الرياض ط الأولى ١٤١٤هـ.
- قضايا الأدب والثقافة والفن لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ .
- كتاب العصر في ضوء الإسلام لأنور الجندي دار الفضيلة بدون تاريخ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:لأبي القاسم الزمخشري تصحيح:مصطفى حسين أحمد ، دار الريان، القاهرة ، ط : الثالثة١٤٠٧.
- كشان اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي ، تصحيح :محمد وجيه وزملائه ، ط ١٩٧٢ الهيئة المصرية للكتاب.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لإبن رشد تصحيح مصطفى عبدالجواد ط : المحمودية القاهرة ١٩٦٨م.
- لن تلحد لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الكتاب العربي السعودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣- ١٩٨٣م .
- الله في الفلسفة الحديثة ترجمة فؤاد كامل ط الأولى بدون تاريخ.
- الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولنز ، ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غرب ، القاهرة، ١٩٧٣م .
- ما هي الفلسفة للدكتور : حسين علي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م القاهرة .
- مبدأ العلة: مارتن هدجر ترجمة نظير جاهل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٢هـ ٢٠٠١م.
- مجلة الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، شوال ١٣٩٦هـ ،

أكتوبر ، ١٩٧٦م ، بحث بعنوان الفلسفة ومشكلة الشك : محمود زقزوق.

- مجموعة التوحيد ، نشر إدارة البحوث الإسلامية ، الرياض . بلا تاريخ .
- محاضرات في الفلسفة القديمة : فيصل بدير عون ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣م .
- محاور إسلامية راشد الغنوشي ، دار اقرأ للطباعة صنعاء ، ١٩٩٢م
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين : الرازي راجعه : طه عبدالرؤوف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.
- مدارج السالكين في منازل اياك نعبد واياك نستعين : ابن القيم تحقيق : محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- المدخل إلى الفلسفة : فتح الله خليف دار الجامعات المصرية ١٩٨٢
- مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية : عبد المجيد عبد الرحيم ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى ، ١٩٧٦م .
- مدخل إلى الفلسفة: أحمد السيد رمضان الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى الميتافيزيقيا : عزمي إسلام مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ط : الأولى ، ١٩٧٧م .
- مدخل جديد للفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، ، وكالة المطبوعات

الكويتية الطبعة الثانية ، الكويت.

- مدخل على علم الكلام :أحمد صالح السيد ، دار قباء للطباعة والنشر ٢٠٠١ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والإعتقادات لابن حزم دار الكتب – بيروت – بدون تاريخ .
- المسائل الرئيسية في الفلسفة أير ، ترجمة : محمود زيدان ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية مصر (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).
- المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية : أولف جيحن ، ترجمة عزت قرشي ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦م .
- مشكلة الفلسفة : زكريا إبراهيم مكتبة مصر ، بدون تاريخ
- المصباح المنير : أحمد المغربي : دار الكتب العلمية : بدون تاريخ
- المطالب العالية للرازي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٧م
- المطالب العالية من العلم الالهي : الرازي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٧م .
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس : الغزالي ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة : مطبعة الترقي دمشق ١٣٨٠هـ– ١٩٦٠م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أحمد فؤاد عبد الباقي ط :إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم مصطفى وزملائة ، ط: مجمع

اللغة العربية بدون تاريخ.
- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية.
- المعرفة في الإسلام: د . عبدالله القرني دار عالم الفوائد ط : الأولى ١٤١٩هـ.
- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري : زكي نجيب محمود ، دار الشروق.
- المغني : موفق الدين ابن قدامة مطبوعات ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- مفاتيح الغيب : الرازي المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٧هـ
- مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والارادة : ابن القيم دار نجد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٢-١٩٨٢م.
- مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري تحقيق :هلموت ريتر اسطانبول١٩٢٩م .
- مقدمة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني بيروت بلا تاريخ .
- مقدمة الإبانة عن أصول الدين : أبو الحسن الأشعري للشيخ / حماد الأنصاري.
- الملل والنحل : الشهرستاني ، تحقيق : أمير علي مهنا- علي حسن فاعور دار المعرفة بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- المنقذ من الضلال : الغزالي مع أبحاث في التصوف ، ودراسات عن الإمام الغزالي بقلم عبد الحليم محمود ،. دار الكتب الحديثة ، ط الثامنة ، ١٣٩٤ - ١٩٧٤م .

- منهاج السنة : ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ط: جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.
- منهج ابن تيمية في مسألة التفكير : عبدالمجيد المشعبي مكتبة أضواء السلف ط : الأولى ١٤١٨ـــ ١٩٩٧م .
- منهج الأمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، عبدا لله محمود شحاته المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب والعلوم الاجتماعية بدون تاريخ .
- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت : محمود زقزوق دار المعارف ط : الرابعة ١٩٩٧م.
- مواطنون لا ذميون ط دار الشروق ١٤٠٥هـــ.
- المواقف في علم الكلام : عضد الدين الإيجي عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ.
- المواقف في علم الكلام :عضد الدين الإيجي عالم الكتب ، بيروت.
- موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا مراجعة جورج نحل دار الكتب العلمية لبنان ، ط : الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م.
- الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف :محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي : المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ط الأولى ، ١٩٨٤م .
- الموسوعة الفلسفية : عبد الرحمن بدوي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط : الأولى ١٩٨٤م.
- الموسوعة الفلسفية : معن زيادة دار الطليعة – بيروت – بدون تاريخ .

- الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين الروسيين ترجمة سمير كرم دار الطليعة بيروت ط : الأولى ١٩٧٤م.
- موسوعة لالاند الفلسفية : منشورات عويدات ، بيروت ــ باريس ، ط الأولى ١٩٩٦م.
- موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من أراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها للدكتور صالح الغامدي مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٤-٢٠٠٣م
- موقف من الميتافيزيقيا للدكتور: زكي نجيب محمود ، دار الشروق ١٩٨٠ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ،دار احياء الكتب العربية تحقيق علي البجاوي ط: الأولى ١٣٨٢-١٩٦٣
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبدالله محمد الذهبي ، دار المعرفة ، بيروت.
- النبوات :ابن تيمية : تحقيق : عبدالعزيز الطويان ، مكتبة أضواء السلف ط : الأولى ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار ، دار المعارف ١٩٧٨.
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د/ عرفان عبد الحميد دار الجيل ط : الأولى ١٤١٣-١٩٩٣ م
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها : عرفان عبد الحميد دار الجيل ، بيروت ط: الأولى ١٤١٣هـــ-١٣٩٣م
- نظرية العلم الأرسطية : مصطفى النشار دار المعارف ط: الثانية١٩٩٥.

- نظرية العلم عند الغزالي : محمد الكبيسي ، بيت الحكمة بغداد ٢٠٠٢.
- النظرية المادية في المعرفة روحية جاروي ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر، بدون تاريخ .
- نظرية المعرفة : بين القران والفلسفة : راجع الكردي مكتبة المؤيد ط: الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م.
- نظرية المعرفة بين القرآن والسنة : راجح الكردي ، مكتبة المؤيد، ط : الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين : محمود زيدان دار النهضة العربية ، بيروت .
- نقد العقل بين الغزالي وكانت : عبدالله الفلاحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط: الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- نقض المنطق تصحيح محمد حامد الفقي بيروت المكتبة العلمية ، بلا تاريخ.
- نقض المنطق لابن تيمية : تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع ، ط: الأولى ١٣٧٠ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة
- نهاية الإقدام في علم الكلام : الشهرستاني حرره وصححه : الفرد جيوم ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.
- النهاية في غريب الحديث : أبن الأثير تحقيق : محمود الطناحي وطاهر الزواري : دار إحياء الكتب العربية مصر ط : الأولى ١٩٩٣- ١٩٦٣م.
- الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، د : عيسى السعدي ، دار عالم

الفوائد ، ط : الأولى ١٤٢٢هـ _٢٠٠٢م.

- وفيات الأعيان وإنباء أنباء الزمان :أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان تحقيق : د: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

المبحث الأول : تعريف الشك لغة واصطلاحاً :	٣
أولا : الشك في اللغة :	٣
ثانياً : الشك في الاصطلاح :	٩
المبحث الثاني : تعريف اليقين	١٣
أولاً : تعريفه في اللغة	١٣
ثانياً : تعريفه في الاصطلاح	١٣
درجات اليقين	١٢
معاني اليقين في القرآن الكريم	١٤
الفصل الثالث أنواع الشك	٢٥
المبحث الأول : الشك المنهجي	٢٥
أولاً : الشك في التقليد عند الغزالي	٢٨
ثانياً : الشك في الحسيات عند الغزالي	٢٩
ثالثاُ : الشك في العقليات عند الغزالي	٣٠
أولاً : الشك في التقليد عند ديكارت	٣٣
ثانياُ : الشك في الحواس عند ديكارت	٣٣
ثالثاً : الشك في العقليات عند ديكارت	٣٤
المبحث الثاني : الشك المطلق	٣٧

القسم الأول : الشك الكلي ٣٧
الصورة الأولى : الشك الكلي في المعرفة ٣٧
الصورة الثانية : الشك الكلي في الحقيقة ٣٩
القسم الثاني : الشك الجزئي ٤١
الصورة الأولى : الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس ٤١
الصورة الثانية : الشك في الواقع الخارجي للأشياء ٤٨
الصورة الثالثة : الشك التجريبي ٥١
١-إنكار السببية أو العلية ٥١
٢-إنكار الإستقراء أو التشكيك فيه وفي نتائجة ٥٤
المبحث الثالث : الشك الإعتقادي ٥٧
الصورة الأولى : الشك الذاتي في المعتقد ٥٧
الصورة الثانية : تشكيك الناس في العقائد ٥٨
الصورة الثالثة : الإنكار للدين أو بعض العقائد ٥٩
الفصل الثاني : الجذور التاريخية للشك وتطوره في العصر الحديث ٦٠
المبحث الأول : الشك في العصر اليوناني ٦٢
أولاً : الشك قبل السوفسطائية ٦٢
ثانياً : الشك عند السوفسطائية ٦٥
من أبرز من يمثل هذه النزعة ٦٦
بروتاجوراس ٦٦
موقفة من الآلهة ٦٧

نظريته في المعرفة ٦٧

تعقيب ٦٨

ثالثاً : مدرسة بيرون ٧٤

رابعاً : الأكاديمية الأفلاطونية ٧٦

خامساً : الشك التجريبي ٨٢

المبحث الثاني : الشك في العصر الوسيط ٨٤

المبحث الثالث: الشك في العصر الحديث ٨٨

أ- تعطيلهم باب الصفات عن الله سبحانه وتعالى ١٠٨

ج- موقفهم من القرآن الكريم وكلام الله سبحانه ١٠٩

د- وصفهم الله ورسوله بما لا يليق . ١١٠

الجانب الثاني :- الحيرة الشكوك . ١١٢

الفصل الثاني / الشك عن الفرق الباطنية والصوفية ١١٩

أولاً : الشك المنهجي عند الباطنية والصوفية ١٢١

ثانياً :- الشك في العقائد والمسلمات عند الباطنية والصوفية ١٢٣
(أ) اسقاط التكاليف الشرعية ١٢٤
(ب) التجاوز على مقام النبوة والأنبياء ١٢٥
(ج) القول بوحدة الأديان ١٢٧
الفصل الثالث / الشك عند المفكرين المسلمين المحدثين ١٣٠
أولاً : الشك المنهجي عند المفكرين المسلمين المحدثين ١٣٢
ثانياً : الشك الاعتقادي عند المفكرين المسلمين المحدثين ١٣٤
أ- انكار الغيبيات ١٣٥
ب- سوء الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ١٣٦
ج- وحدة الأديان ١٣٨
الباب الثالث أسباب الشك وآثاره ١٤٠
الفصل الأول / أسباب ظهور الشك ١٤١
المبحث الأول : أسباب ظهور الشك العقائدي ١٤٢
أولاً : الشك المنهجي واعتماده طريقاً للحقيقة ١٤٢
ثانياً : التأثر بالثقافة اليونانية ١٤٤
ثالثا: تقديم العقل على النقل ١٥٣
مسألة الصراط ١٥٥
مسالة الميزان ١٥٦
مسألة عذاب القبر ١٥٦
مسألة سؤال الملكين للميت وإقعاده في قبره ١٥٦

مسألة تطاير الصحف	١٥٦
مسألة إنطاق الجوارح	١٥٧
المبحث الثاني: أسباب ظهور الشك المنهجي	١٥٨
أولاً : التأثر بالثقافة اليونانية	١٥٨
ثانياً : الثقة المطلقة بالعقل	١٦٢
ثالثا : الرغبة في الحصول على اليقين الكامل	١٦٦
رابعاً : اعتباره الطريق الوحيد الموصل للحقيقة	١٦٨
الفصل الثاني آثار الشك في أصول الدين والشريعة	١٧٤
المبحث الاول : آثار الشك على أصول الدين	١٧٦
المطلب الأول : آثار الشك في التوحيد	١٧٨
أ ــ الاختلاف المنهجي في تقرير مسائل التوحيد بين أهل السنة ومخالفيهم	١٧٨
ب_ الاختلاف في أقسام التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين	١٨٤
اختلاف مفهوم توحيد الاسماء والصفات بين أهل السنة وأهل الكلام	١٨٤
١ــ شبهة حلول الحوادث في ذات الله سبحانه	١٨٥
٢ ــ شبهة التشبيه والتمثيل	١٨٥
٣ ــ شبهة تعدد القدماء	١٨٦
٤ ــ شبهة التركيب	١٨٦
المطلب الثاني : آثار الشك في النبوات	١٨٦
أ ــ ضعف الاستدلال على النبوة	١٨٧

ب ـــ التفسير الخاطئ لمقام النبوة ١٨٩
جعل النبوة فيضية واشراقية : ١٨٩
جعل النبوة مكتسبة ١٩٠
جعل مقام الفيلسوف والولي والإمام أفضل من مقام النبي ١٩٢
نفي العصمة عن النبي ١٩٣
المطلب الثالث : آثار الشك في اليوم الآخر ١٩٤
إنكار المعاد الجسماني ١٩٤
ضعف موقف المتكلمين في هذه المسألة ١٩٧
إنكار بعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر ١٩٩
المطلب الرابع : آثار الشك في القدر ٢٠٠
أولاً : نفي الحكمة والتعليل ٢٠١
ثانياً: الغلو في التحسين أو التقبيح العقلي للأفعال أو إقصاؤه مطلقاً ٢٠٤
ثالثاً : وصفهم الله سبحانه بما لا يليق : ٢٠٧
أ ـــ أن يكلف الله سبحانه عبادة ما لا يطيقونه ٢٠٨
ب ـــ تجويزهم وقوع الظلم من الله سبحانه وتعالى ٢٠٨
المبحث الثاني: آثار الشك في الشريعة ٢١٠
–أهم أثار التي أحدثها الشك ٢١١
أ ـــ القول بعدم تحكيم الشريعة ٢١١
ب ـــ قبول المناهج التشريعية الوافدة ٢١٦
ج ـــ تمييع بعض المسائل والأحكام الشرعية ٢١٨

أولاً : محاولة إلغاء عقوبة المرتد ٢١٩

ثانياً : التساهل مع الكفار وإبطال الجزية عليهم ٢٢٢

الباب الرابع علاج الإسلام للشك والوقاية منه ٢٢٦

الفصل الأول : تأسيس اليقين ٢٢٧

المبحث الأول: إنزال الوحي وما تضمنه من الهداية والنور ٢٢٨

أ ــ تكفله بالتدليل على يقينيته في نفسه : ٢٣٠

إخباره عن الأمم السابقة ٢٣٢

اخباره بكل جزم وتحد عن أحداث وأمور ستجرى في المستقبل ٢٣٣

إخباره صلى الله وعليه وسلم لأصحابه المستضعفين أنهم سيظهرون على المشركين ٢٣٤

ب ــ تفرده بالإجابة عن الأمور الغيبية المحضة : ٢٣٧

المبحث الثاني :الحث على اعمال العقل والوصول إلى اليقين ٢٤٣

أولاً : دليل الخلق والاختراع ٢٤٧

ثانيا: دليل العناية ٢٤٨

ثالثا : دليل التمانع ٢٤٩

رابعا : الاستدلال العقلي على البعث والنشور ٢٥٠

الاستدلال بالنشأة الأولى على الثانية ٢٥٠

الاستدلال بالأصعب على الأيسر ٢٥٠

الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم ٢٥١

الاستدلال بخروج الشيء من ضده ٢٥١

الإستدلال بإحياء الأرض الميتة	٢٥١
المبحث الثالث: دلالة الفطرة على اليقين بالله والمعارف الضرورية	٢٥٢
الأولى : أن الفطرة ضرورية عند الإنسان	٢٥٩
الثانية : أن الفطرة لا تقتضي وجود الله فقط بل كمال توحيده سبحانه	٢٦١
البحث الرابع : دلالة الحواس على اليقين بالله سبحانه وتعالى	٢٦٣
اهتمام الإسلام بالمعرفة الحسية	٢٦٤
الاهتمام الخاص بحاستي السمع والبصر	٢٦٤
توجيه الحواس نحو الكون والتفكر فيه	٢٦٦
الربط بين المعرفة الحسية وبين العقل	٢٦٨
الربط بين عماية القلب والعقل وبين تعطيل الحواس	٢٦٩
ورود العقل والحواس متلازمين	٢٦٩
تعقيب الله في آياته في الآقاق وفي النفس مما يدرك بالحواس بألفاظ	٢٧٠
الفصل الثاني	٢٧٣
دحض حجج الشكاك	٢٧٣
المبحث الأول : الشك المطلق (الهادم)	٢٧٤
المبحث الثاني : تقييم الشك المنهجي :	٢٨٣
المبحث الثالث : مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالشك عموما	٢٨٧
أولا : الرد على المتكلمين في نفيهم فطرية المعرفة ووجود الله سبحانه وتعالى	٢٨٧
ثانيا : الرد على الشكاك في نفيهم الاستقراء واطراد نتائجه	٢٨٩

ثالثا: الرد على الشكاك في إنكار مبدأ السببية أو العلية :	٢٩٣
رابعا : الرد على الشكاك في نفيهم للواقع الخارجي للأشياء :	٢٩٧
الفصل الثالث : حكم الشك في المسائل الاعتقادية	٢٩٩
المبحث الأول : ضوابط يجب مراعاتها قبل إصدار الحكم على المسلم	٣٠١
أولاً : التفريق بين الحكم العام وبين الحكم على المعين .	٣٠١
ثانياً : ثبوت قيام الحجة على المعين .	٣٠٣
ثالثاً : عدم الحكم على لازم القول ومقتضاه .	٣٠٤
رابعاً : اعتبار العذر الشرعي للمخالف .	٣٠٥
(أ) ـــ الجهل :	٣٠٥
(ب)– التأويل:	٣٠٧
(ج)– الخطأ:	٣٠٧
المبحث الثاني	٣٠٩
المسائل التي دخلها الشك أو الإنكار والحكم فيها	٣٠٩
أولاً: حكم من شك في ما ثبت بالكتاب والسنة	٣١٠
ثانياً :– حكم من شك في المتواتر والإجماع	٣١٣
ثالثاً : حكم من شك أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة	٣١٤
رابعاً :– حكم من شك الأسماء والصفات	٣١٦
خامساً :– حكم من شك في كفر اليهود والنصارى .	٣١٧
سادساً :–حكم من جعل الشك هو أول الواجبات على المكلف	٣١٨
خاتمة البحث :	٣٢٠
فهرس الايات	٣٣٠
فهرس الاحاديث	٣٣١

فهرس الاعلام	٣٣٤
فهرس الطوائف والفرق	٣٣٥
فهرس المراجع	٣٣٦
فهرس الموضوعات	٣٥٢